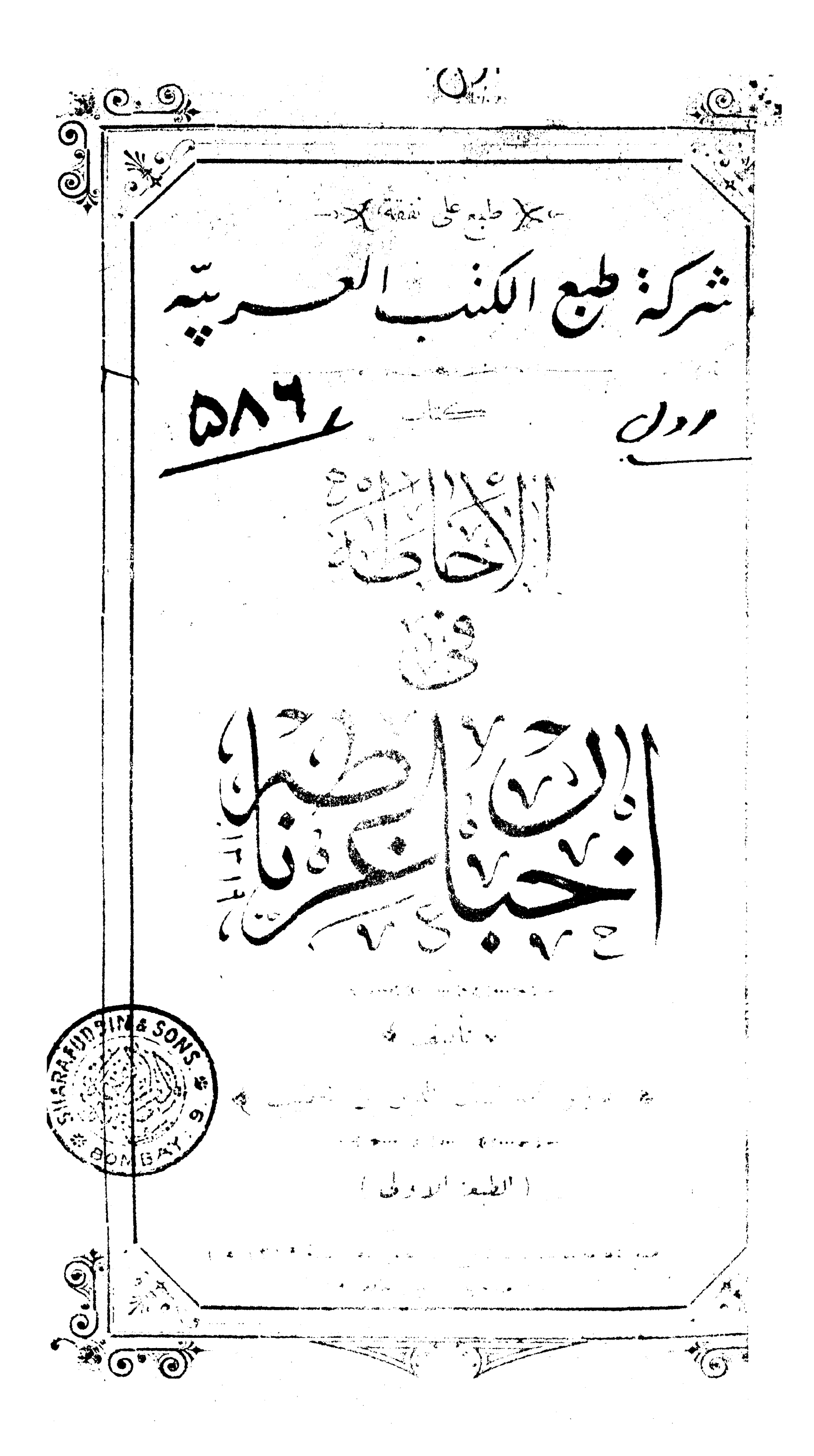
الخطيب، لسان الدين

الاحاطة في اخبار غرناطة



طبع على نفقة

شركة طبع الكتب العربية

كتاب

الإحاطة في أخبار غرناطة

(الطبعة الأولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى جميع الانبياء والمرسلين (أما بعد) فان التاريخ لما كان محل العظة البالغة . ومرآة الأمم الغابرة . وسجل الاعمال الماضية . فأولاه بالمطالعة والادخار . وأحسنه للاتعاظ والاعتبار . تاريخ الدول البائدة وجوداً الباديه ذكراً . والشعوب البائرة عينا المخلدة في العالم أثراً وذكرى . لما يتخلل هذا من الحوادث ذات الشجون والعبر . والبواعث التي تجرى بالامم في يم الوجود الى مستقر السلامة الدائمة أو الفناء المستمر . كتاريخ الاندلسيين الذين قامت لهم في الاسلام دولة شيدت من المدنية العربية صروحا سامية . وبلغت شأواً من القوة والمجد بعيداً . ونبغ فيهم من رجال السيف والقلم نوابغ لايحصى لهم عدد . ولا يشق لهم فى مضمار العمل غبار . فزهت بهم مملكة المسلمين العربية . وفاقت بضروب العلم والمدنية على ضرتها الشرقية . حيناً من الدهر كانت فيه عواصم الاندلس مدارس حافلة بالعلماء من كل فن يقصدها طلاب العلم من انحاء الممالك الاوربية . ويستقي من مناهلها رغاب العلوم العقلية . وكان التمدن العربى فى غضون ذلك فسيح الجنات . رحب الجنبات . زاهر المعالم . ظاهر الرونق . الا انه كان عجلا في مرقاه . مسرعا فى خطاه . اسراعا استوعب قوى أهله . وكاد يدرك الكمال قبل أوانه . لهذا وهت قبل بلوغ التمام عزائمهم . ووقفت عن المضي فى طريق الترقى خطاهم . فلم يمض على ذلك التمدن العظيم اربعة قرون حتى لحق أهله الونى . ودب فيهم الفتور . فاخلدوا الى الراحة وانغمسوا فى حمأ

الحضارة والترف . فعاد مبرمهم انكاثا . وسيرهم تقهقراً . وفشت بينهم من فساد الاخلاق فاشية أضعفت مداركهم . وتغلغلت بين جوانحهم . فطوتها على دغل . ونفثت فيهم روح التخاذل والفشل . فتوثبوا على ملوكهم وانقسموا على أنفسهم فاصبحت مملكة الاندلس امارات يتخطفها المتوثبون على الملك من زعانف الامة والمتطفلون على بساط الدولة من وزرائها الجهلاء . وقوادها الاغبياء والعدو من وراء ذلك يتربص بهم الدوائر . ويأتيهم بالزواجر تلو الزواجر . فينقص من أطراف ملكهم تارة . ويغزوهم في عقر دارهم أخرى . حتى اجتث في سنة ٩٢٢ هجرية من أرض الاندلس اصولهم . واكتسح ملكهم العريض وقضى على بقايا تلك المدنية الزاهرة بعد ان استغاثوا بمن عاصرهم من ملوك الاسلام فلم يغيثوهم . واستنصروا أولئك العظام فخذلوهم . وتقدم قاضى قضاتهم يومئذ الى ملك المغرب في عصره بقصيدة تثير بواعث الاشجان . وتشجى كل ذي وجدان . يقول فى مطلعها

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا ... ان السبيل الى منجاتها درسا

والظاهر انه لم ير سبيلا لنجدتهم فاعرض عنهم . حتى نال الاسبانيول غرضهم منهم . وهذا شأن الأمم فى التسابق فى مضمار تنازع البقاء . وما نهاية الغافل عن علته المسترسل فى غلوائه الا ان يدركه الفناء .

ولما كان تاريخ هذه الامة التى لاقت ضروب السعادة والشقاء من أهم ما يرمي الفضلاء الى غرضه . ويرغب ارباب الولع بالتاريخ فيه . لاسيما ما كان منه محل العبر . ومنتهى الخبر . أى ما أحاط بذكر أواخر دولتهم ومثل أخلاقهم واحوالهم فى إبان غفلتهم مما هو نادر الوجود الا فى المكاتب الغربية عزيز المنال منها . فقد عثرت شركة طبع الكتب العربية المؤلفة فى مصر التى

جعلت دأبها التنقيب عن الكتب النادرة في بابها المفيدة لطلابها على الجزء الاول من كتاب « الاحاطة فى اخبار غرناطة » فى دار الكتب الخديوية وهو من تأليف أشهر مشاهير عصره ذى الوزارتين محمد لسان الدين ابن الخطيب المتوفى شهيداً عام واحد واربعين وسبعمائة وقد ترجم فيه من نشأ في غرناطة احدى عواصم الاندلس وحاضرة ملك بنى نصر لعهده من رجال السيف والقلم منذ قامت في الاندلس دولة الاسلام الى عصر المؤلف على اسلوب بديع الترتيب سامي العبارة خال من شوائب المحاباة التي هى دأب كثير من المؤرخين لاسيما فيما ذكره عن رجال دولة بنى نصر التي أفاض فى الخبر عنها أكثر مما أفاض عن غيرها وأورد عند ذكر كل فرد من ملوكها ذكر من عاصره من ملوك المغرب وتونس واسبانيا موجزاً في محل الايجاز ومسهباً فى محل الاسهاب

ولا يخفى على ذى لب ان أحسن ما تكون تراجم الرجال اذا كانت خالية من المحاباة بعيدة عن غلو الشعراء في تخيل أوصاف للمترجم قد لا تجتمع فى عدد كبير من الرجال وقل أن خلت كتب التراجم العربية من امثال تلك الخيالات الشعرية التى تضيع معها صفات الرجال الحقيقية

ومن هذا الكتاب فانه خلو من هذه الشائبة بالغ النهاية في تحرى أخلاق الرجال وصفاتهم مع بعد غور مؤلفه في فصاحة التعبير وتخير الاساليب العالية في ايراده اخبار الرجال واوصافهم

وفضلا عن هذا فقد طرق فى هذا التاريخ بابا قل من سبقه اليه من مؤرخى العرب وهو انه افتتح الكتاب بقسم جغرافي خطط فيه ولاية غرناطة وما يتبعها من القرى والجنات وذكر فيه عوائد اهلها ومعائشهم وازياءهم وجندهم

وسلاحهم وكثيراً مما يتعلق بحالتهم الاجتماعية لعهده . لهذا كله رأت الشركة ان تبحث عن باقي اجزاء الكتاب وهما جزآن الثاني والثالث وبعد التحري والتنقيب وجدنا عند السادة الافاضل مصطفى بك بيرم وشقيقه نسخة ثلاثة اجزاء مكتوبة عن نسخة موجودة فى تونس فاتفقت الشركة معهما على طبعه وتعميم نفعه الاّ انّا رأينا النسخة المذكورة محرفة بيد النساخ غير خالية من الغلط ولم يتيسر العثور على نسخة ثانية غير الجزء الموجود فى المكتبة الخديوية الذى وجد محرفاً كعين الجزء الاول فى النسخة المذكورة فاضطررنا حرصاً على نشره الى صرف مزيد العناية بتصحيح الكتاب وبذل الجهد في تحري مظان الخطأ بمعونة حضرة العالم الفاضل الشيخ على الهوارى المصحح فى ادارة المؤيد لأغر حتى أ لجئنا للتصرف القليل فى بعض الجمل غير المفهومة تصرفاً اذا لم يطابق الاصل فى اللفظ فانه لا يخالفه فى المعنى وما لم يتيسر لنا فهمه والتصرف فيه من الجمل تركناه على أصله ونبهنا عليه فى هامش الكتاب وهو شيء قليل لا يمنع من الاستفادة ولا يؤثر فى جوهر الكتاب

وأما مؤلف هذا الكتاب الوزير لسان الدين بن الخطيب فانه من نوابغ الاندلس المشهورين بالاصالة بين أهلها المعدودين من كبار رجالها وقد ترجمه كثير من كبار المؤرخين ترجم حافلة بمناقبه مزدانة بسيرته ومنهم سليل السلاطين الامير اسماعيل بن يوسف بن السلطان محمد بن الاحمر ترجمه فى كتابه المسمى (فرائد الجمان فيمن نظمني واياه الزمان) ومنهم العلامة الكبير ابن خلدون ترجمه واورد سيرة حياته فى تاريخه الكبير ومنهم الحافظ بن حجر ترجمه فى كتابه انباء الغمر ومنهم المقرى صاحب نفح الطيب الذى ترجم فيه أهل الفضل من الاندلسيين فقد ترجمه في هذا الكتاب ترجمة حافلة ونقل

فيه كل ماذكره في شأنه المؤرخون بل انه اجلالاً لقدره واعظاماً لذكره سمى كتابه هذا باسمه. ووسمه بوسمه. وهو (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب. وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) ومما ذكره فيه في التعريف بلسان الدين قوله

(هو الوزير الشهير الكبير. لسان الدين الطائر الصيت في المغرب والمشرق المزري عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير. المثل المضروب في الكتابة والشعر والطب ومعرفة العلوم على اختلاف أنواعها ومصنفاته تخبر عن ذلك ولا ينبئك مثل خبير. علم الرؤساء الاعلام. الوزير الشهير الذي خدمته السيوف والاقلام. وغني بمشهور ذكره عن سطور التعريف والاعلام. واعترف له بالفضل أصحاب العقول الراجحة والاحلام) وقال في موضع آخر في غضون الكلام على فضله وعلمه ان له من التآليف نحو الستين وكلها في غاية البراعة ومنها الاحاطة وقد ذكر في آخره معظم مؤلفاته

وبما ان لسان الدين قد ترجم نفسه ترجمة وافية في آخر كتابه (الاحاطة) وذكر فيه من أخباره مع ملوك بني نصر (ويقال لهم بني الاحمر أيضاً) ما نقله عن كتابه هذا معظم من ترجمه من المؤرخين فلم نر حاجة لا يراد ترجمته في هذه المقدمة اذ هي موجودة في هذا الكتاب وانما رأينا أن نذكر نكبته التي نكبه بها السلطان محمد بن الاحمر بسعاية أحد تلامذته المشهور بابن زمرك الذي تولى الوزارة بعده وسعى في نكبته وقتله بتهمة ذهابه مذاهب الفلاسفة القائلين بالحلول والاتحاد وهي تهمة باطلة برأه منها المؤرخون ونلخص الخبر عن ذلك من نفح الطيب نقلا عن المؤرخ الكبير بن خلدون قال

كان محمد بن الاحمر المخلوع قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى

من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزي على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب فاستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى أن نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه . وكان لاولاد السلطان أبي الحسن كلهم غيرة من ولد عمهم السلطان أبي علي ويخشونهم على امرهم . ولما لحق الامير عبد الرحمن ابن ابي يفلوسن بالاندلس اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته وأعلى منزلته وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة مكان بني عمه من الاعياض فكانت له آثار في الاضطلاع بها .

ولما اشتد السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه دس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوسن ووزيره مسعود بن ماساي وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل السلطان عليهما الى أن سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز وتغير الجو بين ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب وأظلم وتنكر له فنزع عنه الى عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقبله السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الاحمر في أهله وولده فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان عبد العزيز في ملك الأندلس وحمله عليه وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان الى المغرب ونمي

ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان عبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه وأوفد بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره .

ولما هلك السلطان واستبد الوزير ابن غازي بالأمر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ماخاطب السلطان عبد العزيز فلجّ واستنكف عن ذلك وأقبح الرد وانصرف رسوله اليه وقدرهب سطوته فأطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبى يفلوسن وأركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماساي ونهض يعنى ابن الاحمر الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية .

ثم ان الوزير أبا بكر بن غازى الذى كان تحيز اليه ابن الخطيب ولّى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة خوفا عليها من ابن الاحمر ونهض هو الى منازلة عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ببطوية اذ كان قد بايعوه فامتنع عليه وقاتله أياما ثم رجع الى (تازا) ثم الي (فاس) واستولى عبد الرحمن على تازا .

وبينما الوزير أبو بكر بفاس يدبر الرأى اذ وصله الخبر بان ابن عمه محمد ابن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبى سالم وهو المعروف بذى الدولتين وذلك انه لما تولى سبتة كان ابن الاحمر قد طاول حصار جبل الفتح وتكررت المراسلة بينه وبين محمد المذكور والعتاب فاستعتب له وقبح ما أتاه ابن عمه الوزير ابن غازى من الاستغلاظ له فى شأن ابن الخطيب وغيره فوجد ابن الأحمر فى ذلك السبيل الي غرضه وداخله فى البيعة لابن السلطان أبى سالم .

وكان ابن الاحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطاً . منها أن

ينزلوا له عن جبل الفتح الذى هو محاصر له . وأن يبعثوا اليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا عليه فانه قد أمرهم على ذلك وتقبل محمد بن عثمان تلك الشروط وركب من سبتة الى طنجة واستدعى أبا العباس أحمد فبايعه وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة للبيعة فتقدموا وبايعوا وخاطب أهل جبل الفتح فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتح وخاطب أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل ابن الاحمر من مالقة اليه ودخله ومحاولة بني مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبي العباس وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على امره

ولما وصل الخبر بهذا كله الى الوزير أبي بكر بن غازى قامت عليه القيامة ونهض الى « تازا » لمحاصرة عبد الرحمن بن ابى يفلوسن فاهتبل في غيبته ابن عمه محمد بن عثمان ملك المغرب ووصله مدد ابن الاحمر من رجال الاندلس الناشبة نحو ستمائة وعسكر آخر من الغزاة وبعث ابن الاحمر رسله الى عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحمد ومظاهرته واجتماعهما على ملك فاس وعقد بينهما الاتفاق على ان يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس وبلغ الخبر الى الوزير ابن غازى وهو بتازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى السلطان أبو العباس احمد الى « زرهون » فصمد اليه الوزير بعساكره فاختل مصافه ورجع على عقبيه مفلولا وانتهب عسكره ودخل البلد الجديد وجاءجا بالعرب اولاد حسين فعسكروا بالزيتون ظاهر فاس فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا بمن معه وشردهم الى الصحراء . وشارف السلطان أبو العباس بجموعه من العرب وزناتة وبعثوا الى وليّ دولتهم ونزمار بن عريف فجاءهم وأطلعوه

على كامن أسرارهم فأشار اليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادي النجار وتحالفوا ثم ارتحلوا الى كدية العرائس وبرز اليهم الوزير بن غازى فانهزمت جموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غصص الريق واضطرب معسكر السلطان أبى العباس بكدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال ووصلهم مدد ابن الاحمر فاحكموا الحصار وتحكموا فى ضياع الوزير ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها

ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان بن عمه الوزير ابن غازى فى النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لكون الحصار قد اشتد به ويئس وأعجزه المال فأجاب. واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش بدل سجلماسة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير بن غازى الى السلطان وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة

ولما دخل السلطان أبو العباس احمد البلد الجديد دار ملكه فاتح سنة ست وسبعين استقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود ابن اعراب كبير بنى عسكر رديفه وقد كان الشرط وقع بينه وبين ابن الاحمر عند ما بويع بطنجة على نكبة الوزير بن الخطيب واسلامه اليه لما نمى اليه عنه انه كان يغرى السلطان عبد العزيز بملك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقيه الوزير أبو بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولازمه بالحصار أوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفاً على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام اياماً ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض على ابن

الخطيب فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان بن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد بايعه ابن الاحمر على مشيخة غزاة الاندلس متى أعاده الله تعالى الى ملكه فلما استقر اليه سلطانه اجاز اليه سليمان سفيراً عن الوزير عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده الوزير ابن الخطيب عن ذلك محتجاً بأن تلك الرياسة انما هي لأعياض الملك من بني عبد الحق لأنهم يعسوب زناتة فرجع سليمان وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ثم جاوز الاندلس لمحل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ينفث كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه مما كمن في صدورهما

وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب الى السلطان ابن الاحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب أبا عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة فعظم النكير فيها ووبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملأ ثم نقل الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه . وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقاً في محبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق ثم أصبح من الغد على ساقة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نار فاحترق شعره واسودّ بشره فأعيد الى حفرته . وكان في ذلك انتهاء محنته

وعجب الناس من هذه الشنعاء التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته . والله الفعال لما يريد

وكان عفا الله تعالى عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجهش هواتفه بالشعر يبكي نفسه . ومما قاله فى ذلك رحمه الله تعالى

بعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبا وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر فى خرقة فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات ومن ذا الذى لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له فقل يفرح اليوم من لا يموت

انتهى كلام ابن خلدون ملخصا

هذا ما ذكره ابن خلدون عن سبب نكبة لسان الدين ومنه ومما سيمر عليك فى هذا الكتاب من أخبار الوزراء والملوك يومئذ فى غرناطة تعلم منتهى ما وصلت اليه واسفاه أخلاق تلك الأمة فى الجيل السابع والثامن مما مهد للاسبانيول سبيل الغلبة عليهم وادالة دولتهم ونزع استقلالهم بل ومحو أثرهم . فاللهم نسألك أن تفيض علينا من سماء رحمتك روحاً يطهر من ادران الشهوات أخلاقنا ويرفع غشاء الغفلة عن أبصارنا وبصائرنا فيرينا طريق الألفة والوئام فنسلكه وسبيل الهدى الى سعادة الحياة والاعتبار بمن مضى وفات فنقصد اليه انك مجيب السؤال رفيق العظم

جاء فى صحيفة ٢ سطر ١٠ من المقدمة (وتقدم قاضي قضاتهم يومئذ الى ملك المغرب بقصيدة) وهو خطأ بدر به القلم وصوابه وقدم على ملك المغرب بقصيدة الخ

طبع على نفقة

شركة طبع الكتب العربية

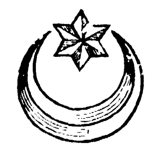
كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة

تأليف

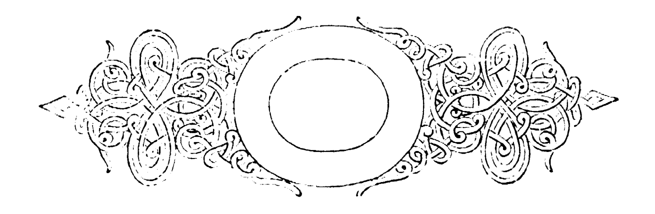
الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب

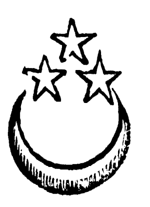
(الطبعة الاولى)

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣١٩ هـ « لصاحبها اسماعيل حافظ »)



قرر مجلس ادارة شركة طبع الكتب العربية فى جلسته المنعقدة يوم الاربعاء ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣١٨ الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٠١ طبع هذا الكتاب بعد ان بحثته بحثاً دقيقاً وتحققت من عظيم فائدته





بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وصحبه وآله ﴿أما بعد﴾ حمد الله الذي أحصى الخلائق عددا . وابتلاهم اليوم ليجزيهم غدا . وجعل جيادهم تتسابق في ميدان الآجال الى مدى . وباين بينهم في الصور والأخلاق . والأعمال والأرزاق . فلا يجدون عما قسم محيصاً ولا فيما حكم به ملتحدا . وسعهم علمه على تباين أفرادهم . وتكاثف أعدادهم . والداً وولدا . ونسباً وبلدا . ووفاة ومولدا . فمنهم النبيه والخامل . والحالي والعاطل . والعالم والجاهل . ولا يظلم ربك أحدا . وجعل لهم الأرض ذلولاً يمشون فى مناكبها ويتخذون من جبالها بيوتاً ومن متاعها عددا . وخص بعض أقطارها بمزايا تدعو الى الاغتباط والاعمار . وتحث على السكوت والاستقرار . متبوأ فسيحاً . وهواء صحيحاً . وماء نميرا . وامتناعاً شهيرا . ورزقاً رغدا .

فسبحان من جعل التفاضل فى المساكن والساكن . وعرّف العباد اللطف فى الظاهر والباطن . ولم يترك شيئاً سدى .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي ملأ الكون نوراً وهدى . وأوضح طريق الحق وكانت طرائق قددا . أعلى الآنام يداً وأشرف الخلق ذاتاً وأكرمهم محتدا . الذي أنجز الله به من نصر دين الحق

موعدا . حتى بلغت دعوته مازوى له من هذا المغرب الأقصى . فرفعت بكل هضبة علما وبنت بكل ربوة مسجدا .

والرضى عن آله وصحبه الذين كانوا لسماء سنته عمدا . ليوث الردا . وغيوث الندى . ما أقلّ ساعد يداً . وعمر فكر خلدا . ومصباح بدا . فأرق سهدا .

فان الله عزّ وجلّ جعل الكتب لشوارد العلم قيدا . وجوارح اليراع تثير في السهول الرقاع صيدا . ولولا ذلك لم يشعر آت فى الخلق بذاهب . ولا اتصل بغائب . فماتت الفضائل بموت أهليها . وأفلت نجومها عن أعين مجتليها . فلم يرجع الى خبر ينقل . ولا دليل يعقل . ولا سياسة تكتسب . ولا أصالة اليها ينتسب . فهدى سبحانه وألهم . وعلّم الانسان بالقلم مالم يكن يعلم . حتى ألفينا المراسم قائدة . والمراشد هادية . والاخبار منقولة . والاسانيد موصولة . والاصول محررة . والتواريخ مقررة . والسير مذكورة . والآثار مأثورة . والفضائل من بعد أهلها باقية . والمآثر قاطعة شاهدة . كأن نهار القرطاس وليل المداد . ينافسان الليل والنهار فى عالم الكون والفساد . فمهما طويا شيئاً ولعا بنشره . أو دفنا ذكراً دعوا الى نشره .

فلو أن لسان الدهر نطق . وتأمل لهذه المناقضة وتحقق . لأتى بما شاء من عتب ولوم . وأنشر علمه مابه كل يوم .

ولما كان الفن التاريخيّ مأرب البشر . ووسيلة الى ضم النشر . يعرفون به أنسابهم فى ذلك شرعاً وطبعاً مافيه . ويكتسبون به عقل التجربة فى حال السكون والرفيه . ويستدلون ببعض مايبدى به الدهر ومايخفيه . ويرى العاقل من تصريف قدرة الله تعالى مايشرح صدره بالايمان ويكفيه . وكتاب الله يتخلله من القصص مايتم هذا الشاهد لهذا الفن ويوفيه . وقال تعالى

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وقال عزّ من قائل (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين) .

فوضح سبيل مبين . وظهر أن القول بفضله يقتضيه عقل ودين . وان بعض المصنفين ممن ترك نوه لمن دونه . وأنزف ما شبا به مودعاً اياه بطن كتابه يقصده الناس ويردونه . اختلفت في مثل هذا الباب أغراضهم . فمنهم من اعتنى باثبات حوادث الزمان . ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الاعيان عجزاً عن الاحاطة بهذا الشأن . عموماً في أكثر الاقطار وخصوصاً في بعض البلدان فاستهدف الى التعميم فرسان الميدان . وتوسعوا بحسب مادة الاطلاع وجهد الامكان . وجنح الي التخصيص لأولوية بحسب ما يخصه من المكان . ويلزمه من حقوق السكان . مغرماً برعاية عهود وطنه وحسن العهد من الايمان . بادئاً بمن يعوله كما جاء في الطرق الحسان . فذكرت جملة من موضوعات من افرد لوطنه تاريخا هز اليها علم الله وفاء وكرم . ودار عليها بقول الله في رحمته الواسعة حرم . كتاريخ مدينة بخارى لابي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغنجارى . وتاريخ اصبهان لأبي نعيم أحمد ابن عبد الله الحافظ صاحب الحلية . وتاريخ اصبهان لابي زكريا احمد بن عبد الوهاب ابن[1] نبذة الحافظ . وتاريخ نيسابور للحاكم أبي عبد الله بن اليسع وذيله لعبد الغافر بن اسماعيل . وتاريخ همذان لابي شجاع يسرويه بن شهردار بن شيرويه محمد ابن فناخسرو الديلمي . وتاريخ طبقات اهل شيراز لابي عبدالله محمد بن عبد العزيز بن القصار . وتاريخ هرات أظنه لابي عبد الله الحسن بن محمد الكتبي . وأخبار هرات أيضا ومن نزلها من

(١) وفي نسخة فندا

التابعين وغيرهم من المحدثين لابي اسحق أحمد بن يس الحداد . وتاريخ سمرقند لعبد الرحمن بن محمد الاندلسى . وتاريخ نسب لجعفر بن محمد المعبر المستغفرى . وتاريخ جرجان لابى القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم السهمى . وتاريخ الرقة لابي على محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيرى . وتاريخ بغداد للخطيب أبي بكر بن ثابت . وذيله لابى سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى . وأخبار بغداد لاحمد بن طاهر . وتاريخ واسط لابى الحسين بن على ابى الطيب الخلافى وتاريخ من نزل حمص من الصحابة ومن دخلها ومن ارتحل عنها ومن أعقب ولم يعقب وحدّث ولم يحدث لابى القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضى . وتاريخ دمشق لابى القاسم على ابن الحسن بن عساكر . وتاريخ مكة للازرقي . وتاريخ مكة لابن النجار . وتاريخ مصر لعبد الرحمن بن احمد بن نواس . وتاريخ الاسكندرية لوجيه الدين أبى المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن سليم الشافعى . وتاريخ طبقات فقهاء تونس لابى محمد عبد الله ابن ابراهيم بن أبى العباس بن خلف التميمى . وعنوان الدراية . فى ذكر من كان فى المائة السابعة ببجاية . لابى العباس بن الغبريني . وتاريخ تلمسان لابن الاصفر . وتاريخها أيضا لابن هدية وتاريخ فاس لابى عبد الكريم . وتاريخها أيضا لابن ابى زرع . وتاريخ فاس ايضا للفولجى . وتاريخ سبتة المسمى بالفنون الستة لابى الفضل عياض بن موسى بن عياض تركه فى مسودته . وتاريخ بلنسية لابن علقمة . وتاريخ البيرة لابى القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى الملاذى . وتاريخ شقورة لابن ادريس . وتاريخ مالقة لابى عبد الله ابن عسكر تركه غير متمم فتممه بعد وفاته ابن أخيه أبو بكر ابن خميس . والاعلام بمجلس الأعلام . من أهل مالقة لابى العباس أصبغ ابن العباس . والاحتفال فى أعلام الرجال . لابى بكر

الحسن بن محمد بن مفرج القيسى • وتاريخ قرطبة منتخب كتاب الاحتفال وتاريخ الرؤساء والفقهاء القضاة بطليطلة لابي جعفر بن مظاهر • ومنتخبه لأبى القاسم بن بشكوال • وتاريخ فقهاء قرطبة لابن حبان • وتاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين • وتاريخ قلعة يحصب المسمى بطالع السعدى لابى الحسن ابن سعيد • وتاريخ بقيرة لابى عبد الله بن المؤذن • والدرة المكنونة • فى أخبار السنفونة • لابى بكر بن محمد بن ادريس العرابى الغلوسى • ومزية المرية لابي جعفر أحمد بن خاتمة من أصحابنا • وتاريخ مرية وباجة لشيخنا نسيج وحده أبى البركات بن الحاج متع الله بافادته وهو فى مبيضته لم يرمها بعد •

فداخلتنى عصبية لاتقدح في دين ولا منصب • وحمية لا يذم فى مثلها متعصب • رغبة أن يقع سؤالهم وذكرهم من فضل الله جناب مخصب • ورأيت أن هذه الحضرة التى لاخفاء بها وفر الله من أسباب ايثارها • وزاد من جلال مقدارها • جعلها الله ثغر الاسلام • ومتبوء العرب الاعلام • قبيل رسوله عليه الصلاة والسلام • وما خصه به من اعتدال الاقطار • وجريان الانهار • وانفساح الاعمار • والتفاف الاشجار • دخلها العرب الكرام عند دخولهم محطبين ومنقطعين • وهبوا بدعوة فضلها مهطعين • فعمروا وأولدوا وأثبتوا المفاخر وخلدوا • الى أن صارت دار ملك • ولبة سلك • فنبه المقدار وان كان شبيهاً • وازدادت الخطة ترفيعاً • وجاب الى سوق الملا بما نفق فيها • فكم ضمت جدرانها من رئيس يتقى الصباح هجومه • ويتخوف الليل طروقه ورجومه • ويفتقر الغيث لنوائله الممنوحة سجومه • وعالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها • ويدعو بالمشكلات فيأخذ بنواصيها • وعالم بالله قد وسم السجود جبينه • وأشعث أغبر لو أقسم على الله لأبر يمينه • وبليغ قد أذعنت لبراعة

خطه وشحية الخط • يغوص على درر البدائع فيلقيها من طرسه الرائع الشط • لم يقم بحقها ممتعض حق الامتعاض • ولا فرق بين جواهرها والأعراض هـذا وشجر الاقلام مشرعة ومكان القول والحمد ذو سعة • فهي الحسنى التى عدمت الذام • وزينة الليالى والايام • والهوي ان قيل كلفت بمعانيها • وقصرت الايام على مغانيها • فعاشق الجمال عذره مقبول • ولله در أبى الطيب حيث يقول •

ضروب الناس عشاق ضروبا   فأعذرهم أشفهم حبيباً

فلست ببدع ممن فتن بحب وطن • ولا بأول من شاقه منزل فألقى بالعطن • فحب الوطن معجون بطينة ساكنه • وطرفه مغرى باتمام محاسنه وقد نبه على بن العباس على السبب • وجاء فى التماس التعليل بالعجب • حيث يقول •

وحبب أوطان الرجال اليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصبا منها فحنوا لذالكا

ورميت فى هـذا المعنى بسهم سديد • والممت بغرض ان لم يكن هو فليس ببعيد •

أحبك يامغنى الجلال بواجب   واقطع فى أوصافك الغر أوقاتى
تقسم منك الترب قومى وجيرتى   ففى الظهر أحيائي وفى البطن أمواتى

وقد كان أبو القاسم الغافقي من اهل غرناطة قام من هذا الواجب بغرض • وأتى من كله ببعض . فلم يشف غلة • ولا سد خلة • ولا كثر قلة • فقمت بهذا الوظيف • وانتدبت فيه للتأليف • ورجوت على نزارة حظ الصحة • وازدحام الشواغل الملحة • أن اطلع من هذا المقصد بالعبء الذى طالما

طأطأت له الأكتاد . واقف منه الموقف الذى تهيبته الابطال الانجاد فاتخذت الليل رحلا لهذه المطية . وانتضيت العزم ونعمت المطية . بحيث لا مؤانس الا ذبال[1] يكافح جيش الدجى . ودفاتر تلقح الحجا . وخواطر تبتغى الى سماء الاجادة معرجا . واذا صحب العمل صدق النية . أشرفت من التوفيق كل ثنية . وطلعت من السداد كل غرة سنية . وقد علم الله أني لم أعتمد منها دنيا استبيحها . ولا نسمة جاه يستنشق ريحها . وانما هو صبح تبين . وحق رأيته على تعين . بذلت فيه جهدى . واقطعته جانب سهدى . ليتنظم هذا البلد بمثله مما أثير كامنه . وسطرت محاسنه . وانشر بعد الممات فانيه

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصحبينا

فلم أجد واحدة الا استنجدتها . ولا حاشية الا احتشدتها . ولا ضالة الا أنشدتها . والمجتهد فى هذا الغرض مقصر . والمطيل مختصر . اذ ما ذكر لا نسبة بينه وبين ما أغفل . وما جهل أكثر مما نقل . وبحار المداد مسجورة وغايات الاحسان على الانسان محجورة . ومن أراد أن يوازن هذا الكتاب بغيره من الاوضاع فليتأمل فصده ويثير كامنه . ويبدى خبائنه . تتضح له الكرامة ولا يخفى عليه النصفة ويشاهد مجزى السيئة بالحسنة . والاغراب عن الوصمة والظنة . اذ الفاضل فى عالم الانسان من عدت سقطاته فما ظنك بمفضوله وللمعاصر مزية المباشرة ومزيد الخبرة وداعي التشفى والمعارضة وسع الجميع الستر . وشملهم البر . ونشرت جنائزهم لسقى الرحمة

(١) فى القاموس في ذبل وكثمامة ورمانة الفتيلة جميع ذبال وفيه ايضاً وذبال مفتل شدد للكثرة وما زال يفتل من فلان في الذروة والغارب اى يدور من وراء خديعته اهـ .

ومثى الشفاعة الا ماشذ من فاسق أباح الشرع حماه . او غادر وسمه الشؤم الذى جناه . فتختل عرضه عن تخليد مجدو تدوين فخر . وابقاء ذكر لمن لم يهمه قط تحقيق اسم أبيه ولم يعمل لما بعد يومه فكم خلف مما ذكر فيه يجده بين يديه شفيعا فى زلة وآخذا بضبعه الى رتبة او قائماً عند ضيم بحجة . أو عانس يقوم لها مقام متاع ونحلة . أو غريب يحل بغير قطره فيعيد نحلة . صاعد خدم قاعدا ويقظان صبح نائماً وقد رضينا بالسلامة عن الشكر . والاصفاء عن المثوبة والنصفة عوض الحسد اذ الناس على حسب ما سطر ورسم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

والترتيب الذى انتهت اليه جبلتى . وصدقت فى اختياره مخيلتى . هو انى ذكرت البلدة حاطها الله منبهاً منها على قديمها . وطيب هوائها وأديمها . واشرق علاها . وأشرف حلاها . ومن سكنها وتولاها . وأحوال ناسها . ومن دال بها من ضروب القبائل وأجناسها . وأعطيت صورتها وارحت فى الفخر صرورتها[١]

وذكرت الاسماء على الحروف المبوبة . وفصلت اجناسهم بالتراجم المرتبة . فذكرت الملوك والامراء ثم الاعيان والكبراء ثم الفضلاء . ثم القضاة والمقرئين والعلماء . ثم المحدثين . والفقهاء . وسائر الطلبة النجباء . ثم الكتاب والشعراء . ثم العمال للامراء . ثم الزهاد والصلحاء . والصوفية والفقراء . ليكون الابتداء بالملك والاختتام بالمسك . ولينتظم الجميع انتظام السلك . وكل طبقة تنقسم الى من يسكن المدينة بحكم الاصالة والاستقرار . او طرأ عليها مما يجاورها من الاقطار . أو خاض اليها وهو الغريب اثباج البحار . أو ألم بها ولو ساعة من نهار . فان كثرت الاسماء نوعت وتوسعت . وان قلت اختصرت وجمعت . وآثرت ترتيب

---

(١) هكذا في الاصل ولعلها وأرحت بالفخر ضرتها

الحروف فى الاسماء . ثم فى الاجداد والآباء . لشذوذ الوفيات والمواليد التى يرتبها الزمان عن الاستقصاء . وذهبت الى أن أذكر الرجل ونسبه . وأصالته وحسبه . ومولده وبلده ومذهبه . والنحير له الفن الذى دعا الى ذكره وجلبه . ومشيخته ان كان ممن قيد علماً أو كتبه . ومآثره ان كان ممن وصل الفضل سببه . وشعره ان كان شاعراً أو أدبه . وتصانيفه ان كان ممن ألف في فن أو هذبه . ومحنته ان كان ممن أمده الدهر شيئاً وسلبه . ثم وفاته ومنقلبه . اذا استرجع اليه من منحه ماوهبه . وجعلت هذا الكتاب قسمين . ومشتملا على فنين . القسم الاول فى حلى المعاهد والاماكن . والمنازل والمساكن . القسم الثاني في حال الزائر والقاطن . والمتحرك والساكن .

﴿ القسم الاول من قسمى هذا الكتاب فى حلى المعاهد والاماكن ﴾

فصل

﴿ فى اسم هذه المدينة ووضعها على اجمال واختصار ﴾

يقال غرناطة ويقال أغرناطة وكلاهما أعجمى وهى مدينة كورة البيرة بينهما فرسخان وثلثا فرسخ . والبيرة من أعظم كور الاندلس ومتوسطة ما اشتمل عليه الفتح من البلاد وتسمي فى تاريخ الامم السالفة من الروم سنام الاندلس . وتدعى فى القديم بقسطلية وكان لها من الشهرة والعمارة ولاهلها

من الثروة والمدة وبها من الفقهاء والعلماء ما هو مشهور

قال ابو مروان بن حيان كان يجتمع بباب المسجد الجامع من البيرة خمسون حكمة [1] كلها من فضة لكثرة الاشراف بها ويدل على ذلك آثارها الخالدة . واعلامها الماثلة . كطلل مسجدها الجامع الذى تحامي استطالة البلى . وكسلت عن طمس معالمه أكف الردى . الى بلوغ ما فسح له من المدى . بناه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم أمير المؤمنين الخليفة بقرطبة رحمه الله على تأسيس حنش بن عبد الله الصنعانى الشافعى رحمه الله وعلى محرابه لهذا الوقت « بسم الله بنيت لله أمر ببنائها الامير محمد بن عبد الرحمن أكرمه الله رجاء ثوابه العظيم وتوسيعاً لرعيته فتم بعون الله على يد عبد الله عامله على كورة البيرة في ذى القعدة سنة خمسين ومائتين »

ولم تزل الايام تخيف ساكنها . والعفا يتبوأ مساكنها . والفتن الاسلامية تجوس اماكنها . حتى شملها الخراب . وتقسم قاطنها الى الاغتراب . وكل الذى فوق التراب تراب . وانتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربرية سنة أربع مائة من الهجرة فما بعدها ولجأوا الى مدينة غرناطة فصارت حاضرة الصقع وأم المصر وبيضة ذلك المجد لحصانة وضعها وطيب هوائها . ودرور مائها . ووفور مادتها فأمن فيها الخائف ونظم النشر . ورسخت الاقدام وتأثل المصر . وهلم جرا .

فهى بالاندلس قطب بلاد الاندلس ودار الملك ومقر الامارة أبقاها الله متبوأ الملك الى أن يرث الارض ومن عليها بقدرته .

من كتاب البيرة قال بعد ذكر البيرة . وقد خلفها بعد ذلك كله مدينة

---

(١) الحكمة بالتحريك ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه اه .

غرناطة من أعظم مدنها وأقدمها وعند ما انقلبت العمارة اليها من البيرة دارت أفلاك البلاد الاندلسية عليها فهي فى وقتنا هذا قاعدة الدنيا . وقرارة العليا . وحاضرة السلطان . وقبة العدل والاحسان . لا يعدلها فى داخلها وخارجها بلد من البلدان . ولا يضاهيها في اتساع عمارتها . وطيب قرارتها . وطن من الاوطان . ولا يأتى على مصر أوصاف جمالها . يعجز عن اوصاف جلالها قلم البيان . أدام الله فيها العز للمسلمين والاسلام . وحرسها ومن اشتملت عليه من خلفائه . وانصار لوائه . بعينه التى لا تنام . وركنه الذى لا يرام .

وهذه المدينة من معمور الاقليم الخامس يبتدئ من الشرق ومن بلاد يأجوج ومأجوج ثم يمر على شمال خراسان ويمر على سواحل الشام مما يلى الشمال ويمر على بلاد الاندلس قرطبة واشبيلية وما والاها الى البحر المحيط الغربى . وقال صاعد بن أحمد فى كتاب الطبقات ان معظم الاندلس فى الاقليم الخامس وطائفة منها فى الاقليم الرابع كمدينه اشبيلية ومالقة وغرناطة والمرسية والمرية .

وذكر العلماء بصناعة الاحكام أن طالعها الذى اختطت فيه السرطان فحازت لأجل ذلك مزايا وحظوظاً من السعادة اقتضاه تسيير احكام القرانات الانتقالية على عهد تأليف هذا الموضع . وطولها سبع وعشرون درجه وثلاثون دقيقه . وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهى مساوية فى الطول بأمر يسير لقرطبة وميورقة والمرية وتقرب فى العرض من اشبيلية والمرية وشاطبة وطرطوشة وسردانية وانطاكية والرقة كل ذلك بأقل من درجة . فهى شامية فى اكبر أحوالها قريبة من الاعتدال . وبينها وبين قرطبة اعادها الله تعالى تسعون ميلا . وهى منها بين شرق وقبلة . وبحر الشام

يحول ويحاجز بين الاندلس وبلاد العدوة وبين غرب وقبلة على أربعة برد[1] والجبال بين شرق وقبلة والبواجلات بين شرق وجنوب والكتبانية بين غرب وقبلة وبين جوف وغرب فهي لمكان جوار الساحل ممارة بالبواكر الساحلية طيبة النجار وركاب الجهاد البحرية ولمكان استقبال الجبال المقصودة بالفواكه المتأخرة اللحاق معللة بالمدخرات استدبار الكتبانية واصطبار البراجلات بحر من بحر الحنطة ومعدن للحبوب المفضلة ولمكان شلير جبل الثلج أحد مشاهير جبال الارض الذي ينزل به الثلج شتاء وصيفاً وهو على قبلة منها على فرسخين وينساب منه ستة وثلاثون نهراً من فوهات الماء وتنبجس من سفوحه العيون صح منها الهواء واطردت في أرجائها وساحاتها المياه وتعددت الجنات بها والبساتين والتفت الادواح وشمر الرواد على منابت العشب فى مظان العقار ومستودعات الادوية النباتية وبردها لذلك فى المنقلب الشتوي شديد وتجمد بسببه الادهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج فى بعض السنين فجسوم أهلها بصحة الهواء صلبة وسحانهم خشنة وهضومهم قوية ونفوسهم لمكان الحر الغريزى جريئة وهي دار منعة وكرسى ملك ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرموتة وقد عولوا عليها للامتساك بدعوتهم . الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم . ومن أبدع ما قيل فى الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب فى معناه قول شيخنا القاضى أبى بكر بن شبرين رحمه الله

رعى الله من غرناطة متبوأ ... يسر كئيباً أو يجير طريدا

تبرّم منها صاحبي عند ما رأي ... مسارحها بالبرد عدن جليدا

---

(١) جمع بريد والبريد اثنا عشر ميلا اه .

هى الثغر صان الله من اهلت به　　وما خير ثغر لايكون برودا

وقال الرازى عند ذكر كورة البيرة ويتصل بأحوال قبرة كورة البيرة وهى بين الشرق والقبلة وأرضها سقى غزيرة الانهار كثيرة الثمار ملتفة الاشجار وأكثرها أدواح الجوز ويحسن فيها قصب السكر ولها معادن جوهرية من ذهب وفضة ورصاص وحديد وكورة البيرة أشرف الكور نزلها جند دمشق ٠

وقال لها من المدن الشريفة مدينة قسطلية وهي حاضرة البيرة وفحصها لا يشبه بشئ من بقاع الارض طيبا ولا شرفا الا بالغوطة غوطة دمشق

وقال بعض المؤرخين ومن كرم أرضنا انها لاتعدم زريعة بعد زريعة ورعيا بعد رعى طول العام وفى عمالتها المعادن الجوهرية من الذهب والفضة والرصاص والحديد والتوتيا وبناحية دلاية من عملها عود اليلنجوج لايفوقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحة وقد سيق منه لخيزوان صاحب المرية كان منبته بين أحجار هنالك وبجبل شتيل منها سنبل فائق الطيب ومنه الجنطيانا يحمل منه الى جميع الآفاق وهو رفيع ومكانه من الادوية الترياقية مكانه وقد خاطب فيها أبو جعفر المنصور وبه المرقشيثا على اختلافها واللازورد وبفحصها وما يتصل بها القرمز وبها من العقار والادوية النباتية والمعدنية مالا يحتمل ذكره ولا يحاز وكفى بالحرير الذى فضلت به فخراً وقنية وغلة شريفة وفائدة عظيمة تمتار منها البلاد وتجلبه الرفاق فضيلة لايشاركه فيها الا البلاد العراقيه وفحصها الافيح المشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالى قد دحاه الله

فى بسيط سهل تخترقه المذانب [1] وتتخلله الانهار والجداول وتتزاحم فيه الغرف والجنات فى ذرع أربعين ميلا أو نحوها تنبو العين فيها عن وجهه ولا تتخطى المحاسن منها مقدار رفعة الهضاب والجبال المتطامية منه بشكل ثلثى دارة قد عات منه المدينة فيما يلى المركز من جهة القبلة مستندة الى اطواد سامية . وهضاب عالية . ومناظر مشرفة فهى قيد البصر ومنتهى الحسن ومعنى الكمال أبقى الله عليها وعلى من بها من عباد الله المؤمنين جناح ستره ودفع عنهم عدوّ الدين بقدرته .

فصل

فى فتح المدينة ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها وما كانت عليه أحوالهم وما تعلق بذلك من تاريخ

قال المؤلف اختلف المؤلفون فى فتحها قال ابن القوطية ان بليان الرومى الذى ندب العرب الى غزو الاندلس طالبا لوتره من ملكها لزريق بما هو معلوم قال لطارق ابن زياد قد فضضت جيوش الروم ورعبوا فاصمدا لبيضتهم وهؤلاء أدلاء من أصحابى ففرق جيوشك فى البلدان واعمد أنت

(١) جمع مذنب كثير الغرقة ومسيل الماء الي الارض ومسيل فى الحضيض والجدول يسيل عن الروضة بمائها الى غيرها اه قاموس

الى طليطلة حيث معظمهم واشتغل القوم عن النظر فى أمورهم والاجتماع الى أولي رأيهم قال ففرق طارق جيوشه من استجة فبعث مغيثا الرومى مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان الى قرطبة وبعث جيشاً آخر لمالقة وأرسل جيشاً ثالثاً الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو فى معظم الناس يريد طليطلة قال فمضى الجيش الذى وجهه طارق الى مالقة ففتحها ولجأ علوجها الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا مدينتها وفتحوها عنوة وألفوا بها يهوداً ضموهم الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنة متبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهوداً ضموهم الى قصبتها ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها ثم مضى الجيش الى تدمير ٠

وكان دخول طارق بن زياد الاندلس يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين وتسعين ٠ وقيل فى شعبان ٠ وقيل فى رمضان موافق شهر غشت من شهور العجمية ٠

وذكر معاوية بن هشام وغيره أن فتح ما ذكر تأخر الى دخول موسى ابن نصير فى سنة ثلاث وتسعين توجه ابنه عبد الأعلى فى جيش الى تدمير فافتتحها ومضى الى البيرة فافتتحها ثم توجه الى مالقة ٠

قال المؤلف رحمه الله ولما استقر ملك الاسلام بجزيرة الاندلس ورمى الى قصبتها الفتح وأشرأب فى عرصاتها الدين ونزلت قرطبة وسواها العرب فتبوؤا الاوطان ٠ وعمروا البلدان ٠ فالداخلون بعد على موسى بن نصير والداخلون بعدهم بلج بن بشر القشيرى يسمون بالشاميين وكان دخول بلج بن بشر القشيرى بالطالعة البلجية سنة خمس وعشرين ومائة

ولما دخل الشاميون مع أميرهم بلج حسبما تقرر فى موضعه وهم أسود

الشرى عزة وشهامة غص بهم السابقون الى الاندلس وهم البلديون وطالبوهم بالخروج عن بلدهم الذى فتحوه وزعموا انه لايحملهم واياهم واجتمعوا لغزوهم فكانت الحروب تدور بينهم الى أن وصل الاندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي عابراً اليها البحر من ساحل تونس وأطل على قرطبة على حين غفلة وقد ستر خبر نفسه والحرب بينهم فانقاد اليه الجميع بحكم عهد حنظلة ابن صفوان والى افريقية وقبض على وجوه الشاميين عازما عليهم فى الانصراف حسبما هو مشهور ورأى تفريق القبائل في كور الاندلس ليكون أبعد للفتنة ففرقهم وأقطعهم ثلث أموال أهل الذمة الباقين من الروم فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة ٠

قال ابو مروان اشار على ابى الخطار أرطباس قوس الاندلس وزعيم عجم الذمة ومستخرج خراجهم لامراء الاسلام وكان هذا القوس شهير العلم والدهاء لاول الامر بتفريق القبائل الشاميين العلميين عن دار الامارة قرطبة اذ كانت لاتحملهم وانزالهم بالكور على شبه منازلهم التي كانت فى كور شامهم ففعل ذلك عن اختيار منهم فانزل جند دمشق كورة البيرة والازدبين كورة جيارن وجند مصر كورة باحت وبعضهم بكورة تدمير فهذه منازل العرب الشاميين وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة طعمة وبقى العرب والبلديون والبرابرة شركاؤهم وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتمولوا الا من كان قد نزل منهم لاول قدومه فى الفتوح على عنائهم لم يعرض لهم فى شئ منها فلما رأوبلدنا شبه بلدانهم بالشام نزلوا وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتمولوا الا من كان قد نزل منهم لاول قدومه موضعا رضيا فانه لم يرتحل وسكن به مع البلديين فاذا كان العطاء او حضر الغزو لحق بجنده فهم الذين

كانوا سموا الشادة حينئذ .

قال احمد بن موسى وكان الخليفة يعقد لواءين لواء غاز ولواء مقيم وكان رزق الغازى بلوائه مائتى دينار ويبقى المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر ثم يدال بنظيره من أهله أوغيرهم وكان الغزاة من الشاميين مثل اخوة المعهود له أو بنيه او بنى عمه يرزقون عند انقضاء غزاته عشرة دنانير وكان يعقد المعقود له مع القائد يتكشف عمن غزا ويستحق العطاء فيعطى على قوله تكرمة له وكان خدمتهم في العسكر واعتراضهم اليه ومن كان من الشاميين غازيا من غير بيوتات العقد ارتزق خمسة دنانير عند انقضاء الغزو ولم يكن يعطى أحد من البلديين شيئاً غير المعقود له وكان البلديون أيضاً يعقد لهم لواءآن لواء غاز ولواء مقيم وكان يرتزق الغازى مائة دينار وازنة وكان يعقد لغيره الى ستة أشهر ثم يدال بنظيره من غيرهم ولم يكن الديوان والكتبة الا فى الشاميين خاصة وكانوا أحراراً من العشر معدين للغزو ولا يلزمهم الا المقاطمة على أموال الروم التى كانت على ايديهم وكان العرب من البلديين يؤدون العشر مع سائر أهل البلد وكان أهل بيوتات منهم يغزون كما يغزو الشاميون بلا عطاء فيسير بهم الى ما تقدم ذكره وانما كان يكتب اهل البلد فى الغزو وكان الخليفة يخرج عسكرين الى ناحيتين يستتر بهم وكانت طائفة ثالثة يسمون النظراء من الشاميين والبلديين كانوا يغزون كما يغزو أهل البلد من الفريقين .

وقد بينا نبذة من أحوال هؤلاء العرب والاستقصاء يخرج كتابنا عن غرضه والاحاطة لله سبحانه

﴿ ذكر ما آل اليه حال ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الايجاز والاختصار ﴾

قال المؤلف ولما استقرّ بهذه الكورة الكريمة أهل الاسلام وأنزل الامير أبو الخطار قبائل العرب الشاميين بهذه الكورة وأقطعهم ثلث أموال المعاهدين استمرّ ساكنهم فى غمار[1] من الروم يعالجون فلاحة الارض وعمران القرى يرأسهم أشياخ من اهل دينهم أولوا حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجباية اللازمة ارؤسهم وأحزمهم رجل يعرف بابن القلاس له شهرة وصيت وجاه عند الامراء بها وكانت لهم بخارج الحضرة على غلوتين تجاه باب البيرة فى اعتراض الطريق والميا بمين الماء الى قولجر كنيسة شهيرة اتخذها لهم أحد الزعماء من أهل دينهم استركب بعض أمرائها فى جيش خشن من الروم فاصبحت فريدة في العمارة والحلية أمر بهدمها الامير يوسف بن تشفين لتأكد رغبة الفقهاء وتوجه فتواهم قال ابن الصيرفى خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الاثنين عقب جمادى الآخيره من عام اثنين وتسعين واربعمائة فصيرت للوقت قاعا وذهبت كل يد بما أخذت من انقاضها وآلاتها

قلت ومكانها اليوم مشهور وجدارها ماثل ينبىء عن احكام وأصالة وعلى بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك رحمه الله . ولما تحركت امدوالله الطاغية ابن رذمير ريح الظهور على عهد لدولة المرابطية قبل ان يحصر الله شوكته على افراخه بما هو مشهور راملت المعاهدة من النصارى لهذه الكورة ادراك الترة

---

(١) الغمار جمع غمر وهو من الناس جماعتهم ولفيفهم اهـ

وأطمعت فى المملكة فخاطبوا بن ذرميرمن هذه الاقطار وتوالت عليه كتبهم وتواترت رسلهم ملحة بالاستدعاء مطمعة فى دخول غرناطه فلما أبطأ عنهم وجهوا اليه زماماً يشتمل على اثنى عشر الفاً من انجاد مقاتليهم لم يعدوا فيها شيخاً ولا غراً واخبروه ان من سموه ممن شهدت أعينهم لقرب مواضعهم وبالبعد من يخفى أمره ويظهر عند ورود شخصه فاستأثروا طمعه وابتعثوا حشفة واستنفروه باوصاف غرناطة ومالها من الفضائل على سائر البلاد وبفحصها الافيح وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق من الحرير والكروم والزيتون وانواع الفواكه وكثرة العيون والانهار ومنعة قبتها وانطباع رعيتها وتأتي أهل حاضرتها وجمال أشرافها واطلالها وانها المباركة التى يملك منها غيرها المسماة سنام الاندلس عند الملوك فى تواريخها فرموه حتى اصابوا غربه فانتخب واحتشد وتحرك اول شعبان من عام خمسة عشر وخمس مائة قد أخفى مذهبه . وكتم أربه . فوافى بلنسية ثم الى مرسية ثم الى بيرة ثم اجتاز بالمنصورة ثم انحدر الى برشانة ثم تطوّح الى وادى تاحلة ثم تحرك الى بسطه ثم الى وادى آش فنزل بالقرية المعروفة بالقصر وصافح المدينة بالحرب ولم يحصل بطائل فاقام عليها شهراً .

قال صاحب كتاب الانوار الجليلة فبدأ بحث المعاهدة بغرناطة فى استدعائه فافتضح تدبيرهم باجتلابه وهم أميرها بتثقيفهم فاعياهم ذلك وجعلوا يتسللون الي محلته على كل طريق وقد أحدقت جيوش المسلمين من أهل العدوة والاندلس بغرناطة حتى صارت كالدائرة وهى فى وسطها كالنقطة لما انذروا بغرضه وتحرك من وادى آش فنزل بقرية دجمة وصلى الناس بغرناطة صلاة الخوف يوم عيد النحر من هذه السنة فى الاسلحة والاهبة وبعيد الظهر من

غده ظهرت اخبية الروم بالتيل شرقى المدينة وتوالى الحرب على فرسخين منها وقد اجلى السواد وتزاحم الناس بالمدينه وتوالى الجليد واظلت الامطار واقام العدو بمحلته بضع عشرة ليلة لم تسرح له سارحة الا أن المعاهدة تجلب له الاقوات ثم أقلع وقد ارتفع طمعه عن المدينة لأربع بقين من ذى الحجة عام عشرين بعد أن قرع مستدعيه اليها وكبيره يعرف بابن الفلاس فاحتجوا ببطئه وتلومه حتى تلاحقت الجيوش وأنهم قدوقعوا مع المسلمين في الهلكة فرحل عن قرية مرسانة الى بيش ومن الغد الى السكة من أحواز قلعة يحصب ثم اتصل الى الدربيانية ونكب الى قبرة والساقة والجيوش المسلمة فى أذياله وأقام بقبرة أياما ثم تحرك الى بلى والعساكر فى أذياله وسمحته[1] فى فحص الرنيسول مكافحة فى أثنائها فى مناوشة وظهور عليه

ولما جن الليل أمر أميرهم برفع خبائه من وهدة كان فيها الى نجدة فساءت الظنون واختلّ الامر ففر الناس والمسلمون وتهيب العدو المحلة فلم يدخلها الا بعد مدة من الليل واستولى عليها وتحرك بعد الغد الي جهة الساحل فشق العمامة لامتهمن الاقاليم والشارات[2] *فيقول بعض شيوخ تلك الجهة انه اجتاز بوادي شلوبانية المطل الحافات المتحصن المجاز وقال بلغته أى قبر هذا لو ألفينا من يصب علينا التراب ثم عرج يمنة الى بلش وأنشأ بها جفناً صغيراً يصيد له حوتاً أكل منه كأنه نذركان عليه وفى به أو حديث أراد أن يخلد عنه ثم عاد الى غرناطة فاضطربت بها محلته بقرية ذكر على

---

(١) هكذا بالاصل (٢) في القاموس العمامة بالكسر المغفر والبيضة وعيدان مشدودة تركب في البحر ويعبر عليها فى النهر اه وفيه أيضاً والشري كعلي رذال المال وخياره كالشراة ضد والجبل والطريق اه

ثلاثة فراسخ منها قبلة ثم انتقل بعد ذلك بيومين الى قرية همذان وبرز بالكتب جاغرسطة من المدينة وكان بينه وبين عساكر المسلمين مواقفة عظيمة ولأهل غرناطة بهذا الموضع حدثان ينظرونه من القضايا المستقبلة.

[١] قال ابن الصيرفي قد ذكر فى بعض كتب الجفر هذا الفحص بخراب عن يتامى وأيامى فكان هذا اليوم معرضاً لذلك فوق الله وانتقل بعد يومين الى الفرج مضيقاً عليه والخيل تحرجه فنزل بعين أطسه والجيوش محدقة به وهو فى نهاية من كمال التعبية وأخذ الحذر بحيث لا تصاب فيه فرصة ثم تحرك على البراجلات الي اللقوق الي وادي آش وقد أصيب كثير من حاميته وطوى المراحل الى الشرق فاجتاز الى مرسية الي جوف شاطبة والعساكر فى كل ذلك تطأ أذياله والتناوش يتخطفه والوباء يسرع اليه حتى لحق بلاده وهو ينظر الى قفاه مخترماً مفلولاً من غير حرب يكاد الموت يستأصل محلته وحملته .

ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المعاهدين ما أجلت عنه هذه القضية أخذهم الارجاف ووغرت لهم الصدور ووجه القاضي أبو الوليد بن رشد الاجر وتجشم المجاز ولحق بالامير يوسف بن تاشفين بمراكش فبين له أمر الاندلس وما بايت به من معاهديها وما جنوه عليها من استدعاء الروم وما فى ذلك من نقض العهد والخروج عن الذمة وأفتى بتغريبهم واجلائهم عن أوطانهم وهو أخف مايؤخذ به من عقابهم فأخذ بقوله ونفذ بذلك عهده وأجاز منهم الى بر العدوة فى رمضان من العام المذكور عدداً جما أنكرتهم الاهواء وأكلتهم الطرق وتفرقوا شذر مذر وأصاب كثيراً من

---

(١) بياض في الاصل

الجلاء جمتهم من اليهود وتقاعدت بها منهم طائفة هبت لها بمالأة بعض الدول ريح فأقروا وأكثروا الى عام تسعة وخمسين وخمس مائة ووقعت فيهم وقيعة احتشتهم بالاصابة لهذا العهد قليلة قديمة المذلة وحالفت الصغار جعل الله العاقبة لأوليائه .

ذكر ماينسب لهذه الكورة من الاقاليم التي نزلتها العرب بخارج غرناطة وما يتصل بها من العمالة وما اشتمل عليه

(خارج المدينة من القرى والجنات والجهات)

قال المؤلف رحمه الله وتحف صورة هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى البساتين العريضة المستخلصة والادواح الملتفة فيصير سورها من خلف ذلك كأنه من دون سياج كثيفة تلوح نجوم الشرفات أثناء خضرائه ولذلك ماقلت فيه في بعض الاغراض .

بلد تحف به الرياض كأنه ... وجه جميل والرياض عذاره

وكأنما واديه معصم غادة ... ومن الجسور المحكمات سواره

فليس تعرو من جنباته عن الكروم والجنات جهة الا مالا عبرة به مقدار غلوة أما ماحازة السفل من حومته [1] فهى عظيمة الخطر متناهية القيم يضيق جد من عدا أهل الملك عن الوفا بأثمانها منها مايغل فى السنة الواحدة نحو الالاف من الذهب قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة

(١) فى القاموس حومة البحر والرمل والقتال وغيره معظمه اه

والثمرة المدخرة يختص منها بمستخلص السلطان المدور طوقاً على ترائب بلده مايناهز مائة منها الجنة المعروفة بعد ان الميسة والجنة المعروفة بعد ان عصام والجنة المعروفة المروى والجنة المنسوبة الى قداح بن سحنوق والجنة المنسوبة لابن المؤذن والجنة المنسوبة لابن كامل وجنة النخلة العليا وجنة النخلة السفلى وجنة ابن عمران والجنة التى الى نافع والجرف الذي ينسب الى مقبل وجنة العرض وجنة الحفرة وجنة الجرف ومدرج نجد ومدرج السبك وجنة العريف كلها لانظير لها فى الحسن والدمامة والريع وطيب التربة وغرقد السقيا والتفاف الاشجار واستجادة الاجناس الى مايجاورها ويتخللها مما يختص بالاحباس الموقفة والجنان المتملكة وما يتصل بها بوادي سحل مايقيد الطرف . ويعجز الوصف . قد مثلت منها على الانهار المتدافعة العباب . المنارة القباب . واختصت من أشجار العاريات ذات العصير الثاني بهذا السقع ماقصرت عنه الاقطار وهذا الوادى من محاسن هذه الحضرة ماؤه رقراق من ذوب الثلج ومجاجة الجليد ومره على حصى جوهرية بالنبات والظلال محفوفة يأتي من قبلة البلد الى غربه فيمر بين يدي القصور النجدية ذوات المناصب الرفيعة والاعلام المائلة ولاهل الحضرة بهذه الجنات كلف ولذوى البطالة فوق نهره أريك [1] من دمث الرمل وحجال من ملتف الدوح وكان بها شطر من شجر الجوز تنسب الى مامل أحد خدام الدولة الباديسية

---

(١) في القاموس مانصه والاريكة كسفينة سرير فى حجلة اوكل مايتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش او سرير منجد مزين فى قبة او بيت فاذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة ج أريك وأرائك وفيه أيضاً دمث الكان وغيره كفرح سهل ولان اه وفيه أيضاً والحجلة محركة كالقبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس ج حجل وحجال اه وبهذا يتضح المراد من كلام المؤلف

أدركنا المكان يعرف بها * قال أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن حسان ٠

أحنّ الى غرناطة كلما هفت　　نسيم الصبا[1] تهدى الجوى وتشوق

سقى الله من غرناطة كل منهل　　بمنهل سحب ماؤهن هريق

ديار يدور الحسن بين خيامها　　وأرض بها قلب الشجيّ مشوق

أغرناطة العلياء بالله خبرى　　ألهائم الباكى اليك طريق

وما شاقنى الا نضارة منظر　　وبهجة واد للعيون تروق

تأمل اذا أملت حوز مؤمل　　ومدّ من الحمرا عليك شقيق

وأعلام نجد والسكينة قد علت　　وللشفق الاعلى تلوح بروق

وقد سال شنيل فرنداً مهنداً　　نضى فوق درّ ذرّ فيه عقيق

اذا نم منه طيب نشر أراكه　　أراك فتيت المسك وهو فتيق

ومهما بكي جفن الغمام تبسمت　　ثغورا قاح فى الرياض أنيق

ولقد ولعت الشعراء بوصف هذا الوادي وتغالت المقالات فيه فى تفضيله على النيل بزيادة الشين وهو الف من العدد فكأنه قيل بألف ضعف على عادة متناهي الخيال الشعرى في مثل ذلك ولقد ألغزت فيه لشيخنا الحسن ابن الجياب رحمه الله وقد نظم في المعنى المذكور ماعظم له استغرابه وهو ٠

ما اسم اذا زدته ألفاً من العدد　　أفاد معناه لم ينقص ولم يزد

وانما ائتلفا من بعد ما اختلفا　　معنى بشين ومن قدر ومن بلد

ثم يتصل بالحسن العادي البديع

وهو على قسمين خمس من محكم الكدان في نهاية الابداع والاحكام

---

(١) كذا فى النسخ ولعله خففه للضرورة والا فهو بالتشديد فى القاموس هفت الريح هفاً وهفيفاً هبت اه

يتصل به بناء قديم محكم ويستقبل الملعب العيدي مابين الجسر الى جدار الرابطة وملعب بديع الشكل عن يمينه جناح بديع عن ميدانه عدوات النهر وعن يساره الجنات ويفضي بعد انتهائه الى الرابطة الى باب القصر المنسوب الى السيد وسيأتى ذكره ويرتفع من هذا النهر الزلال جداول تدور بها أعداد من الارحية لانظير لها استمداداً وافادة .

فصل

وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث الكروم البديعة طوقاً مرقوماً [1] يتصل بما وراءها من الجبال فتم الربا والوهاد وتشمل الغور والنجد الا ما اختص منها بالسهل الأفيح متصلاً بشرقيّ باب البيره الى الخندق العميق وهو المسمى بالمشايخ بسط جليل وجو عريض تعمى على العد أبراجه ومصانعه تلوح مبانيها ناجمة بين الثمار والزيتون وسائر ذوات الفواكه من اللوز والاجاص والكمثرى محدقة من الكروم المسنمة والرياحين الملتفة بجور طامية تأتى البقعة الماء [2] ففيها كثير من البساتين والرياض والحصون والاملاك المتصلة السكنى على الفصول والى هذه الجملة يشير الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي العافية رحمه الله تعالي فى قصيدته يجيب بها عروس الشعراء الاديب الرحال أبا اسحق الساحلي وكان ممن نيطت عليه بهذا المعهد التمائم .

---

(١) في القاموس الرقة الروضة وجانب الوادى أو مجتمع مائه اه

(٢) هكذا في الاصل وليحرر اه

يانازحا لعب المطى بكورة ... لعب الرياح الهوج بالأملود
ورمت به للطية القصوي التي ... ماوردها لسواه بالمورود
هل لاحننت الى معاهدنا التي ... كنت الحلىّ لنحرها والجيد
ورياض أنس بالمشايخ طارحت ... فيه الحمائم صوت سجع العود
ومبيتنا فيها وصفو مدامنا ... صفو المدامة لابنة العنقود
والعيش أخضر والهوى يدني جنا ... زهرات ثغر أو ثمار نهود
والقضب رافلة تعانق بعضها ... بعضاً اذا اعتنقت غصون قدود
لهفي على ذاك الزمان وطيبه ... وعلى مناه وعيشه المحمود
تلك الليالي لايبالي بعدها ... عطلان الا من جوى وشهود
كانت قصاراً ثم طلن فيا أنا ... ناى على المقصور والممدود

وأما ما استند الى الجبل فيتصل به البيازير فى سفح الجبل المتصل بالكدية . ابن سعد متصلا بالكدية المتصلة المنسوبة لعين الدمع منعطفة على عين القبلة متصلة بجبل الفخار ناهلة فى غمر الماء المجلوب على ذلك السمت أوضاع بديعة وبساتين رائقة وجنات لانظير لها فى اعتدال الهواء وعذوبة الماء والاشراف على الارجاء ففيها القصور المحروسة والمنارة المعمورة والدور العالية والمباني الفضية والرياحين النضيرة قد فض فيها أهل البطالة من أولى الخبرة الاكياس وأرخصوا على النفقة عليها غالي النشب تتنازع فى ذلك غير الخادمين من خدام الدولة على ممر الايام حتى أصبحت نادرة الارض والمثل في الحسن ولهذه البقعة ذكر يجرى في منظومات ألسنة البلغاء من ساكنيها وزوارها فمن أحسن مامر من ذلك قول شيخنا أبى البركات

ألا قل لعين الدمع تهمى بمقلتي ... لفرقة عين الدمع وقفا على الدم

وذكرته في قصيدة فقلت

يا عهد عين الدمع كم من لؤلؤ ... للدمع جاد به عساك تعود
تسري نواسمك اللدان بليلة ... فيهزني شوق اليك شديد

وقلت من أبيات تكتب في قبة قصري الذي اخترعته بها .

اذا كان عين الدمع عيناً حقيقة ... فانسانها مانحن فيه ولا دعوى
فدام لخيل الانس واللهو ملعبا ... ولا زال مثواه المنعم لي مثوى
تود الثريا أن تكون له ثرى ... وتمدحه الشعرى وتحرسه الجوزا

وقال صاحبنا الفقيه أبو القاسم بن قرطبة من قصيدة

أجل ان عين الدمع قيد النواظر ... فسرح عيوناً في اجتلاء النواظر
وعرج على الاوزان ان كنت ذا هوى ... فان رباه مرتع للجآذر
وصافح بها كف البهار مسلما ... وقبل عذار الانس بين الازاهر
وخذها على تلك الاباطح والربى ... معتقة تجلو الصدا للخواطر
مدامة حان أنسأ الدهر عمرها ... فلم تخش أحداث الدهور الدوائر
تحدث عن كسرى وساسان قبله ... وتخبر عن كرم يخلد داثر(١)

وهي طويلة .

وقال أيضاً من قصيدة طويلة

وليلا بعين الدمع وصلا قطعته ... وأنجمه بين النجوم سعود
ترى الحسن منشوراللواء بسره ... وظل الأماني في رباه مديد
فبتنا ومن ورد الخدود أزاهر ... لدينا ومن روض الرياض خدود
وتفاحنا وسط الرياض مورّد ... ورماننا وسط الرياض نهود

(١) في القاموس دثر الشجر أورق اه

وقد عرفت نص الهوى وذميله تهائم من أكبادنا ونجود

وقال من قصيدة

ومل بنا نحو عين الدمع نشربها حيث السرور بكاس الانس يسقينا

حيث الهنا وفنون اللهو رائعة والطير من طرب فيها تناجينا

وجدول الماء يحكى فى أجنته صوارما جردت فى يوم صفينا

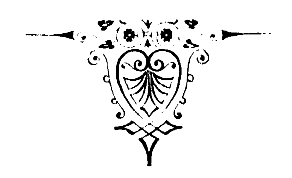
وأعين الزهر فى الاغصان جاحظة كأنها أعين الغزلان تغوينا

ومن ذلك

سهرت بعين الدمع أرعى ربوعه وحسبى من الاحباب رعى المنازل

ينالخنى عرف اذا هبت الصبا ويقنعنى طرف الحبيب المراسل

والاقاويل فى ذلك أكثر من أن يحاط بها كثرة وما سوى هذه الجهة فغير لاحق بهذه الرتبة مما معوله على محض الفائدة . وصريح العائدة . وتذهب هذه الغروس المغروسة قبلة ثم يفيض تيارها الى غرب المدينة وقد كثرت بها الجبال الشامخة والسفوح العريضة والبطون الممتدة والاغوار الحائفة مكالة بالاعناب غاصة بالادواح متزاحمة بالبيوت والابراج بلغ الى هذا العهد عهدها فى ديوان الخرص الى ما يناهز أربعة عشر ألفا نقلت ذلك من خط من يشار اليه فى هذه الوضيعة وقاها الله مضرة السنين ودفع عنها عباب القوم الظالمين وعدوان الكافرين .



فصل

ويحيط بما خلف السور من المباني والجنات في سهل المدينة العقار الثمن العظيم الفائدة المتعاقب الغلة الذي لا يبزه الحمام ولا يفارق الزرع من الارض البيضاء ينتهي ثمن المرجع منها العلي الى خمسة وعشرين ديناراً من الذهب المبين لهذا العهد فيه مستخلص السلطان ما يضيق عنه نطاق القيمة ذرعاً وغبطة وانتظاماً يرجع الى دور ناجمة وبروج سامية وبيادر فسيحة ومصاب للحمائم والدواجن ماثلة منها في طوق البلد وحمى سورها جملة كالدار المنسوبة الى هذيل والدار المنسوبة الى ابن مرضى والدار البيضاء والدار المنسوبه الى السنيات والدار المعروفة بنبلة ووتر . وبالمرج مايساير جرية النهر كقرية وكروبها حصن خريد وبستان رحشى عيون والدار المنسوبة الى خلف وعين الابراج والحش المنسوب الى الصحاف وقرية رومة وبها حصن وبستان والدار المنسوبة الى العطشي وبها حصن الدار والمنسوبة لابن جزى بن مسلمة والحصن المنسوب لأبي عليّ وقرية ناحرة ومنها فضال بن مسلمة الحسنى وبها حصن وحوله ربض فيه من الناس أمة وقرية سبانية وفيها حصن وقرية أشكر وقريتا يشر وواط وفيهما حصنان ومزواط عبدالملك بن حبيب وبهذه القرى الجمل الضخمة من الرجال والفحول من الحيوان الحارث لاثارة الارض وعلاج الفلاحة وفي كثير منها الاراضي والمساجد وما سوي هذا من القري المستخلص من فضلها الاقطاع وقصرت به الشهرة عن هذا النمط

فكثير ويتخلل هذا المتاع الغبيط[1] الذى هو لباب الفلاحة وغير هذه المدرة الطيبة سائر القرى التى بأيدى الرعية مجاورة لهذه الحدود وبنات لهذه الامهات منها ما أنبسط وامتد فاشترك فيه الألوف من الخلق وتعددت منه الاشكال ونحن نوقع الاسم منه على البقعة من غير ملاحظة للتعدد ومنها ما انفرد بمالك واثنين فصاعدا وهو قليل وتنيف أسماؤها على ثلاثمائة قرية ما عدا ما يجاور الحضرة عن كثير من قرى الاقليم أو ما استضافه حدود الحصون المجاورة فمن ذلك حوز الساعدين وفيه القرى وحوزوتر ومنها ابراهيم بن زيد المحاربى وقرية قلحار وقرية ياجر الشاميين وقرية ياجر البلديين وقرية قشتالة ومنها قاسم بن مام من أصحاب سحنون ونزل بها جده عطية بن المحاربى وقرية احجر وقرية أرملة الكبرى وقرية ارملة الصغرى وقرية رقاق وهمدان منها الغريب بن يزيد بن الشمرجد بنى اضحى وقرية الفيضون وقرية لسانة وحارة الجامع وحارة الفرا وقرية غرليانة وحش البكر وغوير الصغرى وغوير الكبرى من اقليم البلاط منها يربوع بن عبد الجليل نزل بها جد جده يربوع بن عبد الملك بن حبيب وقرية قولد وقرية حرليانة وقرية حارة عمروس وحش الظلم وقرية المطار وقرية الصرمورية وقرية بايسانه وقرية الجشان وقرية الشوش وقرية عرثقة وقرية جيجانة وقرية السيجة وقنب قيس وقرية برذنار وقرية دويرتاوش وقرية افلة وقرية احجر وقرية بجوجر وقرية والة وقرية انقر وقرية العروم وقرية دار وهدان وقرية بيرة وقرية القصبية وقرية انكس وقرية فنتيلاق وقرية سنبودة وحش زرنجيل

---

(١) أغبط النبات غطي الارض وكثف وتداني كانه من حبة واحدة وارض مغبطة والغبط ويكسر القبضات المحصودة المصرومة من الزرع اه قاموس بتصرف

وقرية اشنتر وقرية غسان منها مطر بن عيسى الليث وقرية شودر سنتشر وقرية بن ناطح وقرية الملاحة ومنها محمد بن عبد الواحد الغافقي ابو القاسم الملاحي وقرية الغمر ومنها اصبغ بن مطرف وقرية نمجر وغرنطلة وقرية بيرة وبها مسجد قراءة بن حبيب وقرية قولجر منها سهل بن مالك وقرية شور منها محمد بن هانئ الازدى الشاعر المفلق ومحمد بن سهل جد هذا البيت ببنى سهل بن مالك وقرية بليانة وقرية برقاش وقرية ضوجر وقرية البلوط وقرية انتيانة وقرية مرسانة وقرية الدوير وقرية الشلان وقرية طمن منها الطمن صاحب الفلاحة وقرية حبش الدجاج وقرية حبش نوح وقرية حبش حليفة وقرية الطرف الوباني وحش المدينة وحش المعيشة وحش السلسلة وقرية الطرف وقرية البيرة وقرية الشكروجة منها عيسى بن محمد بن أبي زمنين وعين الحورة وحش الفومل وقرية بلومان وقرية زق المخيض وقرية الغيضون الحوزة وقرية اشغطمو وقرية الديموس الكبرى وقرية الديموس الصغرى وقرية دار الغازى وقرية سويدة وقرية الركن وقرية الفنت ومنها صخر بن أبان وقرية الكدية وقرية لاقش وقرية قرسانه بزياط وقرية الدجلة وقرية ساس وقرية وحش صحلي وحش بنى الرسلية وحش رقيب وحش البلوطة وحش الرواس وحش مرزوق وقرية قبالة وقرية نبالة وقرية الغيران وبرج هلال وقرية فلثييش وقرية القنار وقرية اربل وقرية بربل وقرية قوباسة وقرية اشكمد قلنبيرة وقرية سعدى وقرية علقاحج وقرية فتن وقرية مرنيط وقرية ذذشطر وقرية شمانس وقرية ادنالش وقرية وابشر وقرية فقلواش وقرية النيل وقرية الفخار وقرية القصر منها محمد بن احمد بن مرعيان الهلالى وقرية بشر وقرية بنوط وقرية كورة وقرية لص وقرية بيش وقرية قس وقرية دور وقرية قلنفر وقرية غاجي

منها هشام بن عبد العظيم بن يزيد الخولانى وقرية ذرذر وقريه ولجر وقريه قناش وقريه ابتايلس وقريه سمج وقرية منشتال وقرية الوطا وقرية وانا وقرية قريش وقرية الزاوية وقرية النشال .

وقد ذكرنا أن أكثر هذه القرى أمصار فيها ما يناهز خمسين خطبة تنصب فيها لله المنابر وترفع الأيدى وتتوجه الوجوه .

وجملة المراجع العلية المرتفعة فيها فى الأزمنة فى العام بتقريب ومعظمها السقيا الغبيط السمين الغالى ما ينيف على اثنين وستين الفاً وينضاف الى ذلك مراجع الاملاك السلطانية ومواضع أحباس المساجد وسبل الخير ما ينيف على ما ذكر فيكون الجميع باحتياط خمسمائة الف وستين ألفاً والمستفاد فيها من الطعام المختلف الحبوب للجانب السلطانى ثلاثمائة الف قدح ويزيد ويشتمل سورها وما وراءه من الأرحاء الطاحنة بالماء على ماينيف على مائة وثلاثين رحى ألحقها الله جناح الأمنة ولا قطع عنها مادة الرحمة بفضله وكرمه .

﴿ فصل ﴾

وقد فرغنا من ذكر رسوم هذا القطر ومعاهده وفرغنا من تصويره وتشكيله وذكرنا قراه وجناته . وقصوره ومنتزهاته . فنحن الآن نذكر بعضاً من سير أهله وأخلاقهم وغير ذلك من أحوالهم باجمال واختصار فنقول .

أحوال أهل هذا القطر فى الدين والصلاح العقائد أحوال سنّة والنحل فيهم معروفة فمذاهبهم على مذهب مالك بن انس إمام دار الهجرة جارية وطاعتهم للأمراء محكمة وأخلاقهم فى احتمال المعاون الجبائية جميلة وصورهم

حسنة وأنوفهم معتدلة غير حادة وشعورهم سود مرسلة وقدودهم متوسطة معتدلة الى القصر وألوانهم زهر مشربة بحمرة وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها اعراب كثير وتغلب عليهم الامالة واخلاقهم أبية فى معانى المنازعات وأنسابهم عربية وفيهم من البربر والمهاجرة كثير ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء وتتفاضل أجناس البز بتفاضل الجدة والمقدار والكتان والحرير والقطن والموعر والأرديه الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة (١) صيفا فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الازهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة . أنسابهم حسبما يظهر من الاسترعات (٢) والبياعات السلطانية والاجازات عربية يكثر فيها القرشى . والفهرى . والامودى والأموى . والانصارى . والاوسى . والخزرجى . والقحطانى . والحميرى . والمخزومى . والتنوخي . والغسانى . والازدى . والقيسى . والمغافرى . والكنانى . والتميمى . والهذلى . والبكرى . والكلابى . والنمرى . واليعمرى . والمازنى . والثقفى . والسلمى . والفزارى . والباهلى . والعبسى . والعنسى . والعذرى . والحجبي . والضبى . والسكونى والتيمى . والعبشمى . والمرى . والعقيلى . والفهمى . والصريحى . والجزلى والقشيرى . والكلبي . والقضاعى . والاصبحي . والمرادى . والرعينى . واليحصبى . والتجيبى . والصدفى . والغافقى . والحضرمي . واللخمى . والجذامى والساولى . والحكمي . والهمدانى . والمذحجى . والخشنى . والبلوى . والجهنى . والمزني . والطائى . والاسدى . والاشجعى . والعاملى . والخولانى . والايادى . والليثى . والخثعمى . والسكسكى . والزبيدى . والثعلبى . والكلاعي .

---

(١) هكذا في الاصل (٢) هكذا فى الاصل

والدوسى . والحوارى . والسلمانى .

هـذا ويرد كثير من شهادتهم ويقل من ذلك السلمى نسباً ولدوسي والحوارى والزبيـدى ويكثر فيهم كالانصارى والحميـدى والجذامى والقيسى والغساني وكفى بهذا شاهداً على الاصالة ودليلا على العروبية .

وجندهم صـنفان اندلسى وبربرى والاندلسى منهم يقودهم رئيس من القرابة أو حصيّ[1] من شيوخ المالك وزيهم فى القديم شبه زىّ أقيالهم واضدادهم من جيرانهم الفرنج اسباغ الدروع وتعليق الترسة وحفا البيضات واتخاذ عراض الأسنّة وبشاعة قرابيس السروج واستركاب حملة الرايات خلفه كل منهم بصفة تختص بسلاحه وشهرة يعرف بها ثم عدلوا الآن عن هذا الذىّ ذكرنا الى الجواشن المختصرة والبيض المرهفة والدرق العربية والسهام الملطية والاسل العطفية .

والبربرى يرجع الى قبائله المرينية والزناتية والتجانية والمغراوية والعجيسية والعرب المغربية الى أقطاب ورؤس يرجع أمرهم الى رئيس على رؤسائهم وقطب لعرفائهم من كبار القبائل المرينيـة يمت الى ملك المغرب لينسب والعمائم تقل فى زى أهل هـذه الحضرة الا ما شذ فى شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند العربى منهم وسـلاح جوعهم العصى الطويلة المثناة بعصي صغار ذوات عرى فى أوساطها ترفع بالأنامل عند قـذفها تسمى بالامداس وقسى الافرنجة يحملون على التدريب بها على الايام ومنابهم[2] متوسطة وأعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد والغنى بمدينتهم فاش حتى فى الدكاكين التى تجمع صنائعها كثير من الاحداث كالخفافين ومثلهم . وقوتهم الغـالب البر الطيب

---

(١) فى القاموس ما نصه وهو حصىّ كغنى وافر العقل اه

(٢) هكذا فى الاصل

عامة العام وربما اقتات فى فصل الشتاء الضعفة والبوادى والفعلة فى الفلاحة الذرة العربية ومثل أصناف القطانى الطيبة .

وفواكههم اليابسة عامة العام متعددة يدخرون العنب سليما من الفساد الى شطر العام الى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز الى غير ذلك مما لا ينفد ولا ينقطع الامدة فى الفصل الذى يزهد في استعماله .

وصرفهم فضة خالصة وذهب ابريزطيب محفوظ ودرهم مربع الشكل من وزن المهدى القائم بدولة الموحدين فى الأوقية منه سبعون درهما يختلف الكتب فيه . فعلى عهدنا فى شق لااله الا الله محمد رسول الله . وفى شق آخر لا غالب الا الله غرناطة . ونصفه وهو القيراط فى شق . الحمد لله رب العالمين وفى شق . وما النصر الا من عند الله . ونصفه وهو الربع فى شق . هدى الله هو الهدى . وفى شق العاقبة للتقوى .

ودينارهم فى الاوقية منه ستة دنانير وثلثا دينار . وفى الدينار الواحد ثمن أوقية وخمس ثمن أوقية وفي شق منه . قل اللهم مالك الملك الى بيدك الخير ويستدير به قوله تعالى والهكم اله واحد لااله الاهو الرحمن الرحيم . وفى شق الامير عبدالله يوسف بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن نصر أيد الله أمره . ويستدير به لاغالب الا الله ولتاريخ تمام هذا الكتاب فى وجه . يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . ويستدير به لا غالب الا الله . وفى وجه الامير عبد الله الغنى بالله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن نصر أيده الله وأعانه . ويستدير بربع بمدينة غرناطة حرسها الله .

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير أوان ادراكه بما

تشتمل عليه دورهم والبروز الى الفحوص باولادهم وعيالهم معولين فى ذلك على شهامتهم واسلحتهم على اكتناد دوابهم واتصال أمصارهم بحدود أرضه . وحليهم فى القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص الى هذا العهد فى أولى الجدة واللجين فى كثير من آلة الرجلين فيمن عداهم والاحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرذ ونفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل دولة أو اصالة معروفة موفرة .

وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة الا أن الطول يندر فيهن وقد يبلغن من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنافس بالذهبيات والديباجيات والتماجن فى أشكال الحلى الى غاية نسأل الله أن يغض عنهن فيها عين الدهر ويكف كف الخطب ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة وأن يعامل جميع من بها بستره ولا يسلبهم خفى لطفه بعزته وقدرته .

فصل

﴿ فى من تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار امارة باختصار واقتصار ﴾

قال المؤلف أول من سكن هذه المدينة سكنى استبداد وصيرها دار ملكه ومقر أمره الحاجب المنصور أبو مثنى زيرى بن مناد لما تغلب جيش البربر مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة واستولى على كثير

من كور الاندلس عام ثلاثة وأربعمائة فما بعدها وظهر على طوائف الاندلس واشتهر أمره وبعد صيته ثم اجتاز البحر الى بلد قومه بافريقية بعد أن ملك غرناطة سبع سنين واستخلف ابن اخيه حيوس بن ماكس وكان حازما داهية فتوسع النظر الى أن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة وولى بعده حفيده عبد الله بن بلكين بن باديس الى أن خلع عام ثلاث وثمانين وأربعمائة وتصير امرها الى ابى يعقوب يوسف بن تاشفين ملك لمتونة عند تملكه الاندلس ثم الى ولده على بن يوسف وتنوب امارتها جماعة من ابناء الامراء اللمتونيين وقرابتهم كالامير أبي الحسن على بن الحجاج وأخيه موسى والامير أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن ابراهيم والامير أبى الطاهر تميم والامير أبى محمد مزدلى والامير أبى بكر بن أبى محمد وأبى طلحة الزبير بن عمر وعثمان ابن بدر اللمتونى الى أن انقرض أمرهم عام أربعين وخمسمائة وتصير الامر بها للموحدين والى ملكهم أبى محمد عبد المؤمن بن على فتنا وبها جملة من بنيه وقرابته كالسيد أبى سعيد عثمان بن الخليفة والسيد أبى اسحاق بن الخليفة والسيد أبى ابراهيم بن الخليفة والسيد أبي محمد بن الخليفة والسيد أبى عبد الله الى أن انقرض منها أمر الموحدين وتملكها المتوكل على الله الامير أبو عبدالله محمد بن يوسف بن هود فى عام ستة وعشرين وستمائة ثم لم ينشب الى أن تملكها أمير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجى جد هؤلاء الامراء موالينا رحم الله من درج وأعان من خلفه الى أن توفى عام أحد وتسعين وستمائة ثم ولي الامر بعده ولده وسميه محمد بن محمد فقام بها أحمد قيام وتوفى عام أحد وسبعمائة ثم ولى بعده سميه محمد الى أن خلع يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة وتوفى عام أحد عشر وسبعمائة فى ثالث

شوال منه ثم ولي بعده أخوه نصر بن مولانا أمير المسلمين أبي عبد الله فارتاب أمره وطلب الملك اللاحق به مولانا أمير المسلمين أبو الوليد اسماعيل ابن فرج فغلب على الامارة ثاني شهر ذي القعدة من عام ثلاثة عشر وسبعمائة وانتقل نصر الى وادي آش مخلوعاً موادعاً بها الى أن مات عام اثنين وعشرين وسبعمائة وتمادى خلع السلطان أمير المسلمين أبي الوليد الى السادس والعشرين من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة ووثب عليه بعض قرابته فقتله وعوجل بالقتل مع من حضر منهم وتولى الملك بعده ولده محمد واستمر سلطانه الى شهر ذي الحجة من عام اربعة وثلاثين وسبعمائة وقتل بظاهر جبل الفتح وولي بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لباب هذا البيت وواسطة هذا العقد وطراز هذه الحلية ثم اغتاله ممرور من أخابيث السوقة قيضه الله الى شهادته. وجعله سبباً لسعادته. فأكب عليه في الركعة الآخرة من ركعتي عيد الفطر بين يدي المحراب خاشعاً ضارعاً في الحال الذي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وضربه بخنجر مهيء للفتك به في مثل ذلك الوقت كان كما زعموا يحاول شحذه منذ زمان ضربة واحدة على الجانب الايسر من ظهره في ناحية قلبه فقضى عليه وبودر به فقتل وولي الامر بعده محمد ولده أكبر بنيه. وأفضل ذويه. خلقاً وخلقاً وحياء وجودا ووقاراً وسلامة وخيرية ودافع دولته من لا يعبأ الله به ثم تدارك الامر سبحانه وقد أشفى ودافع وكفى بما يأتي في محله ان شاء الله وهو أمير المسلمين لهذا الوقت متع الله به وأدام مدته وكتب سعادته وأطلق بالخير يده وجعله بمراسم الشريعة من العاملين. ولسلطان يوم الدين من الخائفين المراقبين بفضله.

وقد أتينا بما امكن من التعريف بأحوال هذه الحضرة على اختصار

ويأتى أثناء التعريف برجالها كثير من تفصيل ما أجمل وتتميم ما بدا وايضاح ما خفى بحول الله تعالى .

أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القلعي

من أهل غرناطة يكنى أبا جعفر من جلة أعيانها تنسب اليه الساقية الكبرى المجاورة لطرف الحضرة الى البيرة وما والاها

حاله

قال ابن الصيرافى كان الفقيه أبو جعفر القلعي من أهل غرناطة فريد عصره وبديع دهره فى الخير والعلم والتلاوة وله حزب من الليل وكان سريع الدمعة كثير الرواية وهو المشار اليه فى كل نازلة وله العقد والحل والتقدم والسابقة مع منة في جلائل الأمور والنهضة بالاعباء وسمو الهمة .

غريبة فى شأنه

قال كان باديس بن حبوس يتفرس فيه ان ملك دولته ينقرض على يديه فكان ينصب لشأنه أكلبا ويمتلط سيفه الي قتله فحماه الله بالعلم وغلّ يده وأغمد سيفه ليقضي الله أمراً كان مفعولا .

مشيخته

روى عن علىّ بن القطان وأبي عبد الله بن عتاب وابن زكريا القلعي وأبي مروان بن سراج وكان ثقة صدوقاً أخذ عنه الناس .

محنته

ولما أجاز أمير لمتونة يوسف بن تاشفين ثانى حركاته الى الاندلس

ونازل حصن البط وتسارع ملوك الطوائف في جملته كان ممن وصل اليه الامير أبو عبد الله بن بلكين بن باديس صاحب غرناطة ووصل صحبته الوزير أبو جعفر بن القلمي لرغبته فى الاجر مع شهرة مكانه وعلو منصبه ونهوض قرابته من زعماء الأقطار الى هذا الغرض وكان مضرب خيام القلمي قريباً من مضرب حفيد باديس ولمنزلته عند الامير يوسف بن تاشفين وله عليها الخفوف وله به استبداد وانفراد كثير وتردد كثير حتى نفى بذلك حفيد باديس وافهم غبه . قال المؤرخ وكيفما دارت الحال لم يخل من نصح لله ولامير المسلمين .

قلت حفيد باديس كان أدرى بدائه قصر الله خطاانا عن مدارك الشرور فلما صار حفيد باديس الى غرناطة استحضره ونجهه [1] وقام من مجلسه مغضباً وتعلقت به الخدمة وحفت به الوزعة والحراس وهموا بضربه الا أن أم عبد الله تطارحت على ابنها في استحيائه فأمر بتخليصه وسجنه في بعض بيوت القصر فأقبل فيه على العبادة والدعاء والتلاوة وكان جهير الصوت حسن التلاوة فارتج القصر وسكنت لاستماعه الاصوات وهدأت له الحركات واقشعرت الجلود وخافت أم عبد الله على ولدها عقاباً من الله بسببه فلاطفته حتى حل عقاله وأطلقه من سجنه ولما تخلص أعدها غنيمة وكان جزلا قوى القلب شديد الحزم فقال الصيد بغراب أكيس فاتخذ الليل جملا فطلع له الصباح بقلعة يحصب وهى لنظير بن عباد وحث منها السير الى قرطبة فخاطب فيها يوسف بن تاشفين بمل‌ء فيه بما حركه وأطمعه فكان من حركته الى

---

(١) في القاموس التجبه استقبالك الرجل بما يكره أو هو أقبح الرد نجهه كمنعه رده كتنجهه اه بحذف

الاندلس وخلع عبد الله بن بلكين من غرناطة واستيلائه عليها مايرد فى اسم عبد الله واسم يوسف بن تاشفين ان شاء الله وبد الحفيد باديس فى أمر أبي جعفر القلعي ورأي انه أضاع الحزم فى عدم البحث عنه من الغد ونقضت عنه البلدة فلم يقع له على خبر الى أن اتصل به خبر نجاته ولحاقه بمأمنه فرجع باللائمة على أمه ولات حين ندم ولم يزل أبو جعفر مدته فى دول الملوك من لمتونة معروف الحق بعيد الصيت والذكر صدر الحضرة والمخصوص بعلو المرتبة الى حين وفاته .

أحمد بن محمد بن أضحي بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد ابن الشمر بن عبد شهربا بن غريب الهمدانى الالبيرى

(من نزلاء قرية همدان)

ذكره ابن حيان والغافقي وابن مسعدة وغيرهم قال جميعهم كان من أهل البلاغة والبيان والادب والشعر البارع .

مناقبه

قدم على الخليفة أبي مطرف عبد الرحمن فقام خطيباً بين يديه فقال . الحمد لله المحتجب بنور عظمته عن ابصار بريته . والدال بحدوث خلقه على أوليته . والمنفرد بما أتقن من عجائب دهره ومقام صمديته . وأشهد أن

لا اله الا الله وحده لاشريك له اقراراً بربوبيته . وخضوعاً لعزه وعظمته . واشهد ان محمداً عبده ورسوله اتخذه من أشرف البيوتات واصطفاه من أطيب الارومات حتى قبضه الله اليه . واختارله مالديه . وقد قبل سعيه وأداء أمانته . فصلى الله عليه وسلم تسليماً . ثم ان الله لما بعثه من أكرم خلقه وأكرمه برسالته وأنزل عليه محكم تنزيله واختار له من أصحابه وأشياعه خلقاً جعل منهم أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون فجعل الله الأمير أعزه الله وارثا ماخلفوه من معاهدهم . وباني ما أسسوه من مشاهدهم . حتى أمنت المسالك وسكن الخائف والسالك . رحمة من الله ألبسه كرامتها . وطوقه فضيلتها . والله يؤتى ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الله أعطاك التي لا فوقها	وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبي الله الا سوقها	اليك حتى قلدوك طوقها

ثم أردف قوله بهذه الابيات .

أيا ملكا تزهو سيوف الهدى به	اذا لمعت بين المغامد والصرد
ومن بأسه فى منهل الموت وارد	اذا أنفس الابطال كلت عن الورد
ومن ألبس الله الخلافة نعمة	به فاقت النعما وجلت عن الحد
فلو نظمت مروان فى سلك فخرها	لاصبح من مروان واسطة العقد
تجلى على الدنيا فأجلى ظلامها	كما انجلت الظلماء عن قمر السعد
امام هدى أضحت به العرب غضة	ملبسة نوراً كواشية الورد
....	....
يؤكد مايدلي به من مثابه	خلوص اليه عبد ه الفارس الجند
بلى من رآه والرماح شواجر	وخيل الى خيل بأبطالها تردى

رأى أسدا وردا يخف الى الوغى ... ورايته أربى على الاسد الورد
فأنعم عليه اليوم ياخير منعم ... باظهار تشريف وعقد يد عندى
ولا تشمت الاعداء ان جئت قاصدا ... الى ملك الدنيا فأحرم من قصدى
فعند الامام المرتضى كل نعمة ... وشكر لما يسديه من نعمة عندى
فلا زال فى الدنيا عزيزا مظفرا ... وبوأ فى دار العلى جنة الخلد

وكان من بيت سماحة وفصاحة وخطابة فعلا شرفه بهذه الخصال فسجل له على ارحيبة وحصن نبيل ببنى هود وغير ذلك فانقلب مرعي الوسائل . ومقضى الرسائل . قال المؤلف أرى فركون قبل الست عشرة والثلاثمائة

احمد بن محمد بن حمد هشام القرشى من أهل غرناطة

يكنى أبا جعفر ويعرف بابن فركون (أوليته) وكنى بالنسب القرشى أولية (حاله) من عائد الصلة كان من صدور القضاة بهذا الصقع الاندلسى اضطلاعا بالمسائل ومعرفة بالاحكام من مظانها كثير المطالعة والدروب وحي الاجهاز فى فصل القضايا نافذ المقطع كثير الاجتهاد والنظر مشاركا فى فنون عربية وفقه وقراءة وفرائض طيب النغمة بالقرآن حسن التلاوة عظيم الوقار بين طبع ومكسوب فائق الابهة مزريا بمن دونه من الفقهاء وعاقدى الشروط مسقطا للكني والتجلات يعامل الكهول معاملة الاحداث ويتهاون بمعاملات

ذلك فيجعلها دبر أذنه ويسترسل فى اطلاق عنان النادرة الحادة فى مجالس حكمه فضلا عن غيرها وجد ذلك من يحمل عليها سبيلا للغرض منه

﴿ نباهته ﴾

ترشح بذاته . وباهر ادواته . الى قضاء المدن النبيهة والاقطار الشهيرة كرندة ومالقة وغيرهما ثم ولى قضاء الجماعة فى ظل جاه وضمن حرمة

﴿ غريبة فى أمره ﴾

حدث انه كان يقرأ فى شبيبته على الاستاذ الصالح ابي عبد الله بن مسفور بكرم له خارج الحضرة على أميال منها فى فصل العصير قال وجهنى يوما بغلة من الرب لأبيعها بالبلد فاصابنى مطر شديد فعدت اليه بحال سيئة بعد ماقضيت له وطره وكان له أخ أسن منه فعاتبه فى شأني وقال تأخذ صبياً ضعيفاً يأتيك لفائدة يستفيدها وتعرضه لمثل هذه المشقة فى حق مصلحة ليس هذا من شيم العلماء ولا من شيم الصالحين فقال له دعه لابد أن يكون قاضى الجماعة بغرناطة فتذكرت ذلك وصدقت فراسته رحمه الله .

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على الاستاذ أبى القاسم بن الاصفر وبغرناطة على العالم القاضى ابى الحسين محمد بن يحيي بن ربيع الاشعري وعلى الشيخ المفتى أبى بكر محمد ابن ابراهيم بن مفرج الاوسى بن الدباغ الاشبيلى وعلى الخطيب الزاهد ابى الحسن العدال وعلى الاستاذ النحوى ابى الحسن على بن محمد بن على بن يوسف ابن الصائغ بالصاد المهملة والغين المعجمة عرف بابن مسفور .

ولما دالت الدولة كان له فى مشايعة مخلوعها أمور اقتضتها منه رحمة وحسن وفاء أوجبت عليه الخمول بعد استقرارها الى السلطان أبى الوليد رحمه

الله أيام الهياج ونسبت اليـه نقائص زورتها حسدته فصرف عن القضاء وبقي مدة مهجور الفناء مضاع المكان عاطل الدواء منتبذاً في ملك له خارج الحضرة يخنى على خرثى[1] ساقط القيمة ودفاتر ساقطة الثمن يتعلل بعلالتها ويزجى[2] الوقت بيسيرها

حدثني الوزير ابو بكر بن الحكم قال زرته في منزله بعد عزله ونسبته الامر الذى لايليق بمثله فانشدني ما ينبئ عن ضجره وضيق صدره .

أنا عن الحكم تائب وعن دعاويه هارب

بعد التفقه عمرى ونيل أسنى المراتب

وبعدما كنت أرقى على المنابر خاطب

أصبحت أرمى بعار للحال غير مناسب

أشكو الى الله أمرى فهو المثيب المعاقب

وثبت اسمه في التاريخ المسمي بالتاج من تاريخي بما نصه .

شيخ الجماعة وقاضيها . ومنفذ الاحكام وممضيها . وشايم سيوفها الماضية ومنتضيها . رأس بفضيلة نفسه . وأحيا دارس رسم القضاء بدرسه . وأودع فى أرض الاجتهاد . بذر السهاد . فجنى ثمرة غرسه . الى وقار يود رضوى رجاحته ونخار تحسد الارض الغبيطة ساحته . ونادرة يدعوها فلا تتوقف . ويلقى عصاها فتتلقف . ولم يزل يطمح بأمانيه . ويضطلع بما يعانيه . حتى رفع الى الرتبة العالية . وحصل على الحال الحالية . وكان له فى الادب مشاركة . وفى ربض النظم حصة مباركة . انتهى الى قوله يهنى السلطان أبا عبد الله بن نصر بالابلال

---

(١) الخرثىّ بالضم أثاث البيت أو أردأ المتاع اه قاموس

(٢) زجي الوقت تزجية دفعه برفق يقال كيف تزجي الايام اي كيف تدفعها اه مختار

من مرض في اقتران بعيد وفتح وذلك .

شفاؤك للملك اعتزاز وتأييد ... وبرؤك مولانا به عيدنا عيد

مرضت فلم تأو النفوس لراحة ... ولا كان للدنيا قرار وتمهيد

.... ولازمها طول اعتقالك تسهيد

وشعره مختلف عن نمط الاجادة التي تناسب محله في العلم وطبقته في الادراك فاختصرته

مولده عام تسع وأربعين وستمائة ووفاته في السادس عشر لذى القعدة عام تسعة وعشرين وسبعمائة ذكرته في كتاب عائد الصلة قاضياً وفي كتاب التاج المحلى قاضياً أديباً وذكره أبو بكر بن الحكيم في كتاب الفوائد المستغربة . والموارد المستعذبة . من تآليفه .

﴿ احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن

ابن يوسف بن سعيد بن جزى الكلبي من اهل غرناطة ﴾

ويعرف بابن جزى (أوليته) معروفة وأصالته شهيرة تنظر فيما مر من ذلك ذكر سلفه وفيما يأتي من ذلك بحول الله وقوته .

حاله من أهل الفضل والنزاهة والهمة حسن السمت واستقامة الطريقة غرب في الوقار ومال الى الانقباض وترشح الى رتب سلفه له مشاركة حسنة في فنون من فقه وعربية وأدب وحفظ وشعر تسمو ببعضه الاجادة الى غاية بعيدة .

(مشيخته) قرأ على والده الخطيب أبي القاسم ولازمه واستظهر ببعض

موضوعاته وتأدب به وقرأ على بعض معاصرى أبيه وروى واستجاب له ابوه كثيراً من أهل صقعه وغيرهم .

« نباهته » ثم ارتسم فى الكتابة السلطانية لاول دولة السابع من الملوك النصريين منفق سوق الحلبة من أبناء جنسه أبي الحجاج بن نصر فورى زنده ودرت احلاب قريحته وصدر له في مدائحه شعر كثير ثم تصرف في الخطط الشرعية فولى القضاء ببرجة ثم باندرش وهو الآن قاضي مدينة وادى آش مشكور السيرة معروف النزاهة اعانه ذلك وسوده وبلغ به رتبة سلفه وجرى ذكره فى كتاب التاج بما نصه .

فاضل تحلّى بالسكينة والوقار . فمدت اليه رقاب سلفه يد الافتقار ما شئت من هدو وسكون . وجنوح الى الخير وركون . عنى بالمحافظة على سمته منذ عقل . ولزم خدمة العلم فما حاد ولا انتقل . ووجد من أبيه رحمه الله مرعى خصيباً فابتقل . وعمل على شاكلة سلفه في سلامة الجانب . وفضل المذاهب . وتحلى بتلك المآثر وتوشح . وتأهل الى الرتب فى سن الشبيبة وترشح . وله مع ذلك فى لجة الفقه سبح . وعلى بعض موضوعات أبيه شرح . وأدبه ساطع . وكلامه حسن المقاطع . فمن ذلك ما كتب به اليّ وقد خاطبته بما امكن من نظمه .

فديتك يا سيدى مثلما   فداك الزمان الذى زنته

وقوله فى المقطوعات من ذلك فى معنى التورية

كم بكائي لبعدكم وانيني   من ظهيرى على الاسى من معيني

جرح الخد دمع عيني ولكن   عجب أن يجرح ابن معين

وقال فى المعنى .

أرى الناس يولون الغني كرامة — وان لم يكن اهلا لرفعة مقدار
ويلوون عن وجه الفقير وجوههم — وان كان اهلا أن يلقى باكبار
بنو الدهر جاءتهم احاديث جمة — فما صححوا الا حديث ابن دينار

ومن بديع ما صدر عنه قوله ينسج على منوال السقطسى فى قصيدته الشهيرة

أقول لعزمي أو لصالح أعمالى — ألا عم صباحا أيها الطلل البالى
أما واعظي شيب سما فوق لمتى — سمو حباب الماء حالا على حال
أنار به ليل الشباب كانه — مصابيح رهبان تشب لقفال
نهاني عن غيي وقال منبها — ألست ترى السمار والناس أحوالى
يقولون غيره لتنعم برهة — وهل يعمن من كان في العصر الخالى
اغالط دهرى وهو يعلم أنني — كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالى
ومؤنس نار الشيب يقبح لهوه — بآنسة كأنها خط تمثال
أشيخا وتاتي فعل من كان عمره — ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال
وتشغفك الدنيا وما أن شغفتها — كما شغف المهنوءة الرجل الطالى
ألا انما الدنيا اذا ما اعتبرتها — ديار لسلمى عافيات بذى خال
فأين الذين استأثروا قبلنا بها — لناموا فما ان من حديث ولا صالى
ذهلت بها غيا فكيف الخلاص من — لعوب تنسيني اذا قمت سربالى
وقد علمت منى مواعد توبتى — بان الفتى يهذى وليس بفعال
ومذ وثقت نفسى بحب محمد — هصرت بغصن ذى شماريخ ميال
وأصبح شيطان الغواية خاسئاً — عليه القتام سيئ الظن والبال
ألا ليت شعرى هل تقول عزائمي — لخيلى كرى كرة بعد إجفال
فأنزل دارا للرسول نزيلها — قليل هموم ما يبيت بأوجال

فطوبى لنفس جاورت خير مرسل ... بيثرب أدنى دارها نظر عالى
ومن ذكره عند القبول تعطرت ... صبا وشمال فى منازل قفال
جوار رسول الله مجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي
ومن ذا الذي يثني عنان السرى وقد ... كفاني ولم أطلب قليل من المال
ألم تر أن الظبية استشفعت به ... تميل عليه هونة غير مجفال
وقال لها عودي فقالت له نعم ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
فعادت اليه والهوى قائل لها ... وكان عداء الوحش منى على بالى
وثور ذبيح بالرسالة شاهد ... طويل القرى والروق أخنس ذيال
وحن اليه الجذع حنة عاطش ... لغيث من الوسمىّ رائده خالي
وأصلين من نخل قد التأما له ... فما احتبسا من لين مس وتسهال
وقبضة ترب منه ذات لها الظبا ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وأضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا ... وليس بذى رمح وليس بنبّال
وحسبك من سوط الطفيل اضاءة ... كمصباح زيت فى قناديل ذبال
وبدّت به العجفاء كل مطهّم ... له حجبات مشرفات على الفال
ويا خسف أرض تحت باغيه اذ علا ... على هيكل نهد الجزارة جوال
وقد أخمدت نار لفارس طالما ... أصابت غضى جزلا وكفت بأجذال
أبان سبيل الرشد اذ سبل الهدى ... يقلن لاهل الحلم ظلا بتضلال
لأحمد خير العالمين انتقيتها ... ورضت فذلت صعبة أي اذلال
وان رجائي أن ألاقيه غدا ... ولست بمقليّ الخلال ولا قالى
فأدرك آمالي وما كل آمل ... بمدرك أطراف الخطوب ولا والى

ولا خفاء ببراعة هذا النظم وإحكام هذا النسج وشدة هذه المعارضة

وله تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية ورجز فى الفرائض يتضمن العمل واحسانه كثير وتقدم قاضياً بحضرة غرناطة وخطيباً بمسجد السلطان ثاني شوال من عام ستين وسبعمائة ثم انصرف عنها وأعيد اليها في عام ثلاث وستين موصوفاً بالنزاهة والمضاء

﴿ مولده ﴾

فى الخامس عشر من جمادى الأولى من عام خمسة عشر وسبعمائة وهو الآن بقيد الحياة

﴿ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سعده ﴾

﴿ ابن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن سراميل ﴾

(ابن عامر بن الفضل بن بدال بن بكار بن البدر بن سعيد)

« ابن عبد الله العامرى »

يكني أبا جعفر من أهل غرناطة

﴿ أوليته ﴾

عامر الذى ينتسبون اليه عامر بن صعصعة بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان .

﴿ ومن مناقبهم ﴾

ميمونة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن عامر

من أصحابه وعاصم بن عبد الله الجملى ويزيد بن الحمير وغيرهم منزل جدهم الداخل الاندلس وهو بكر بن بكار بن البدر بن سعيد بن عبد الله قرية طغنس من اقليم براجلة من البيرة ٠

قال ابن الصيرافى فى تاريخه الصغير موضع بنى مسعدة موضع كرم ومحمدة ينتسبون فى عامر وهم أعيان علية فرسان أكابر وحجاب وكتاب ووزراء ولهم سابقات ومفاخر ٠ وأوائل وأواخر ٠ ومنهم على القدم جليل نبيه ومنهم كان وضيع بن جراح الفقيه لم يدخل أحد منهم في الفتنة يداً ٠ ولا تأذى به مسلم ولا معاهد على قدرتهم على ذلك وكفى بهذا فخراً لا ينقطع أبداً ٠ ودخل جدهم الاندلس بعقد بنى مروان له سنة أربع وتسعين من الهجرة ويأتى من ذكر أعلامهم مايدل على شرف بيتهم وأصالته وجلالته ٠

﴿ حاله ﴾

كان صدراً جليلاً فقيهاً مضطلعا من أهل النظر السديد والبحث قائماً على المسائل مشاركا فى كثير من الفنون جزلا مهما جاريا على سنن سلفه ريان من العربية وختم سيبويه تفقها وقرأ الفقه واستظهر كتاب التلقين ودرس الاحكام الجيدة وعرضها في مجلس واحد وقرأ أصول الفقه وشرح المستصفى شرحاً حسناً وقرأ الارشاد والنهاية وكان صدراً فى الفرائض والحساب والف تاريخ قومه وقرابته ٠

﴿ ولايته ﴾

ولى القضاء بمواضع من الاندلس كثيرة من البشارات أقام بها أعواما خمسة ثم لوشة وأقام بها ثلاثة أعوام ثم بسطة وبرشانة ثم انتقل الى مالقة وأقام بها أعواماً خمسة ٠ نبهت على مقدار الاقامة لما فى ضمن طول سنى الولاية

من استقامة أمر الوالى وكان له من أمير المسلمين بالاندلس حظوة لطيفة لم تكن لغيره استنزلها بسحر التلطف وخطبها بلسان التملق حتى استحكمت له أسبابها .

حدثني بعض أشياخي عمن يباشر حال السلطان يومئذ قال وجه ابن مسعود ابنه من مالقة بكتاب فى الأغراض الضرورية ثم رغب فيه ان ينعم على ولده بالمشافهة لالقاء أمر ينوب عنه فيه فلما حضر تناول رجل السلطان فقبلها وقال أمرني أبى أن أنوب فى تعفير الوجه فى هذه الرجل الكريمة الجهادية عنه خاصة لبعد عهده بها الى أمثال هذا مما اقتضت الانتفاع بعاجل من الدنيا زهيد لايدرى ما الله صانع فيه والابقاء بما تجاوز الافراط في تقدمه بمالقة بعده دار الأعلام وديوان العقد وهو حدث خلى من العلم قريب العهد بالبلوغ فكانت على انها غاية الصدور منبعاً الى أن ضرب الدهر ضرباته وانتقلت الحال .

مشيخته

أولهم قاضى الجماعة أبو الحسن بن عامر بن ربيع . وثانيهم القاضى أبو عامر يحيي بن عبد الرحمن . وثالثهم أبو يحيي بن عبد المؤمن المخزومي . ورابعهم عدل الرواية أبو الوليد العطار . وخامسهم أبو اسحق بن ابراهيم بن مفرج الخشنى . وسادسهم الاستاذ أبو الحسن الكتاني . وسابعهم محمد بن ابراهيم الاوسى الدباغ . وثامنهم أبو جعفر أحمد بن على الرعينى . وتاسعهم أبو على بن أبى الاحوص وصمته فرقة من الناس انه وجد في خزانته بعد وفاته زمام يشتمل على مثالب أهل غرناطة مما يحدث على الايام في افرادهم من فلتات يجريها عدم الاتصاف بالعصمة استقر عند ولده الفضل زعموا ثم خفى

أثره ستر الله عيوبنا برحمته .

﴿ وفاته ﴾

توفي بمالقة قرب صلاة المغرب يوم الاحد الموفى عشرين لذى الحجة عام تسع وتسعين وستمائة ودفن بخارج باب فسالة من مالقة المذكورة بمقربة من رابعة بني عمار وبالروضة المنسوبة لبنى يحيي نقلته من خط ولده الفضل .

﴿ أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الازدي ﴾

يكني أبا جعفر ويعرف بابن قعنب

﴿ أوليته ﴾

ذكر الاستاذ ابن الزبير فى صلته وغيره ان قوماً بغرناطة يعرفون بهذه المعرفة فان كان منهم فله أولية لا بأس بها

﴿ حاله ﴾

كان من شيوخ كتاب الشروط معرفة بالمسائل واضطلاعاً بالاحكام وانفرد بصحة الوثيقة باقعة من بواقع زمانه وعيابة فى مشايخ قطره يألف النادرة الحادة فى ملاء من النوك والضعفة فلا يهتز لموقع نادرة ولا يضحك عقب صرعة[1] لقلقه غير مامرة غير مجالس من مجالس القضاء من بني مسعود المزراة أحكامهم المرثية بتهكمه وازرائه فتعتع فى طريق حكمهم خطا منفسحة غير مكترث بهوانه ولا غاص بلسانه وربما قال لبعض الوزعة من قادته بمجلسه وقد توقفوا به فى بعض الطريق توقفاً لسكون غضب قاضيهم ابعثوا بعضهم الى هذا

---

(١) قوله لقلقه الخ عبارة قلقة فلتحرر اه

المحروم لنرى ماعزم عليه بكلام كثير الفتور والاستكانة[1] له في هذا الباب شهرة •

«ذكر بعض نزاهته» حدثني ملازمه وقفاً عليه أبو القاسم بن الشيخ الرئيس الشيخ أبي الحسن بن الجياب وقد أعمل ولده رحلة الى مالقة لزيارة شيخه الذى تلمذ له وشهر بالتشيع فيه أبي عبد الله الساحلي صاحب الاتباع والطريقة وكان مفرط الغلو فيه واستصحب ولده الصغير فسأله عن سفر أبيه فقال نعم واحتمل أخي فقال أظنه منذ ولد له كان غير متغطس لحمله الشيخ وغطسه فاستغرب كل من حضر ضحكا فلم يتبسم هو كأنه لاشعور عنده بما ذهب اليه فكانت احدى الطوام عند الشيخ

وحدثني قال جاءت امرأة تخاصم ميارا وصلها من بعض المدن فى أمر نشأ بينهما وبيده عقد قال بعض جيرانه مانصه حاكيا انه جامعها من موضع كذا الى كذا ولم يرسم المدعلى الفجاء فقال الشيخ للمرأة أتعرفين ان هذا الميارجا معك فى الطريق أي فعل بك فقالت معاذ الله ونفرت من ذلك فقال كذا شهد عليك الفقيه وأشار الى جاره ومثل ذلك كثير ولى القضاء بأماكن عديدة كاوشة وبسطة والسند وبرجة وأرحبة وغير ذلك

﴿ مشيخته ﴾

يحمل عن الاستاذ أبي جعفر بن الزبير والخطيب الصالح أبى عبد الله ابن فضيلة وأبى محمد بن سماك وأبي الحسن بن مسعور

﴿ مولده ﴾

عام سبعين وستمائة توفى قاضياً ببرجة بعد علة سدكت به فى السادس عشر من شعبان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة وانتقل منها في وعاء خشب

(١) هكذا في الاصل

ودفن بمقبرة البيرة تجاوز الله عنه ورحمه

أحمد بن أبي سهل بن سعيد بن أبي سهل الخزرجي

من أهل الحمة يكنى أبا جعفر

﴿ حاله ﴾

من أهل الخير والعفاف والطهارة والانقباض والصحة والسلامة أصيل النسب معروف القدم ببلده حادّ النادرة قرأ بالحضرة واجتهد وحصل ولازم الاستاذ أبا عبد الله الفخار وغيره من أهل عصره وولى القضاء ببلده الحمة ثم بغربى مالقة ثم ببلده وهو الآن قاض بها مشكور السيرة

أحمد بن عمر بن يوسف بن ادريس بن عبد الله بن ورد التميمي

من أهل غرناطة يكنى أبا القاسم ويعرف بابن ورد

﴿ حاله ﴾

قال الملاحى كان من أجله الفقهاء المحدثين قال ابن الزبير كذلك وزاد موفور الحظ من الادب والنحو والتاريخ متقدماً فى علم الاصول والتفسير حافظاً متفنناً ويقال ان علم المالكية انتهت اليه الرياسة فيه والى القاضي أبى بكر بن العربي فى وقتهما لم يتقدمهما فى الاندلس واحد بعد وفاة أبي الوليد

ابن رشـد قال أخبرنى الثقة أبو عبد الله بن جوبر عن أبي عمرو بن عات قال حديث ابن العربي اجتمع بابن ورد وتبايتا ليلة وأخذا فى التناظر والتذاكر فكانا عجباً يتكلم أبو بكر فيظن السامع انه ماترك شيئاً الا أتى به ثم يجيبه أبو القاسم بابدع جواب ينسى السامعين ماسمعوا قبله وكانا أعجوبتى دهرهما وكان له مجلس يتكلم فيه على الصحيحين ويخص الأخمسة بالتفسير

﴿ حلوله غرناطة ﴾

قال المؤرخون ولى قضاء غرناطة سنة عشرين فعدل وأحسن السيرة وبه تفقه طلبتها اذ ذاك .

﴿ مشيخته ﴾

روى عن ابى على الغسانى وابى الحسن بن سراج واكثر عنه وابى بكر ابن اسحق الصقلى وأبى محمد بن عبد الله بن فرج المعروف بالعسال الزاهد ولازمه وهو آخر من روى عنه ورحل الى سلجماسة وناظر عبد الله بن العواد وروى ايضاً عن ابى الحسن المبارك المعروف بالخشاف وكان الخشاف يحمل عن ابى بكر بن ثابت الخطيب وغيره

«من روى» عنه روى عنه جماعة كابى جعفر الباذش وابى عبيد الله وابن رفاعة وابن عبد الرحيم وابن حكيم وغيرهم وآخر من روى عنه أبو القاسم بن عمران الخزرجي بفاس .

(وفاته)

توفى بالمرية فى الثاني عشر لرمضان سنة اربعين وخمسمائة .

﴿ احمد بن محمد بن على بن احمد بن على الأموى ﴾

يكنى أبا جعفر ويعرف بابن بطال أصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادى طرش نصر حسن منتماس[1] من شرقى مالقة من بيت خير وأصالة وانتقل سلفه الى مالقة فترسخت لهم بها عروق وصاهروا الى بيوتات نبيهة .

﴿ حاله ﴾

كان من أهل الخير وكان على طريقة مثلى من الصمت والسمت والانقباض والذكاء والعدالة والتخصص متجولا فى الخير ظاهر المروءة معروف الاصالة خالص الطعمة كثير العفة مشهور الوقار والعفاف تحرف بصناعة التوثيق على انقباض .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

تقدم قاضيا بغرناطة بعد ولاية القضاء ببلده وانتقل اليها وقام بالرسم المضاف الى ذلك وهو الامامة بالمسجد الاعظم بها والخطابة بجامع قلعتها الحمراء واستقل بذلك تاسع جمادى الثانية من عام احدى واربعين وسبعمائة على قصور فى المعارف وضعف فى الاداة وكلال فى الجدو لذلك يقول شيخنا أبو البركات ابن الحاج.

ان تقديم ابن بطال دعا　　طالب العلم الى ترك الطلب
حسبوا الاشياء عن اسبابها　　فاذا الاشياء عن غير سبب

الا أنه اعاد الدربة والحنكة على تنفيذ الاحكام فلم تؤثر عنه فيها أحدوثة واستظهر بجزالة أمضت حكمه وانقباض عافاه من الهوادة فرضيت سيرته واستقامت طريقته .

---

(١) كذا بالاصل

﴿ مشيخته ﴾

لقي والده شيخ القضاة وبقية المحدثين وله الرواية العالية والدرجة الرفيعة حسبما يأتى في اسمه ولم يؤخذ عنه شئ فيما اعلم .

﴿ شعره ﴾

أنشدنى الوزيرأبو بكر بن ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم قال أنشدنى القاضى أبو جعفر بن بطال مودعا فى بعض الاسفار

استودع الله الاولىاودعتهم　　قلبي وروحي اذ دنوالوداع

بانواوطرفى والفؤادومقولى　　باك ومسلوب العزاء وداع

فتول يامولاى حفظهم ولا　　تجعل تفرقنا فراق وداع

﴿ وفاته ﴾

توفى رحمه الله وعفا عنه أيام الطاعون الغريب بمالقة فى منتصف ليلة الجمعة خامس صفر عام خمسين وسبعمائة وخرجت جنازته فى اليوم التالي ليلة وفاته فى ركب من الاموات يناهز الألف وينيف بمئين واستمر ذلك مدة وكان مولده عام تسع وثمانين وستمائة رحمه الله تعالى .

﴿ احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن ﴾

﴿ عميرة المخزومى بلنسى شقورى الأصل يكنى ابا المطرف ﴾

﴿ أوليته ﴾

لم يكن من أهل بيت نباهة ووقع لابن عبد الملك فى ذلك نقل كان

حقه التجافى عنه لو وفق .

﴿ حاله ﴾

قال ابن عبد الملك كان أول طلبه شديد العناية بشأن الرواية فاستكثر من سماع الحديث وأخذ عن مشايخ أهله وتفنن فى العلوم ونظر فى العقليات وأصول الفقه ومال الى الادب فبرع فيه براعة عدّ بها من كبار مجيدى النظم وأما الكتابة فهو علمها المشهور . وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور . ولا سيما في مخاطبة الاخوان هنالك استولى على امد الاحسان وله المطولات المنتخبة . والقصار المقتضبة . وكان يملم كلامه نظما ونثرا بالاشارة الى التاريخ ويودعه الماعات بالمسائل العلمية منوعة المقصد قات وعلى الجملة فذات ابى المطرف فيما ينزع اليه ليست من ذوات الامثال فقدكان نسيج وحده ادراكا وتفننا بصيرا بالعلوم محدثا مكثر اراوية ثبتا متبحرا فى التاريخ والاخبار ريان مضطلعا بالاصلين قائما على العربيـة واللغة كلامه كثير الحلاوة والطلاوة جم العيون غزير المعانى والمحاسن شـفاف اللفظ حر المعنى ثانى بديع الزمان فى شكوى الحرفة وسوء الحظ ورونق الكلام ولطف المأخذ وتبريز النثر على النظم والقصور فى السلطانيات

﴿ مشيخته ﴾

روى عن أبي الخطاب بن واجب وابى الربيع بن سلام وابى عبد الله ابن فرج وأبى على الشلوبين وابي عمر بن عات وابى محمد بن حوط الله لقيهم وقرأ عليهم وسمع منهم وأجازوا له وأجاز له من أهـل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبى الفرج وغيره .

روى عنه ابنـه أبو القاسم وابو بكر بن الخطاب وأبو اسحق البلقينى

الجميد والحسن طاهر بن علي الشقوري وابو عبد الله البزى وحدث عنه أبو جعفر بن الزبير وابن شنيف وابن ربيع وغيرهم مما يطول ذكره .

﴿ نباهته ﴾

صحب أبا عبد العزيز بن عبد الله بن خطاب قبل توليته ما تولى من رياسة بلده وانتفع به كثير وكتب عن الرئيس ابى جميل ريان بن سعد وغيره من شرق الاندلس ثم انتقل الى العدوة واستكتبه الرشيد ابو محمد بن أبي الوليد بمراكش مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وولاه قضاء مليانة من نظر مراكش الشرقي فتولاه قليلا ثم نقله الى رباط الفتح وتوفى الرشيد فاقره على ذلك الوالى بعده ابو الحسن المعتضد اخوه ثم نقله الى قضاء مكناسة الزيتون ثم لما قتل المعتضد لحق بسبتة وجرى عليه بطريقها مايذكر فى محنته ثم ركب البحر منها متوجها الى افريقية فقدم بجاية على الامير أبى زكريا ثم توجه الى تونس فنجحت بها وسائله وولى قضاء مدينة الاريس ثم انتقل الى فاس وبها طالت مدة ولايته فاستدعاه المستنصر بالله محمد بن أبى زكريا ولطف محله منه حتى كان يحضر مجالس أنسه وداخله بما قرفته الالسن بسببه حسبما يذكر فى وصمته .

﴿ مناقبه ﴾

وهي الكتابة والشعر كان يذكر انه رأى فى منامه النبي صلى الله عليه وسلم فناوله أقلاما فكان يرى ويرى له أن تأويل الرؤيا ما أدرك من التبريز فى الكتابة وارتفاع الذكر والله أعلم .

ومن بديع ماصدر عنه فيما كتب فى غرض التورية قطعة من رسالة أجاب بها العباس بن أمية وقد أعلمه باستيلاء الروم على بلنسية فقال . بالله

أيّ نحو تنحو . أو مسطور تثبت أو تمحو . وقد حذف الاصل والزائد . وذهبت الصلة والعائد . وباب التعجب طال . وحال البأس لاتخشى انتقال وذهبت علامة الرفع . وفقدت نون الجمع . والمعتل أعدى الصحيح . والمثلث أردي الفصيح . وامتنعت الجموع من الصرف . وأمنت زوائدها من الحذف ومالت قواعد الملة . وصرنا جمع القلة . وظهرت علامه الخفض . وجاء بدل الكل من البعض .

ومن شعره فى المقطوعات التى وري فيها بالعلوم قوله .

قد عكفنا على الكتابة حينا ... ثم جاءت خطة القضاء تليها

مع كَلّ (١) لم يبق للجهد الا ... منزلا نائيا وعيشا كريها

نسبة بدات ولم تتغير ... مثل مايزعم المهندس فيها

وكقوله مما افتتح به رسالة

ياغائبا سلبتنى الانس غيبته ... فكيف صبرى وقدكابدت بينهما

دعواى انك فى قلبي فعارضها ... شوقى اليك فكيف الجمع بينهما

وفى مثل ذلك استفتاح رسالة أيضاً

ان الكتاب اتى وساحة طرسه ... دوح توشح بالبديع مبرقع

وله حقوق ضاق وقت وجوبها ... ومن العجائب ضيق وموسع

وفى مثل ذلك استفتاح رسالة أيضاً

كبرت بالبشرى أتت وسماعها ... عيدى الذى لشهوده تكبيرى

وكذلك الاعياد سنة يومها ... مختصة بزيادة التكبير

---

(١) في القاموس في كل وبالفتح قفا السكين الي ان قال والمصيبة ثم قال والاعياء اهـ بتصرف

وفى اغراض أخر .

بايعونا مودة هي عندى | كالمصرات[1] بيعها بالخداع
فسأقضى بردّها ثم أقضى | بعدها من مدامعى ألف صاع

وله فى معنى آخر .

شرطت عليهم عند تسليم مهجتى | وعند انعقاد البيع حتما[2] يواصل
فلما أردت الاخذ بالشرط أعرضوا | وقالوا يصح البيع والشرط باطل

﴿ تصانيفه ﴾

له تأليف فى كائنة المرية وتغلب الروم عليها نحا فيها نحو العماد الاصفهاني فى الفتح القدسى وكتابة فى تعقبه على فخر الدين بن الخطيب الرازى فى كتاب المعالم فى أصول الفقه منه ورده على كمال الدين ابى محمد عبد الكريم السماكي . فى كتابه المسمى بالتبيان . فى علم البيان . واختصار بنيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك من التعاليق والمقالات ودون الاستاذ ابو عبدالله ابن هانىء السبتى كتابته وما يتخللها من الشعر فى سفرين بديعين أتقن ترتيبهما وسمى ذلك بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام امام الكتابة ابن عميرة أبى المطرف

﴿ دخوله غرناطة ﴾

شيخنا ابو الحسن بن الجياب أخبر بذلك عن شيوخه والرجل ممن يركن اليه فى أخباره مما أخبر قال قال المخبر عهدى به طويلا نحيف الجسم مصفراً أقني الانف أصيب بمالقة احوج ما كان اليه وقد استقبل الكبر ونازعه سوء الحظ قال الشيخ أبو الحسن الرعينى انه كتب اليه يعلمه بهذه الحادثة

---

(١) المصراة الشاة المحفلة اه القاموس (٢) كذا بالاصل ولعله طيفا

عليه وان المنهوب من ماله يعدل أربعة آلاف دينار عشرية وكان ورقا وعينا وحليا وذلك انه لما قتل المعتضد اغتنم الفترة وانفصل عن مكناسة قاصداً سبتة فلقى الرفقة التى كان فيها جمع من بنى مرين فسلبوه وكل من كان معه .

﴿ مولده ﴾

بجزيرة شقر وقيل ببلنسية في رمضان عام اثنين وثمانين وخمسمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفى بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين ذي الحجة عام ستة وخمسين قال عبد الملك ووهم ابن الزبير في وفاته اذ جعلها في حدود الخمسين وستمائة اوبعدها

﴿ أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيي بن عبد الحق الجدلى ﴾

من أهل غرناطة يكنى أبا جعفر ويعرف بابن عبد الحق

﴿ حاله ﴾

من صدور أهل العلم والتفنن فى هذا الصقع الاندلسى نسيج وحده فى الوقار والخطابة والتزام مثلى الطريقة جم التحصيل سديد النظر كثير التخصص محافظ على الرسم مقبوض العنان عن التطفيف فى ايجاب الحقوق لاهلها قريب من الاعتدال في معاملة أبناء جنسه مقتصد مع تورث مؤثر للقريب فى كافة أمره متوقد الفكر مع سكون لين العريكة مع مضاء مجموع خصال حميدة مما يفيد التجريب والحنكة مضطلع بصناعة العربية حائز قصب السبق فيها عارف بالفروع والاحكام مشارك فى فنون من أصول وطب

وأدب قائم على القراءة امام فى الوثيقـة حسن الخط مليح السمت والشبه عذب الفكاهة حسن العهد تام الرجولية

(نباهته)

تصدر للاقراء ببلده على وفور أهل العلم فكان سابق الحلبة ومناخ المطية امتناعاً وتفنناً وحسن القاء وتصرف فى القضاء ببلش وغيرها من غربى بلده فحسنت سيرته واشتهرت طريقته وحمدت نزاهته ثم ولى خطه القضاء بمالقة والنظر فى الاحباس بها على سبيل من الحظوة والنباهة مرجوعا اليه فى كثير من مهمات بلده شائما وجوه السعادة ناطقة ألسن الخاصة والعامة بفضله مجمعة على نزاهته آوياً الى فضل بيته واتصلت ولايته اياها الى هذا العهد وهى أجل المحامد مع طول مدة الولاية لاسيما القاضى مما يدل على الصبر وقلة القدح وسد أبواب التهم والله يمينه ويمتع به بمنه

(مشيخته)

قرأ على الاستاذ أبى عبد الله بن بكر وهو نجيب حلبته . والسهم المصيب من كنانتـه . لازمه وبه تفقه وانتفع وتلا القرآن عليـه وعلى محمد ابن أيوب وعلى أبى القاسم بن العريف وتعلم الوثيقة على العاقد القاضى أبى القاسم بن العريف وروى عن الخطيبين المحدثين أبى عثمان بن عيسى وأبى عبد الله الطنجالى وغيرهما .

(دخوله غرناطة)

تردد اليها غير ما مرة منها فى أمور عرضت فى شؤنه الخاصة به ومنها مع الوفود الجلة من أهل بلده تابعاً قبل الولاية ومتبوعاً بعدها . ومن شعره قوله فى جدول .

ومقارب الشطين أحكم صقله ... كالمشرفيّ اذا اكتسى بفرنده
فخمائل الديباج منه خمائل ... ومهارق فيها البهار لورده
وقد اختفى طرف له فى دوحة ... كالسيف رد ذبابه فى غمده

وقوله فى شجر نارنج مزهر

وثمار نارنج غدت أزهارها ... مع ناتئ النارنج في تنضيد
فاذا نظرت الى تألفها أتت ... كمباسم أومت للثم خدود

« وفاته » فى زوال يوم الجمعة السابع والعشرين لرجب عام خمسة وستين وسبعمائة

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن الصغير الانصارى الخزرجى

يكنى أبا العباس من أهل الثغر الاعلى

﴿ أوليته ﴾

من سرقسطة حيث منازل الانصار هنالك انتقل جد أبيه عبد الرحمن بابنه الصغير منها لحدوث بعض الفتن بها الى بلنسية فولد له ابنه عبد الرحمن أبو أبى العباس هذا ثم انتقل به أبوه الى المرية فولد له أبو العباس بها ونقله أبوه الى سبتة فاقام بها مدة .

﴿ حاله ﴾

كان محدثاً مكثراً ثقة ضابطاً مقرئاً مجوداً حافظاً للفقه ذاكراً

للمسائل عارفا باصوله متقدما فى علم الكلام عاقدا للشروط بصيراً بمللها حاذقا بالاحكام كاتبا بليغا شاعراً محسناً أتقن أهل عصره خطا وأجلهم منزعا ما اكتسب قط شيئاً من متاع الدنيا ولا تلبس بها مقتنعا باليسير راضياً بالدون مع الهمة العالية والنفس الابية على هذا قطع عمره وكتب من دواوين العلم ودفاتره مالايخفى كثرة بشدة ضبط . وحسن خط . وعنى به أبوه فى صغره فأسمعه كثيرا من الشيوخ وشاركه فى بعضهم نفعه الله .

﴿ نباهته ﴾

استدعاه أبو عبد الله بن حسون قاضى مراكش الى كتابته الى أن صرف واستقر هو متولى حكمها وأحكامها والصلاة فى مسجدها ثم ترك الاحكام واستقر فى الامامة ولما تصير الامر للموحدين ألحقه عبد المؤمن بجملة طلبة العلم وتحفى به وقدمه الى الاحكام بحضرة مراكش فقام بها مدة ثم ولاه قضاء غرناطة ثم نقله الى اشبيلية قاضيا بها مع ولى عهده . ولما صار الامر الى أبى يعقوب الزمه خدمة الخزانة العلمية وكانت عندهم من الخطط التى لايعين لها الا الاكابر من أهل العلم وعليتهم وكانت مواهب بنى عبد المؤمن له جزلة وأعطياتهم مترافهة كثيرة .

﴿ مشيخته ﴾

قرأ القرآن على أبيه وأكثر عنه وأجاز له وعلى أبى الحسن التطلى قال وهو أول من قرأت عليه .

﴿ من روى عنه ﴾

روى عنه أبو عبدالله وابن خالد يزيد بن يزيد بن رفاعة وأبو محمد بن محمد بن على بن وهب القضاعى .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

صحبة القاضي أبي القاسم بن حمزة ونوه به واستخلفه اذ وليها وقبض عليه بكلتا يديه ثم استقضى بها أبو الفضل عياض بن موسى فاستمسك به واشتمل عليه لصحبة كانت بينهما وقرابة الى أن انصرف عنها أبو الفضل عياض فانتقل الى وادي آش فتولى احكامها والصلاة بها ثم عاد الى غرناطة سنة ست وثلاثين الى أن استقضى بغرناطة فى دولة أبي محمد بن عبد المؤمن بن على فحمدت سيرته وشكر عدله وظهرت نزاهته ودام بها حتى ظعن من أهلها .

(شعره) وشعره فى طريقة الزهد لا ينفذ فيه الا من قويت عارضته وتوفرت مادته .

الهي لك الملك العظيم حقيقة ... وما للورى مهما منعت نصير
تجافي بنو الدنيا مكانى فسرنى ... وما قدر مخلوق جزاه حقير
وقالوا فقير وهو عندى جلالة ... نعم صدقوا إنى اليك فقير

وشعره فى هذا المعنى كثير وكله سلس القياد دال على جودة الطبع . ومن شعره قوله

ارض العدو بظاهر متصنع ... ان كنت مضطراً الى استرضائه
كم من فتى ألقي بوجه باسم ... وجوانحى تنقدّ من بغضائه

(تصانيفه) له تصانيف مفيدة تدل على ادراكه واشراقه كشرحه الشهاب فانه ابدع فيه وكتاب انوار الافكار . فيمن دخل جزيرة الاندلس من الزهاد والابرار . ابتدأ تأليفه وتوفى دون اتمام غرضه فيه فكمله عبد الله ابنه

﴿ محنته ﴾

كان ممن وقعت عليه المحنة العظمى بمراكش يوم دخول الموحدين بها يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوال احد واربعين وخمسمائة على الوجه المشهور فى استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذكور والبالغين الامن تستر بالاختفاء فى سرب أو غرفة أو مخبأة وتمادى القتل فيها ثلاثة أيام ثم نودى بالعفو عمن اشارته الفتكة الكبرى فظهر من جميع الخلق بها ماينآهز السبعين رجلا وبيعوا بيع اسارى المشركين وذراريهم وعفى عنهم فكان ابو العباس ممن تخطته المنية واستنقذه من الرق العفو وحسبك بها محنة وضاعت له فى ذلك وفى غيره كتب كثيرة بخطه مما تجل عن القيمة .

﴿ مولده ﴾

بالمرية في أواخر شهر ربيع سنة اثنين وخمسمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفى بمراكش بين صلاة الظهر والعصر فى يوم الاحد لثمان خلون من جمادي الاولى سنة تسع وخمسين وخمسمائة ودفن يوم الاثنين بعده عقب صلاة الظهر وصلى عليه القاضى أبو يوسف حجاج وكانت جنازته عظيمة المحفل كثيرة المجمع برز اليها الرجال والنساء ورفعوا نعشه على الايدى رحمه الله .

ومما رثاه به جاره وصديقه أبو بكر بن الطفيل وهو باشبيلية بعث بها الى ابنه فى كتاب في غرض العزاء .

لأمرٍ ّما تغيرت الدهور   وأظلمت الكواكب والبدور

وطال على العيون الليل حتى كأن النجم فيه لايغور

أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن يعرف بابن القباب
من أهل فاس ويكنى أبا العباس

حاله

هذا الرجل صدر عدول الحضرة الفاسية وناهض عشهم طالب فقيه نبيه مدرك جيد النظر سديد الفهم حضر الدرس بين يدى السلطان وولى القضاء بجبل الفتح متصفاً فيه بجزالة وانتهاض تعرفت به بمدينة فاس فأعجبتني سيمته ووصل مدينة سلا فى غرض اختبار واستطلاع أحوال سلطانية واستدعيته فاعتذر ببعض مايقبل نخاطبته بقولي .

أبيتم دعوتى إما لكبر وتأبي لومه مثلى الطريقة
وغير غريبة أن رق حر على من حاله مثلى رقيقه
وإما زاجر الورع اقتضاها ويأبي ذاك دكان الوثيقة
وغشيان المنازل لاختبار يطالب بالجليلة والدقيقة
شكرتُ مخيلة كانت مجازا لكم وحصلت بعد على الحقيقه

وتفرع الكلام على قولى . ويأبى ذاك دكان الوثيقة .

دخوله غرناطة

فى عام اثنين وستين وسبعمائة موجهاً من قبل سلطان المغرب أبي سالم ابن أبى الحسن لمباشرة صدقة عهد بها لبعض الربط وهو الى الآن عدل

بمدينة فاس بحال تجلة وشهرة ثم تعرفت انه نسك ورفض العيش من الشهادة ككثير من الفضلاء .

﴿ أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد ابراهيم بن الحسن بن الحسين ﴾
﴿ ابن الزبير بن عاصم بن مسلم الثقفي بن كعب يكني أبا جعفر ﴾

﴿ أوليته ﴾

كعب الذي ذكر هو كعب بن مالك بن علقمة بن حباب بن مسلم ابن عدى بن مرة بن عوف بن ثقيف أصله من مدينة جيان منزل قنسرين من العرب الداخلين الى الاندلس ونسبه بها كبير وحسبه أصيل وثروته معروفة خرج به أبوه عند تغلب العدو عليها عام ثلاث واربعين وستمائة ولابيه اذ ذاك اثراء وجدة اعانته على طلب العلم وارفاد من احوجته الأزمة في ذلك الزمان من جالية العلماء عزاب قرطبة واشبيلية كأبي الحسن الصائغ وغيره فنصحوا له وحطبوا فى حبله .

﴿ حاله ﴾

كان خاتمة المحدثين . وصدور العلماء والمقرئين . نسيج وحده حسن التعلم والصبر على التسميع والملازمة للتدريس لم يختل به مع تخطى الثمانين ولا لحقته سآمة كثير الخشوع والخشية مسترسل العبرة صليباً فى الحق شديداً على أهل البدع ملازما للسنة جزلا مهيبا معظما عند الخاصة والعامة عذب

المفاكهة طيب المجالسة يؤثر عنه في ذلك حكايات لا تخل بوقار ولا تخل بجلال منصب

﴿ فنونه ﴾

اليه انتهت الرياسة بالاندلس في صناعة العربيه وتجويد القرآن ورواية الحديث الى المشاركة فى الفقه والقيام على التفسير والخوض فى الاصلين .

﴿ مشيخته ﴾

أخذ عن الجلة المغربيين كالمغربيّ أبي عبدالله محمد بن ابراهيم بن مشهور الغرناطي الطائي .

﴿ نباهته وخططه ﴾

ولى قضاء المناكح والخطبة بالحضرة وبلغ من الشهرة والاشادة بذكره مالم يبلغه سواه .

﴿ تصانيفه ﴾

من تآليفه كتاب صلة الصلة لابن بشكوال التى وصلتها بعده وسميت كتابى بعائدها وافتتحت أول الاسماء فيه باسمه وكتاب ملاك التأويل . فى المتشابه اللفظ في التنزيل . غريب فى معناه . والبرهان . في ترتيب سور القرآن . وشرح الاشارة للباجي فى الاصول . وسبيل الرشاد . فى فضل الجهاد . وردع الجاهل . عن أعتاب المجاهل . فى الرد على الشودية وهو كتاب جليل ينبئ عن التفنن والاضطلاع وكتاب الزمان والمكان وهو وصمة تجاوز الله عنه .

﴿ شعره ﴾

وشعره مختلف عن نمط الاجادة مما حقه أن يثبت وثبت فى كتاب

شيخنا أبي البركات المسمى بشعر من لاشعر له مما رواه من ليس الشعر له بصناعة من الاشياخ الذين صدر عنهم فى شعره .

مالي وللتسآل لا أمّ لى ان سالت عمن يعزل أو يلى
حسبي ذنوب أثقلت كاهلى ما ان أرى ظلامها ينجلى
يارب عفواً انها جمة ان لم يكن عفوك لا أم لى

﴿ محنته ﴾

نشأ بينه وبين المتغلب بمالقة من الرؤساء التجيبين من بنى اشقيلولة وحشة أكدتها سعاية من استهواهم رجل ممخرق من بني الشعوذة ومنتحلى الكرامة زعموا انه يمتطيها الى النبوة يعرف بالفزاري واسمه ابراهيم غريب المنزع فذ المأخذ أعجوبة من أعاجيب الفتن يخبر بالقضايا المستقبلة ويتسور سور حمى العادة في التطور مع التقشف والخلابة تبعه ثاغية وراغية من العامة الصم البكم مستفزين فيه حياته وبعد زمن مقتله على يد الاستاذ بغرناطة قرعه بحقه وبادره بتعجيل نكيره فاستغاث بمفتونه الرئيس ظهير فاستعصى له وبلغ الاستاذ النياحة ففر لوجهه وكبس منزله لحينه فاستولت الأيدي على ذخائر كتبه وفوائد تقييده عن شيوخه على ماطالت له الحسرة وجلت له الرزية ولحق بغرناطة آويا الى كنف سلطانها الامير أبى عبد الله بن الامير الغالب بالله أبى نصر فاكرم مثواه وعرف حقه وانثال عليه الجم الغفير لالتماس الأخذ عنه الى أن نالته لديه سعاية بسبب جار له من صلحاء القرابة النصرية كان ينتابه لنسبة الخيرية نميت عنه فى باب تفضيله واستهال الأمر كلمة أوجبت امتحانه وتخلل تلك الالقية من الشك ماقصر المحنة على اخراجه من منزله المجاور لذلك المتهم به ومنعه من التصرف والتزامه قعر منزل انتقل

اليه بحال اعتزال من الناس محجوراً عليه مداخلتهم فمكث على ذلك زمناً طويلا الى أن سريت عنه النكبة وأقشعت الموجدة فتخلص من سرارها بدره وأقل من شكاتها جاهه. وحسنت على اثرها حاله. وكثر ملتمسه وعظمت فى العلم غاشيته فدوّن واسمع وروي ودرب . وخرج وأدب . وعلم وحلق وجهر وكانت له الطائلة على عدوه والعاقبة للحسنى بعد التياث أمره والظفر بكثير من منتهب كتبه وآلت الدولة للامير أبى عبد الله بن نصر بمالقة فطالب الفزارى المذكور واستظهر بالشهادة عليه وبالغ فى دحض دعوته الي أن قتل على يديه بغرناطة .

حدثنا شيخنا أبو الحسن بن الجياب قال لما أمر بالتأهب للقتل وهو فى السجن الذى أخرج منه الى مصرعه جهر بتلاوة (يس) فقال له أحد الدعرة ممن جمع السجن بينهم اقرأ قرآنك على أى شئ تتطفل على قراءتنا اليوم أو ماهو فى معناه وتركها مثلا لو دعيته .

﴿ مولده ﴾

ببلدة جيان آخر عام سبع وعشرين وسبعمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفي بغرناطة فى الثامن لشهر ربيع الاول عام ثمانية وسبعمائة وكانت جنازته بالغة أقصى الاحتفال نفر لها الناس من كل أوب واحتمل طلبة العلم نعشه على رؤسهم الي جدثه وتبعه ثناء جميل وجزع كبير رحمه الله .

ورثاه طائفة من طلبته وممن أخذ عنه منهم القاضى أبو جعفر بن أبي جبل فى قصيدة أولها .

عزيز على الاسلام والعلم ماجد فكيف بعيني ان يلم بها الكرا

وما للمآقى لاتفيض شؤنها نجيعاً على تلك المصيبة أحمرا
فوالله ماتقضى المدامع بعض ما يحق ولو كانت سيولا وأبحرا
حقيق لعمرى ان تفيض نفوسنا وفرض على الاكباد أن تتفطرا

أحمد بن عبد الوالى بن أحمد الرعينى يكنى أبا جعفر

ويعرف بالعواد صنعة لابيه

حاله

هو من بيت تصاون وعفاف ودين والتزام السنة كانوا فى غرناطة فى الاشمار وتجويد القرآن والامتياز بحمله وعكوفهم عليه نظراء بنى عطية باشبيلية وبنى الباذش بغرناطة وكان أبو جعفر هذا المترجم به ممن تطوى عليه الخناصر معرفة بكتاب الله وتحقيقاً لحفه واتقاناً لتجويده ومثابرة على تعليمه ونصحاً في افادته على سنن الصالحين وانقباضاً عن الناس واعراضاً عن ذوى الوجاهة سنيا في قوله وفعله خاصياً فى جميع أحواله مخشوشناً فى ملبسه طويل الصمت الافى دست تعليمه مقتصداً فى مكسبه متقياً لدينه محافظاً على أوراده سأل منه رجل يوماً كتب رقعة من أمره لهم فقال ياهذا والله ما كتبت قط بيمينى الا كتاب الله فأحب ان ألقاه على سجيتى بتوفيقه ان شاء وتسديده .

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير والاستاذ أبى جعفر الحربوني

الكفيف وأبي عبد الله بن رشد وغيرهم .

﴿ وفاته ﴾

توفى في شهر ذى الحجه من عام خمسين وسبعمائة ودفن بجبانة باب الفخارين فى أسفل السفح بجانب القصور الحكمية وأتبعه الناس أحسن الثناء

احمد بن على بن احمد بن خلف الانصارى من أهل غرناطة

﴿ يكنى ابا جعفر ويعرف بابن الباذش ﴾

﴿ اوليته ﴾

أصله من جيان من بيت خيرية وتصون .

﴿ حاله ﴾

قال القاضى ابو محمد بن عطية امام في المقرئين . ومقدم فى جهابذة الاستاذين . راوية مكثر متفنن فى علوم القراءة متبحر عارف بالادب والاعراب بصير بالأسانيد نقاد لها مميز لشاذها من معروفها . قال ابن الزبير وما علمت فيما انتهى اليه نظرى وعلمى أحسن انتقاداً لطرق القراءة ولا أجل اختياراً منه لايكاد أحد من أهل زمانه ولا ممن أتى بعده أن يبلغ درجته في ذلك .

﴿ مشيخته ﴾

تفقه بأبيه أبي الحسن واكثر الرواية عنه واستوفى ما كان عنده وشاركه فى كثير من شيوخه أخذ القرآن عن الامام المقرئ أبي القاسم بن خلف بن

النحاس رحل الى قرطبة ولازمه وعلى المقرئ جعفر أبي هابيل بن محمد الخلاسي وأبي بكر بن عياش بن خلف المقرئ وأبي الحسن بن زكريا وأبي الحسن شريح بن محمد وأبي محمد عبد الله بن احمد الهمداني الجياني رحل اليه الى جيان وتلا على جميع من ذكر وروى بالقراءة والسماع والاجازة على عالم كثير كأبي داود وأبي الحسن بن أخي الدش أجاز له وأبي علي الغساني في الامامة والاتقان وقد أسمع عليه وأبي القاسم خلف بن صواب المقرئ وأبي عامر محمد بن حبيب الجياني وأبي عبد الله محمد بن احمد التجيبي الشهير وأبي محمد بن السيد وأبي الحسن بن الاخضر وأبي محمد عبد الله بن أبي جعفر الحافظ وعلماء أخر غير هؤلاء يطول ذكرهم .

﴿ من روى عنه ﴾

روى عنه أبو محمد عبد الله وأبو خالد بن رفاعة وأبو علي القلعي المقرئ وأبو جعفر بن حكيم وأبو الحسن بن الضحاك وابنه أبو محمد عبد المنعم وهو آخر من حدث عنه .

﴿ تصانيفه ﴾

الف كتاب الاقناع في القراآت لم يؤلف في بابه مثله وألف كتاب الطرق المتداولة في القراءة واتقنه كل الاتقان وحرر أسانيده وأتقنها وانتقاها ولم يتسع عمره لفرش حروفهم وخلافهم من تلك الطرق وألف غير ذلك .

﴿ مولده ﴾

في ربيع الاول سنة أحد وتسعين أربعمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفي ثاني جمادى الثانية سنة أربعين وخمسمائة وكان عمره تسعا واربعين سنة .

أحمد بن عبد النور بن احمد بن راشد يكنى أبا جعفر

من أهل مالقة ويعرف بيته بها ببني راشد وقال شيخنا أبو البركات نقلت اسم هذا من خطه ولا نعلم نسبا اذ لم يكتبه وشهر بابن عبد النور

حاله

كان قيما على العربية اذ كانت جل بضاعته يشارك مع ذلك في المنطق على رأى الاقدمين وعروض الشعر وفرائض العبادات من الفقه وقرض الشعر وكان له اعتناء بفك المعمى والتنقير عن اللغوز وكان حسن الصوت عند قراءة القرآن خاشعا به رحل من بلده مالقة الى سبتة ثم انتقل الى الاندلس وأقرأ بوادى آش مدة وتردد بين المرية وبرجة يقرئ بهما القرآن وغير ذلك مما كان يشارك فيه وناب عن بعض القضاة وقتا ودخل غرناطة أثناء هذا السفر .

مشيخته

قال أخذ القرآن طريقة على قراءة أبي عمرو الداني على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي ريحانة المربلي ولا يعلم انه له في بلده شيخ سواه اذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ والحمل عنهم وفي علمي أنه لقي أبا الحسن بن الاخضر المقرئ العروضي بسبتة وذاكره في العروض ولا أعلم هل أخذ عنه أم لا .

ورأيت في تقاييدي أن القاضي أبا عبد الله بن بطال حدث أن ابن عبد النور قرأ معه الجزولية على ابن مفرج المالقي تفقها وقيد عليه تقييداً عرضه بعد ذلك على ابن مفرج هذا وهو محمد بن يحيي بن على بن مفرج المالقي

وروى عن أبي الحجاج المتقدم الذكر تيسير أبي عمرو الدانى وجمل الزجاجي وأشمار الستة وفصيح أحمد بن يحيي ثعلب وقفت فى ذلك على رق أجازفيه بعض من أخذ عنه ولم ينص فيه على كيفية أخذه لهذا الكتاب عن أبى الحجاج ٠

قال ورأيت فى ذلك الرق أوهاماً تدل على عدم شعوره بهذا الباب جملة وقبوله التلقين فيه فلا ينبغى أن يركن لمثله فيه ٠ ورأيت بخط بعض أصحابه أنه تفقه على أبى ريحانة ولعل ذلك في صغره قبل أن يحكم طلبه ويتفنن اذ الفنون التى كان يأخذ فيها لم يكن أبو ريحانة مليا بها ولا منسوبا اليها ٠

﴿ تصانيفه ﴾

منها كتاب الحلية ٠ فى ذكر البسملة والتصلية ٠ وكتاب رصف المبانى ٠ فى حروف المعانى ٠ وهو أجل ما صنف ومما يدل على تقدمه فى العربية ٠ وجزؤ فى العروض ٠ وجزؤ فى شواذه ٠ وكتاب شرح الكامل لأبى موسى الجزولى يكون نحو الموطأ فى الجرم ٠ وكتاب شرح مغرب أبى عبد الله بن هشام الفهرى المعروف بابن الشواش ولم يتم انتهى فيه الى همزة الوصل يكون نحو الايضاح لأبى علىّ وله تقييد على الجمل غير تام ٠

﴿ شعره ﴾

قال وشعره وسط بين طرفى الغث والسمين وكان لا يعتنى به ولا يتكلفه ولا يقصد قصده وان ذلك لعذر فى عدم الاجادة قال الشيخ وله جزؤ تصفحته على أن أستجيد منه شيئاً أثبته له فى هذا التعريف فرأيت بعضه أشبه بنعب الغراب فكتبته من ذلك لا مؤثراً له على ما سواه من شعره بل لراجح كونه أول خاطر بالبال ومتلمح خطه بالبصر فمن ذلك

قوله فى قصيدة ومن خطه نقلت .

محاسن من أهوى يضيق لها الشرح ... له الهمة العلياء والخلق السمح

له بهجة يغشى البصائر نورها ... وتعشى بها الابصار ان غاس الصبح

اذا ما دنا فاللحظ سهم مفوق ... وفى كل عضو من أصابته جرح

اذا ما انثنى زهواً وولى تبختراً ... يغار لذاك القد من لينه الرمح

وان نفحت أزهاره عند روضة ... فيخجل ريا زهرها ذلك النفح

هو الزمن المأمول عند ابتهاجه ... فلمته ليل وغرته صبح

لقد خامرت نفسى مدامة حبه ... فقلبي من سكر المدامة لا يصحو

وقد هام قلبي فى هواه فبرحت ... باسراره عين لمدمعها سح

﴿ غفلاته ونوكه ﴾

كان هذا الرجل من البله فى أسباب الدنيا له فى ذلك حكايات سائرة على ألسنة الثقات من الملازمين له وغيرهم لولا تواترها لم يصدق أحد بها تشبه مايحكى عن أبى على الشلوبين . منها أنه اشترى فضلة ملف فبلها فانتقصت كما يجرى فى ذلك فذرعها بعد البل فوجدها انتقصت فطالب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم . ومنها أنه سار الى بعض بساتين المربة مع جماعة من الطلبة واستصحبوا أرزاً ولبناً فطلبوا قدراً لطبخه فلم يجدوا فقال اطبخوا فى هذا القدر وأشار الى قدر فيها بقية زفت مما تطلى به السواني عندهم فقالوا له وكيف يسوغ الطبخ فيها ولو طبخ فيها شئ مما تأكله البهائم لعافته فكيف الأرز باللبن فقال لهم اغسلوا معائدكم وحينئذ تدخلون فيها الطعام فلم يدروا ام يعجبون هل من طيب نفسه بأكله مما يطبخ فى تلك القدر أم من قياسه المعدة عليها . ومنها انهم حاولوا طبخ لحم مرة أخرى فى

بعض النزه فذاق الطعام من الملح بالمغرفة فوجده محتاجاً للملح فجعل فيه ملحاً وذاقه على الفور قبل أن يتحلل الملح ويسرى فى المرقة الاولى فزاد ملحاً الى أن جعل فيه قدر ما يرجح اللحم فلم يقدروا على أكله . ومنها انه أدخل يده في مفجر صهريج فصادفت يده ضفدعاً كبيراً فقال لاصحابه تعالوا ان هنا حجرا رطباً . ومنها انه استعار يوماً من القائد أبي الحسن بن كماشة جوادا ملوكياً قرطاسي اللون من مراكب الامراء فقال وجه لى تلك الدابة فتخيل انه يريد الركوب الى بعض المواضع ثم تفطن لغفلته وقال أى شئ تصنع به فقال اجعله يسقى شيأ يسيرا من السانية فقال تقضى الحاجة ان شاء الله بغيره ووجه له حمارا برسم السانية وهو لا يشعر بشئ من ذلك كله .

قلت وفى موجودات الله تعالى عبر وأغربها عالم الانسان لما جبلوا عليه من الاهواء المختلفة والطباع المتباينة والقصور عن فهم أقرب الاشياء مع الاحاطة بالغوامض .

حدثنا غير واحد منهم عمي أبو القاسم وابن الزبير حدثنا أبو الحسن بن سراج عن أبي القاسم بن بشكوال أن الفقيه صاحب الوثائق أبا عمر بن الهندى خاصم يوماً عند صاحب الشرطة ابراهيم بن محمد فنكل وعجز عن حجته فقال له الشرطى ما أعجب أمرك أبا عمر أنت ذكى لغيرك عيي فى أمرك فقال أبو عمر « كذلك يبين الله آياته للناس » ثم أنشد متمثلا

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهى تحترق

قال وحدثني الشيخ أبو العباس الكاتب بجاية وهو آخر من كتبنا معه الحديث من أصحاب ابن العمار قال كنت آوياً الى أبي الحسن حازم القرطاجنى بتونس وكنت أحسن الخياطة فقال لى ان المستنصر خلع عليّ جبة جربيـة

من لباسه وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الاندلس وأريد أن تحل أكمامها وتصيرها مثل ملابسنا فقلت له وكيف يكون العمل فقال تحل رأس الكم ويوضع الضيق بالأعلى والواسع بالطرف فقلت وبم يجبر الأعلى فانه اذا وضع فى موضع واسع سطت علينا فرج ماعندنا مايصنع فيها الا أن نرقعها بغيرها فلم يفهم فلما يئست منه تركته وانصرفت فأين هذا الذهن الذى صنع المقصورة وغيرها من عجائب كلامه

﴿ مولده ﴾

فى رمضان عام ثلاثين وستمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفى فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعمائة ودفن بخارج باب بجاية بمقبرة من تربة الشيخ الزاهد أبي العباس بن مكنون

﴿ أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيي ﴾

﴿ ابن مصادف بن عبد الله ﴾

يكنى أبا جعفر ويعرف بابن مصادف من أهل بسطة واستوطن غرناطة وقرأ وأقرأ بها .

﴿ حاله ﴾

من أهل الطلب والسلاطة والاجتهاد ممن يقصر محصله عن مدى اجتهاده خلوب اللسان غريب الشكل وحشيه شتيت الشعر معيبه شديد

الاقتحام والتسور قادر على اللصوق بالاشراف رمى بنفسه على مشيخة الوقت يطرقهم طروق الامراض الوافدة حتى استوعب الاخذ عن أكثرهم يفك عن فائدته فك التبرم وينتزعها بواسطة الحياء ويسلط على قنصها جوارح التبذل والاطراء الى أن ارتسم فى المغربيين بغرناطة محمولا بالنخب والملق وسد الترتيب المدنى ولوثة تعتاده في باب الركوب والثقافة وهو لا يستطيع أن يستقر بين دفتى السرج ولا يُفرق بين مبسوط الكيف أخذ نفسه فى فنون من قرآن وعربية وتفسير وامتحن مرات لمجرى حركة القلقلة الذى لا يملك عنانه ثم تخلص من ذلك وهو على حاله الى الآن .

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على الخطيب ببسطة وأبى الاصبغ بن عامر والخطيبين بها أبى عبدالله وابى اسحق بن عمه وأبى عبد الله بن جابر وعلى بن أبى عثمان بن ليون بالمدينة والخطيب ابى عبد الله بن العربى بحمة وتلا القرآن بقراءة السبع على شيخنا أبى عبدالله بن عبدالوالى العواد وروى عن شيخنا أبى الحسن بن الجياب وعلى الحجاج أبى الحجاج الساحلى كتب الاقراء وأخذ الفقه عن الاستاذ أبى عبد الله البيانى وقرأ على قاضى الجماعة أبي القاسم البيانى وقرأ على قاضى الجماعة ولازم استاذ الجماعة أبا عبدالله الفخار وقرأ عليه العربية وصاهره على بنته الاستاذ المذكور وانتفع به الى ان ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ فرماه (١) بتدمية بيضاء تخلفها شرة عجب مرة وحاله متصلة على ذلك وقد ناهز الاكتهال

(١) قوله بتدمية بيضاء الخ كذا بالاصل وليحرر

احمد بن حسن بن باضة السلمى الموقت

بالمسجد الاعظم بغرناطة

أصله من شرق الاندلس وانتقل اليها والده يكنى أبا جعفر

حاله

كان نسيج وحده وقريع دهره معرفة بالهيئة واحكاما للآلة الفلكية يخت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر والخبرة جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع بلغ فى ذلك درجة عالية ونال غاية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الاعلام المتقدمين وأزرت آلاته بالجائريات والصفاريات وغيرها من آلة المحكمين وتغالى الناس فى اثمانها أخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة فى هذا الفن

احمد بن محمد بن يوسف الانصارى من أهل غرناطة

يكنى أبا جعفر ويعرف بالحبالى

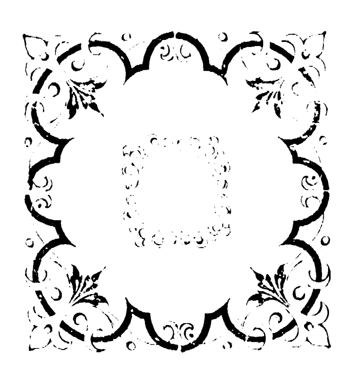
حاله

عكف صدراً من زمانه منتظما في العدول آوياً الى تخصيص وسكون ودماثة وحسن معاملة له بصر بالمساحة والحساب وله بصر بصناعة التعديل وجداول الايام مقصوداً فى العلاج بالرقى والعزائم من أول المس والخبال تعلق بسبب هذه المنتحلات باذيال الدول وانبتّ من شيمته الاولى فنال

استعمالا فى الشهادات المخزنية وخبر منه أيام قربه من مبادى الاوامر والنواهى ومداخلة السلطان صمت وعقل واقتصار على معاناة ما امتحن به وهو الآن بقيد الحياة

﴿ مشيخته ﴾

أخذ تلك الصناعة عن الشيخ أبي عبد الله التخار المعروف بأبى خريسة أحد البواقع الموسومين بصحة الحكم فيها وعلى أبي زيد بن مثنى وقرأ الطب على شيخنا أبي زكريا بن هذيل رحمه الله ونسب اليه عند الحادثة على الدولة وانتقالها الى يد المتغلب اخبار بوقت الثورة وضمان تمام الامر وشهد بذلك بخطه فلما عاد الامر الى السلطان المزعج بسببها الى العدوة أوقع به نكيراً كثيراً وضربه بالسياط التى لم يخلصه منها الا أجله واجلاه الى تونس فى جملة المغربين أواخر عام ثلاثة وستين وسبعمائة . وأخبرني السلطان المذكور أن المترجم كتب اليه بمدينة فاس قبل شروعه فى الوجاهة نخبره بعودة الملك اليه وبايقاعه المكروه الكبير به مما يشهد بمهارته فى الصنعة ان صح ذلك كله من قوانينها نسأل الله أن يضفى علينا لبوس ستره ويقينا شر عثرات الألسن بمنه .



أحمد بن محمد الكزى من أهل غرناطة

حاله

شيخ الاطباء بغرناطة على عهده وطبيب الدار السلطانية كان نسيج وحده فى الوقار والنزاهة وحسن السمت والتزام مثلى الطريقة واعتزاز الصنعة قائما على صناعة الطب مقرئا لها ذاكراً لنصوصها . وفقا فى العلاج مقصوداً فيه كثير الامل والمثاب مكبوح العنان عما تثبت به أصول صناعته من علم الطبيعة سنيا مقتصراً على المداراة . أخذ عن الاستاذ أبي عبد الله الرقوطي ونازعه بالباب السلطاني لما اشتدواحتيج الى ما لديه فى حكم بعض الاموال المفروضة على الاطباء منازعة أوجبت من شيخه يمينا أن لا يحضر معه بمكان فلم يجتمعا بباب السلطان بعد مع التمسك بما لديهما . وأخذ عن ابن عروس وغيره . أخذ عنه جملة من شيوخنا كالطبيب أبي عبد الله بن سالم والطبيب أبى عبد الله بن سراج وغيرهما .

حدثنى والدى بكثير من اخباره فى الوقار وحسن الترتيب قال كنت آنس به ويعجبني استقصاؤه أقوال أهل هذا الفنون من صنعته على مهارته فلقد عرض عليه عليل لنا بعض مايخرج وفيه حية فقال على فتور وسكينة ووقار كثير هذا العليل يتخلص قال الرئيس بن سينا فى ارجوزته

ان خرج الخلط مع الحيات فى يوم بحران فمن حياة

وهذا اليوم من أيام البحرانية فكان كما قال

﴿ وفاته ﴾

كان حياً سنة تسعين وستمائة

احمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموى

﴿ مولاهم من أهل اشبيلية ﴾

يكنى أبا العباس وكناه بن فرقون أبا جعفر وتفرد بذلك يعرف بالعشاب وبابن الرومية وهى اشهرها والصقها به

﴿ أوليته ﴾

قال القاضى أبو عبد الله كان والد جده لاحد اطباء قرطبة وكان قد تبناه وعن مولاه أخذ علم النبات .

﴿ حاله ﴾

كان نسيج وحده وفريد دهره وغرة جنسه إماما فى الحديث حافظاً ناقدا ذا كرا تواريخ المحدثين وأنسابهم وموالدهم ووفاتهم وتعديلهم وتجريحهم عجيبة نوع الانسان فى عصره وما قبله وما بعده فى معرفة علم النبات وتمييز العشب وتحليلها واثبات اعيانها على اختلاف اطوار منابتها بمشرق أو مغرب حسا ومشاهدة وتحقيقا لا مدافع له في ذلك ولا منازع حجة لا ترد ولا تدفع . اليه يسلم فى ذلك ويرجع . قام على الصنعتين لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات اذ موادهما الرحلة والتقييد . وتصحيح الاصول وتحقيق المشكلات اللفظية . وحفظ الاديان والابدان . وغير ذلك وكان زاهداً فى الدنيا

مؤثرا بما في يديه منها موسعا عليه في معيشته كثير الكتب جماعا لها في كل فن من فنون العلم وربما وهب منها لملتمسه الاصل النفيس الذى يعز وجوده احتسابا واعانة على التعليم له في ذلك أخبار منبئة عن فضله وكرم صنعته وكان كثير الشغف بالعلم والدروب على تقييده ومداومته سهر الليل من أجله مع استغراق أوقاته وحاجات الناس اليه اذ كان حسن العلاج في طبه المورود الموضوع لثقته ودينه

قال عبد الملك امام المغرب قاطبة فيما كان بسبيله جال الاندلس ومغرب العدوة ورحل الى المشرق واستوعب المشهور من أفريقية ومصره وشامه وعراقه وحجازه وعاين الكثير مما ليس بالمغرب وعارض كثيرا فيه بملأ يشهدله بالفضل في معرفته ولم يزل باحثا على حقائقه كاشفا عن غوامضه حتى وقف منه على مالم يقف عليه غيره ممن تقدم في الملة الاسلامية فصار واحد عصره فردا لا يجاريه فيه احد باجماع من أهل ذلك الشأن

﴿ مذهبه ﴾

كان سنيا طاهر المذهب منحنيا على أهل الرأي شديد التعصب لابى محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم على دين متين وصلاح تام وورع شديد انتشرت عنه تصانيف أبى محمد بن حزم واستحسنها وأظهرها واعتنى بها وأنفق عليها أموالا جمة حتى استوعبها جملة حتى لم يشذ له منها الا ما لا خطرله مقتدرا على ذلك بجدته ويساره بعد ان تفقه طويلا على أبى الحسن محمد بن احمد بن زرقون في مذهب مالك

﴿ مشيخته ﴾

البحر الذى لانهاية له روى بالاندلس عن أبى اسحق الدمشقى وأبى

عبد الله البابرى وأبى البركات بن داود وأبى بكر بن طلحة وأبى عبد الله
ابن الجد وابن العربى وأبى على الحافظ وأبى زكريا بن مرزوق وابن يوسف
وابن ميمون الشريشى وأبي الحسن بن زرقون وأبى ذر مصعب وأبى العباس
ابن سيد الناس وأبى القاسم البارق وابن جمهور وأبى محمد بن محمد بن الجنان
وعبد المنعم بن فرس وأبي الوليد بن عفير قرأ عليهم وسمع وكتب اليه مجيزا
من أهل الاندلس والمغرب أبو البقاء بن قديم وأبو جعفر حكم الجفار وأبو
الحسن الشغورى وأبو سليمان بن حوط الله وأبو زكريا الدمشقي وأبو عبدالله
الاندرشى وأبو القاسم بن شمجوق وأبو محمد الحجرى . ومن أهل المشرق
جملة منهم أبو عبد الله الحمداني بن اسماعيل بن أبى صيف وأبو الحسن الجويكر
نزيل مكة وتأدى اليه اذن طائفة من البغداديين والعراقيين فى الرواية
منهم ظفر بن محمد وعبد الرحمن بن المبارك وعلى بن محمد اليزيدى وفناخسرو
وفيروز بن سعيد وابن سينة ومحمد بن نصر والصيدلانى وابن تيمية وابن
عبد الرحمن الفارسى وابن الفضل المؤذن وابن عمر بن الفخار ومسعود بن
محمد بن حسان ومنصور بن عبد المنعم الصاعدى وابن هوازن القشيرى وأبو
الحسن النيسابورى وحج سنة اثنتى عشرة وستمائة فادى الفريضة سنة ثلاث
عشرة ولقب بالمشرق بمحب الدين وأقام فى رحلته ثلاثة أعوام لقى فيها من
الاعلام العلماء اكابر جمة فنهم ببجاية أبو الحسن بن نصر وأبو محمد بن مكي
وبتونس أبو محمد المرجانى وبالاسكندرية أبو الاصبغ بن عبد العزيز وأبو الحسن
بن خبير الاندلسيين وأبو الفضل بن جعفر بن أبى الحسن بن أبى البركات
وأبو محمد عبد الكريم الربعى وأبو محمد العثمانى اجاز له ولم يلقه وبمصر أبو
محمد بن سحنون الغمارى ولم يلقه وأبو الميمون بن هبة الله القريشى . وبمكة

أبو علي الحسن بن محمد بن الحسين وأبو الفتح نصر بن أبي الفرج المصري . وببغداد أحمد بن أبي السعادات وأحمد بن أبي بكر وابن أبي خط طلحة وأبو نصر القريشي وابراهيم بن أبي ياسر القطيعي ورسلان المسدي والاسعد ابن نفاق واسماعيل بن براكش الجوهري وأسماعيل بن أبي أبي البركات .

وبرنامج مروياته وأشياخه مشتمل على مئين عديدة مرتبة أسماؤهم على البلاد العراقية وغيرها لو أتينا بها لاستغرقت الاوراق وخرجت عما قصدت .

قال القاضي أبو عبد الله المراكشي بعد الاتيان على ذلك منتهى تقاييد أبي العباس النباتي ما ذكره في فهارس له منوعة بين بسط وتوسط واختصار وقفت منها بخطه وبخط بعض أصحابه والآخذين عنه .

﴿ من أخذ عنه ﴾

حدث ببغداد برواية واسعة فأخذ عنه بها أبو عبد الله بن سعيد الاوشي وبمصر الحافظ أبو بكر بن مقط وبغيرها من البلاد أمة وقفل برواية واسعة وجلب كتبا غريبة .

﴿ تصانيفه ﴾

له فيما ينتحله من هذين الفنين تصانيف مفيدة واستدراكات نبيهة بديعة منها في الحديث كتاب المعلم . بزوائد البخاري على مسلم . واختصار غريب حديث مالك للدارقطني . ونظم الدراري . فيما تفرد به مسلم عن البخاري وتوهين طرق حديث الاربعين . وحكم الدعاء في أدبار الصلوات . وكيفية الاذان يوم الجمعة . واختصار الكامل في الضعفا والمنكرين لأبي أحمد بن

على . والحافل فى تذييل الكامل . وأخبار محمد بن اسحاق . ومنها فى النبات شرح حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس والتنبيه على أوهام ترجمتها والتنبيه على اختلاط الغافقى . والرحلة النباتية والمستدركة وهو الغريب الذى اختص به الا انه عدم عينه بعده وكان معجزة فى فنه الى غير ذلك من المصنفات الجامعة والمقالات المفيدة المفردة والتعاليق المتنوعة .

﴿ مناقبه ﴾

قال ابن عبد الملك وابن الزبير وغيرهما عنى تلميذه الآخذ به الناقد المحدث ابو محمد بن الجزيرى واهتم بجمع اخباره ونشر مآثره وضمن ذلك مجموعا حفيلا نبيلا .

﴿ شعره ﴾

ذكره أبو الحسن بن سعيد فى القدح المعلى وقال جوال بالبلاد المشرقية والمغربية جالسته باشبيلية بعد عودته من رحلته فرأيته متعلقاً بالادب . مرتاحا اليه ارتياح البحتري بحلب . وكان غير متظاهر بقول الشعر الا ان أصحابه يسمعون منه ويروون عنه وحملت عنه فى بعض الاوقات . فقيدت عنه هذه الابيات .

ريم تخلق بين الكاس والوتر … فى جنة هي ملئ السمع والبصر
فمتع الطرف في مرأى محاسنها … بروض فكرك بين الروض والزهر
وانظر الى ذهبيات الاصيل بها … واسمع الى نغمات الطير فى السحر
وقل لمن قام فى لذاته بشرا … دعنى فانك عندى من سوى البشر

قال وكثيراً ما كان يطنب على دمشق ويصف محاسنها فما انفصل عنى الا وقد امتلأ خاطري من شكلها فأتمنى أن ادخل مواطنها لابلغ الامل قبل المنون . ولو انى نظرت بالف عين لما استوفت محاسنها العيون .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

دخلها غير ما مرة لسماع الحديث وتحقيق النبات ونقر عن عيون النبات بجبالها خزائن الادوية ومظان الفوائد الغريبة يجري ذلك فى تآليفه بما لا يفتقر الى شاهد .

﴿ مولده ﴾

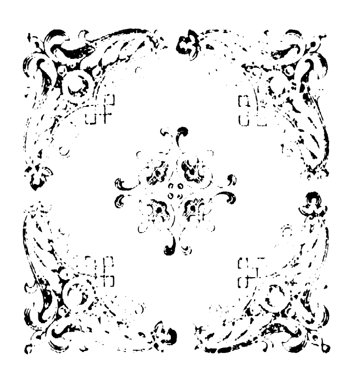
فى محرم سنة احدي وستين وخمسمائه

﴿ وفاته ﴾

باشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائه

﴿ مارثى به ﴾

قال ابن الزبير ورثاه جماعة من تلامذته كابى محمد الجزيرى وأبي أمية اسماعيل بن عفير وأبى الاصبغ عبد العزيز الكتبورى وأبى بكر محمد بن محمد ابن جابر السقطى وأبى العباس بن سليمان ذكر جميعهم الجزيرى المذكور فى كتاب ألفه فى فضائل الشيخ أبى العباس رحمه الله



أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد (ابن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر صاحب رسول الله) «صلى الله عليه وسلم»

أوليته

بيت بنى سعيد العنسى بيت مشهور فى الاندلس بقلعة يحصب نزلها جدهم الأعلى عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر وكان له حظوة لمكانه وكان له حظوة من اليمانية بقرطبة وداره بقرب قنطرتها كانت معروفة وهو بيت القيادة والوزارة والقضاء والكتابة وفيما يأتى وما مر كفاية من التنبيه عليه .

حاله

قال الملاحى كان من جلة الطلبة ونبهائهم وله حظ بارع من الادب وكتابة مفيدة وشعره مدون . قال أبو الحسن بن سعيد فى كتابه المسمى بالطالع نشأ عجباً فى الادب حافظاً للشعر وذاكراً لنظم الشريف الرضى ومهيار وابن خفاجة وابن الدقاق فرقت طباعه . وكثر اختراعه وابداعه . ونشأت معه حفصة بنت الحجاج الركونى أديبة زمانها . وشاعرة أوانها . فاشتد بها غرامه . وطال حبه وهيامه . وكانت بينهما منادمات ومغازلات أربت على ما كان بين علوة وأبى عباده يمر من ذلك المام فى شعر حفصة

ان شاء الله ٠

﴿ نباهته وحظوته ﴾

ولما وفد الاندلس على صاحب أمر الموحدين فى ذلك الأوان وهو محتفل بجبل الفتح واحتفل شعراؤها فى القصائد وخطباؤها فى الخطب بين يديه كان فى وفد غرناطة أبو جعفر هذا المترجم به وهو حديث السن فى جملة أبيه واخوته وقومه فدخل معهم على الخليفة وأنشده قصيدة ٠ قال أبو الحسن بن سعيد كتبت منها من خط والده ٠

تكلم فقد أصغى الى قولك الدهر ... وما لسواك اليوم نهى ولا أمر

ورم كل ماقد شئته فهو كائن ... وحاول فلا بر يفوت ولا بحر

وحسبك هذا البحر فألافانه ... يقبل تربا داسه جيشك الغمر

وما صوته الا سلام مردد ... عليك وعن بشر بقربك يفتر

بجيش لكى يلقى أمامك من غدا ... يعاند أمرا لا يقوم له أمر

أطل على أرض الجزيرة سعدها ... وجدد فيها ذلك الخبر الحبر

فما طارق الا لذلك مطرق ... ولابن نصير لم يكن ذلك النصر

هما مهداها كى تحل بارضها ... كما حل عند التم بالهالة البدر

قال فلما أتمها أثنى عليه الخليفة كل ميسر وقال لعبد الملك أبيه أيهما خير عندك فى ابنيك فقال ياسيدنا محمد دخل اليكم مع أبطال الاندلس وقوادها وهذا مع الشعراء فانظر من تحب ان يكون خيرا عندى فقال له الخليفة كل ميسر لما خلق له واذا كان الانسان متقدما فى صناعة فلا يؤسف عليه انما يؤسف على متأخر القدر محروم الحظ ثم أنشد لفحول الشعراء والا كابر عن أبى مروان ثم لما ولى غرناطة ولده السيد أبو سعيد استوزر أبا جعفر المذكور

واتصلت حظوته الى ان كان ما يذكر من نكبته

﴿ محنته ﴾

قال قريبه وغيره فسد ما بينه وبين السيد أبي سعيد لاجل حفصة الشاعرة اذ كانت محل هواه ثم اتصلت بالسيد وكان له فيها علاقة فكان كل منهما على مثل الرضف للآخر ووجد حساده السبيل الى اغراء السيد به فكان مما نمى به عنه انه قال لحفصة يوما ماهذا الغرام الشديد به يعني السيد وكان شديد الادمة وأنا أقدر ان اشترى لك من العرض اسود خيرا منه بعشرين دينارا فجعل السيد يتربص له المهالك وأبو جعفر يتحفظ كل التحفظ وفي حاله تلك يقول

من يشترى مني الحياة وطيبها ووزارتي وتأدبي وتهذبي
بمحل راع في ذرى ملمومة زويت عن الدنيا باقصى مرتب
لاحكم يأخذه بها الا لمن يعفو ويرأف دائماً بالمذنب
فلقد سئمت من الحياة مع امرئ متغضب متغلب مترتب
الموت يلحظني اذا لاحظته ويقوم في فكري أوان تجنبي
لا اهتدى مع طول ما خولته لرضاه في الدنيا ولا للمهرب

وأخذ في امره مع ابيه واخوته وفتنة ابن مردنيش مضطربة فقال له اخوه محمد وابوه ان تحركنا حركة كنا سبباً لمهلك هذا البيت مابقيت دولة هؤلاء القوم والصبر عاقبته حميدة وقد كنا نهاك عن المحارجة فلم تركب الا هواك واخذ مع أخيه عبد الرحمن واتفقا على ان يثورا في القلعة باسم ابن مردنيش وساعدهما قريبهما على ذلك حاتم بن حاتم بن سعيد وخاطبوا ابن مردنيش وصدر لهم جوابه بالمبادرة ووصلت منه خيل ضارية وتهيأ لدخول

القلعة وتهيأ الحصول فى القلعـة وخافوا من ظهور الامر فبادر حاتم وعبـد الرحمن الى القلعة وتم لهم المراد وأخر الجبن ابا جعفر ففاتاه وتوقع الطلب فى الطريق الى القلعـة فسار مختفياً الى مالقـة ليركب منها البحر الى جهة ابن مردنيش ووضع السـيد عليه العيون فى كل جهة فقبض عليه بمالقة وطولع بامره فأمر بقتله صبراً رحمه الله .

﴿ جزالته وصبره ﴾

قال ابو الحسن بن سعيد حدثنى الحسن بن دويرة قال كنت بمـالقة لما قبض على أبى جعفر وتوصلت الى الاجتماع به ورأيته لما استؤذن السيد فى امره حين حبس فدمعت عينى لما رأيته مكبولا فقال علىّ تبكى بعدمابلغت من الدنيا اطايب لذاتها فاكلت صدور الدجاج . وشربت فى الزجاج . وركبت كل هملاج . ونمت فى الديباج . وتمتعت بالسرارى والازواج . واستعملت من الشمع السراج الوهاج . وها انا فى يد الحجاج . منتظراً محنة الحلاّج . قادم على غافر لايحوج الى اعتـذار ولا احتجاج . فقلت أفلا ابكى على من ينطق بمثل هذا ثم تفقد وقمت عنه فما رأيته الا مصلوبا رحمه الله .

﴿ شعره ﴾

أتانى كتاب منك يحسده الدهر ... أما حبره ليل أما طرسه فجـر
به جمـع الله الامانى لناظرى ... وسمعى وفكرى فهو سحر ولا سحر
ولا غرو ان ابدى العجائب ربه ... وفى ثوبه بر وفى كفـه بحـر
ولا عجب أن أينع الزهر طيـه ... فمازال صوب القطر يبدو به الزهر

ومن شعره مايجرى مجرى المرقص وقد حضر مع الرصافى والكندى ومعهم مغن بروطه .

لله يـــوم مسرة　　أضوا واقصر من ذباله

لما نصبنا للمــنى　　فيه من اوتار حباله

ظل النهـار بهـا كمـر　　تاع وأجفلت الغـزاله

وشعره مدون كما قلنا وهذا القدر عنوان على نبله

﴿ غريبة فى أمره مع حفصه ﴾

قال حاتم بن سعيد وكان قد اجرى الله على لسانه اذا حركت الكاس بها غرامه ان يقول والله لا يقتلنى احد سواك وكان يعنى الحب والقدر موكل بالمنطق قد فرغ بقتله بغيرها من أجلها قال ولما بلغ حفصة قتله لبست الحداد وجهرت بالحزن وتوعدت بالقتل فقالت فى ذلك .

هددونى من اجل لبس الحداد　　لحبيب أردوه لى بالحـداد

رحم الله من يجـود بدمـع　　او ينـوح على قتيل الاعادى

وسقته بمثـل جـود يديه　　حيث أضحى من البلاد الغوادى

ولم ينتفع بعده بها ثم لحقته بعد قليل .

﴿ وفاته ﴾

توفى على حسب ماذكر فى جمادى الاولى سنة خمسين وخمسمائة



*

احمد بن سليمان بن احمد بن محمد بن احمد القرشي
المعروف بابن فركون يكنى أبا جعفر

أوليته

قد مر ذلك في اسم جده قاضي الجماعة وسيأتي في اسم والده .

حاله

شعلة من شعل الذكاء والادراك ومجموع خلال حميدة على الحداثة طالب نبيل مدرك نجيب فاق اقرانه كفاية وسموا الى المراتب فقرأ وأعرب وتدرب واستجاز له والده شيوخ بلده فمن دونهم ونظم الشعر وقيد كثيرا وسبق أهل زمانه في حسن الخط سبقا أفرده بالغاية القصوى فيراعه اليوم المشار اليه باللطف والاتقان والاسراج اقتضى ذلك كله ارتقاؤه الى الكتابة السلطانية ومزية الشفوف بها بالخلع والاستعمال واختص بي وتأدب بما انفرد به من أشياخ تواليفي فآثرته بفوائد جمة وبطن حوضه من تحلبه وترشح الى الاستيلاء على الغاية .

شعره

أنشد له بين يدي السلطان في البلاد الكريم .

حيا المعاهد بالكثيب وجادها　　　غيث يروّي حيها وجمادها

مولده

في ربيع الاخر من سبع واربعين وسبعمائة

احمد بن ابراهيم بن احمد بن صفوان من أهل مالقة

يكنى أبا جعفر ويعرف بابن صفوان

حاله

بقية الاعلام من أدباء هـذا القطر وصدر من صدور كتابه ومشيخة طلبته ناظم ناثر عارف ثاقب الذهن قوى الادراك أصيل النظر إمام فى الفرائض والحساب والادب والتوثيق ذاكر للتاريخ واللغة مشارك فى الفلسفة والتصوف ملم بالعلوم الالهيـة آية الله فى فك المعمى لايجاريه أحد فى ذلك ممن تقدم شأنه عجيب يفك من المعميات والمستنبطات مفصولا وغير مفصول شديد التعصب لاهل وده وبالعكس تام الرجولية قليل التهيب مقتحم حمى أهل الجاه والمحمـدة والمضايقة اذا دعاه لذلك داع حبل نقـده على غار به راض بالخمول متبلغ بما تيسر كثير الدروب والنظر والتقييد والتصنيف على كلال الجوارح وعائق الكبر متقارب بمضي الشعر والكتابة مجيد فيهما ولنظمه شفوف على نثره ٠

مشيخته

قرأ على الاستاذ أبي محمـد الباهلى استاذ الجملة من أهـل بلده وولي النعمة عليهم لازمه وانتفع به وارتحل الى العدوه فلقي جملة كالقاضى المؤرخ أبى عبـد الله بن عبد الملك والاستاذ التعلابي أبى العباس بن البنا وقرأ عليهم بمراكش ٠

﴿ نباهته ﴾

استدعاه السلطان ثاني الملوك من بنى نصر الى الكتابة عنده مع الجملة ببابه وقد نما عشه وعلا كعبه واشتهر ذكاؤه وادراكه ثم جنح الى العودة لبلده ولما ولى الملك السلطان أبو الوليد ودعاه الى نفسه ببلده مالقة استكتبه رئيساً مستحقاً اذ لم يكن ببلده فأقام به واقتصر على كتب الشروط معروف القدر بمكان من القضاة ورعيهم صدرا فى مجالس الشوري الى الآن يجمل الى زيارة غرناطة حظاً من فصول بعض السنين فتنصب بها العدالة ثم يعود الى بلده فى الفصل الذي لا يصلح لذلك وهو الآن بقيد الحياة قد علقته اشراك الهرم وفيه بعد مستمتع كبيرٌ بديع .

﴿ تصانيفه ﴾

مطلع الانوار الالهية . وبغية المستفيد . وشرح كتاب القرشى فى الفرائض لا نظير له وأما تقاييده على أقوال يعترضها وموضوعات ينتقدها فكثيرة

﴿ شعره ﴾

قال فى غرض التصوف وبلغنى أنه نظمها باشارة من الخطيب ولى الله أبى عبد الله الطنجالى كلف بها القوالون والمسمعون بين يديه

بان الحميم فما الحما والبان ... بشفاء من عنه الاحبه بانوا
لم ينقضوا عهدا ببينهم ولا ... انساهم ميثاقك الحدثان
لكن جنحت لغيرهم فازالهم ... عن انسهم بك موحش غيران
لو صح حبك ما فقدتهم ولا ... سارت بهم عن حيك الاظعان
تشتاقهم وحشاك هالة بدرهم ... والسر منك لخيلهم ميدان
ما هكذا أحوال ارباب الهوى ... نسخ الغرام بقلبك السلوان

لا يشتكي ألم الفراق متيم ... احبابه فى قلبه سكان
ما عندهم الا الكمال وانما ... غطى على مرآتك النقصان
شغلتك بالاغيار عنهم مقلة ... انسانها عن لحظهم وسنان
غمض جفونك عن سواهم معرضا ... ان الصوارم حجبها الاجفان
واصرف اليهم لحظ فكرك شاخصا ... ترهم بقلبك حيث كنت وكانوا
ما بان عن مغناك من الطافه ... يهمى عليك سحابها الهتان
وجياد أنعمه ببابك ترتمى ... تسرى اليك بركبها الاكوان
جعلوا دليلا فيك منك عليهم ... فبدا على تقصيرك البرهان
يا لاحظاً سر الوجود بعينه ... السر فيك بأسره والشان
ارجع لذاتك ان اردت تنزها ... فيها لعيني ذي الحجا بستان
هي روضة مطلولة بل جنة ... فيها المنى والروح والريحان
كم حكمة صارت تلوح لناظرى ... حارت اباهر صنعها الاذهان
حجبت لشخصك عن عيانك شمسها ... شمش محاسن ذكرها التبيان
لولاك ما خفيت عليك أياتها ... والجوّ من أنوارها ملآن
أنت الحجاب لما تؤمل منهم ... ففناؤك الاقصى لهم وجدان
فاخرج اليهم عنك مفتقراً لهم ... ان الملوك بالافتقار تدان
واخضع لعزهم ولذ بهم يأتج ... منهم عليك تعطف وحنان
هم رشحوك الى الوصول اليهم ... وهمُ على طلب الوصال عوان
عطفوا جمالهم على اجمالهم ... حلىُ المشوق الحسن والاحسان
يا ملبسين عبيدهم حلل الضّنا ... جسمى بما تكسونه يزدان
لا سخط عندى للذى ترضونه ... قلبي بذاك فارح جذلان

تقربيكم عين الغناء وبعدكم . عين الفناء وحبكم ولهان
اني كتمت عن الانام هواكم حتى ذهبت وخانني الكتمان
ووشت بحالى عندذاك مدامع أذنى مواقع قطرها طوفان
وبدت علىّ شمائل عذرية تقضى بانى فيكم هيمان
فاذا نطقت فذكركم لى منطق ما عن سواكم للسان بيان
واذا صمتّ فانتم سرى الذى بين الجوانح فى الفؤاد يصان
فبباطنى وبظاهرى لكم هوى من جنده الاسرار والاعلان
وجوانحى وجميع أنفاسى وما أخنى على لحبكم أعوان
واليكم منى المفر فقصدكم حرم به للخائفين أمان

وقال يذم الدنيا ويمدح عقبى من يقلل منها

حديث الامانى فى الحياة شجون ان أرضاك شأن احفظتك شؤن
يميل اليها جاهل بغرورها فمنه اشتياق نحوها وأنين
وذو الحزم ينبو عن حجاب محالها يقيه اذا شك عراه يقين
اليك صريع الامن سنحة ناصح على نصحه سيما الشفيق تبين
تجاف عن الدنيا ودن باطراحها فمركبها بالمطمعين حرون
وترفيهها خفض وتنعيمها أذى ومنهلها للواردين أجون
اذا عاهدت خانت وان هي أقسمت فلا ترج براً باليمين يمين
يروقك منها مطمع من وفائها وسرعان ما إثر الوفاء تخون
وتمنحك الاقبال كفة حابل ومن مكرها فى طىّ ذاك كمين
سفاه لعمر الله امحاضك الهوى لمن أنت بالبغضاء منه قمين
ومن تصطفيه وهو يقطعك الهوى وتهدى له الاعزاز وهو يهين

ألا إنها الدنيا فلا تغترر بها ولود الدواهي بالخداع تدين
يعم رداها الغر والخب ذا الدها ويلحق فيها بالكناس عرين
وتشمل بلواها نبيها وخاملا ويلقى مذل ضرها ومصون
أبنها لحاها الله كم فتنة لها تعلم صم الصخر كيف تلين
فلا ملك سام أقالت عثاره ولو انه للفسر قدين خدين
ولا معهد الا وقد فتكت به بعيد الكرى لاثا كلات جفون
أبيت لنفسي ان يدنسها الكري سكون اليها موبق وركون
فليس قرير العين فيها سوي امرئ قلاه لها رأي يراه ودين
أبتَّ طلاق الحرص فالزهد دائبا خليل له مستصحب وقرين
اذا أقبلت لم يولها بشر شيّق ولا خف للاقبال منه رزين
وان أدبرت لم يلتفت نحوها بها وآد على مالم توات حزين
خفيف المطا من حمل اثقال همها اذ ماشكت ثقل الهموم متون
على حفظه للفقر أبهى ملاءة سناحليها وسط الدراري يزين
يرحب حال الخائفين منازل لهن مكان حيث حل مكين
منازل نجد عندها وتهامة سوى واستوى هند لديها وصين

....

فهذا أثيل الملك لاملك ثائر لاعدائه حرب عليه زبون
وهذا عريض العز لاعز مترف له من مشيدات القصور سجون
حوت شخصه أوصافها فكأنه وان لم يمت فوق التراب دفين
فيا خابطا عشواء والصبح قد بدا الى م تغطى ناظريك دجون
أفق من كرى هذا التمادي ولا تضع بجهلك علق العمر فهو ثمين

اذا كان عقبى ذى حياة الى بلى ... فان قصارى ذى الحياة منون
ففيم التفانى والتنافس ضلة ... وفيم التلاحي والخصام يكون
الى الله أشكوها نفوساً عمية ... عن الرشد والحق اليقين تبين
وأسأله الرجعى الى أمره الذى ... بتوفيقه حبل الرجاء متين
فلا خير الا من لدنه وجوده ... لتيسير أسباب النجاة ضمين

وجمت ديوان شعره أيام مقامى بمالقة عند توجهي صحبة الركاب السلطاني الى اصراخ الخضراء عام أربعة وأربعين وسبعمائة وقدمت صدره خطبة وسميت الجزء بالدرر الفاخرة . واللجج الزاخرة . وطلبت أن يجيزنى وولدى عبد الله رواية ذلك فكتب بخطه الرائق بظهر المجموع مانصه .

الحمد لله مستحق الحمد . أجبت سؤال الفقيه الاجل الافضل . السرىّ الماجد الاوحد الأحفل . الاديب البارع الطالع . فى أفق المعرفة والنباهة . والرفعة المكينة والوجاهة . بأبهي المطالع . المصنف الحافظ العلامة الحائز فى فنى النظم والنثر . وأسلوبى الكتابة والشعر . رتبة الرياسة والامامة . محلى جيد العصر بتواليفه الباهرة الرواء . ومحاسن بنيه الرائقة على منصة الاشادة والانباء . أبي عبد الله بن الخطيب وصل الله سعادته . وحرس مجادته . وسنى من الخير الاوفر . والصنع الجميل الابهر . قصده وارادته . وبلغه فى نجله الاسعد . وابنه الراقى بمحتده الفاضل ومنشئه الاطهر محل الفرقد . أفضل مايؤمل نحلته اياه من المكرمات وافادته . وأجزت له ولابنه عبد الله المذكور أبقاهما الله تعالى فى عزة سنية الحلال . وعافية ممتدة الافياء وارفة الظلال . رواية جميع ماتقيد فى الاوراق المكتتب على ظهر أول ورقة منها من نظمى ونثرى وما توليت انشاءه . واعتمدت بالارتجال والرواية

اختياره وانتقاءه . أيام عمري وجميع مالي من تصنيف وتقييد . ومقطوعة وقصيد . وجميع ما احمله عن أشياخي رضي الله عنهم من العلوم . وفنون المنثور والمنظوم . بأيّ وجه تأدى ذلك اليّ . وصح حملي له وثبت اسناده لديّ . اجازة تامة . في ذلك كله عامة . على سنن الاجازة الشرعي . وشرطها المأثور عند أهل الحديث المرعيّ . والله ينفعني واياهما بالعلم وحمله . وينظمنا جميعاً في سلك حزبه المفلح وأهله . ويفيض علينا من أنوار بركتة وفضله . قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد الفقير الى الله الغني به احمد بن ابراهيم بن احمد ابن صفوان ختم الله تعالى له بخير حامداً لله تعالى ومصلياً ومسلما على نبيه المصطفى الكريم . وعلى آله الطاهرين ذوي المنصب العظيم . وصحابته البررة أولى الأثرة والتقديم . في سادس ربيع الآخر عام أربعة واربعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل واشتمل هذا الجزء الذي أذن بتحمله عنه من شعره على جملة من المطولات منها قصيدة يعارض بها الرئيس أبا علي بن سينا في قصيدته الشهيرة في النفس التي مطلعها « هبطت اليك من المحل الارفع » أولها « أهلا بسرك المحب الموضع . وأول قصيدة »

لمعناك في الافهام سر مكتم ... عليه نفوس العارفين تحوم

وأول أخرى .

فناء وجودي في هوا كم هو الخلد ... ومحو رسومي سجن ذاتي به يبدو

وأول أخرى .

ألا في الهوى بالذل ترعى الوسائل ... ودمعي ان نودي مجيب وسائل

ومطلع أخرى .

هم القصد جادوا بالرضى أو تمنعوا ... صلوا اللوم فيها أودعوا القلب اودعوا

ومطالع أخرى .

سقى زمن الوضّاء هام من السحب ....

ومن أخري .

يافوز نفس فى هواك هواؤها رقت معانيها وراق مناؤها

ومن أخرى .

أما الغرام فبالفؤاد مقيم هيهات منى ما العذول يروم

ومن شعره فى المقطوعات .

رشق العذار لجينه بنباله فغدا يدور على المحب الواله
خط العذار بصفحتيه لامه خطا توعده بمحو جماله
فحسبت أن جماله شمس الضحى حسناً وذاك الخط خط زواله
فدنا الىّ تعجبا وأجابنى والروع يبدو من خلال مقاله
ان الجمال ختامه لام فعج عن رسمه واندب على أطلاله

ومن أبياته فى التورية قوله .

كففت عن الوصال طويل شوقى اليك وأنت للروح الخليل
وكفك للطويل فدتك نفسى قبيح ليس يرضاه الخليل

وقال فى التورية بالعروض .

يا كاملا شوقي اليه وافر وبسيط صبري في هواه عزيز
عاملت أسبابى اليك بقطعها والقطع فى الاسباب ليس يجوز

وقال فى التورية بالعربية .

أيا قمرا مطالعه جنانى وغرته توارت عن عيان

أأصرف عن هواك مع افتضاحي ... وسهدي وانتحالي علتان

وقال ايضاً .

لاتصحبن ياصاحبي غير الوفي ... كل امرء عنوانه من يصطفي

كم من خليل بشره زهر الربا ... في طيّ ذاك البشر حد المرهف

ظاهره يريك سر من رأي ... وأنت من اعراضه في أسف

ووقعت بينه وبين قاضي بلده أبي عمر بن منظور مقاطعة انجري معها الى مطالبة بما دعاه الى التحول مضطراً الى غرناطة وأخذ بنيطه وطوقه الموت في اثناء القطيعة فقال في ذلك متشفيا وهي من نبيه كلامه وكله نبيه .

تردي ابن منظور وحم حماه ... وأسلمه حام له ونصير

تبرأ منه اولياء غروره ... ولم يقه بأس المنون ضمير

وأودع بعد الانس موحش بلقع ... نحياه فيه منكر ونكير

ولا رشوة يدلي القبول رشادها ... فينسخ بالسراء منه عسير

ولا شاهد يقضي له عن شهادة ... تخللها افك يصاغ وزور

ولا خدعة تجدي ولا مكر نافع ... ولا غش مطوى عليه ضمير

ولكنه حق يصول وباطل ... يحول ومثوى جنة وسعير

وقالوا اقضاء الموت حتم على الوري ... يذوق صغير كأسه وكبير

فلا تتسم ريح ارتياح لفقده ... فانك عن قصد السبيل تجور

فقلت بلى حكم المنية شامل ... وكل الى رب العباد يصير

ولكن تقديم الاعادي الى الردي ... نشاط يعود القلب منه سرور

وأمن ينام المرء في برد ظله ... ولا حية بالحقد ثمّ تثور

وحسبي بيت قاله شاعر مضى ‌‌ غدا مثلا فى العالمين يسير
وان بقاء المرء بعد عدوه ‌‌ ولو ساعة من عمره لكثير

﴿ مولده ﴾

قال بعض شيوخنا سألته عن مولده فقال لي فى آخر خمسة وسبعين وستمائة أظن فى ذى القعدة منه الشك

﴿ وفاته ﴾

بمالقة في آخر جمادي الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة

﴿ أحمد بن أيوب اللماى من أهل مالقة ﴾

يكنى أبا جعفر

﴿ حاله ﴾

قال صاحب الذيل كان أديباً ماهراً وشاعراً جليلا وكاتباً نبيلا كتب عن أول الخلفاء الهاشميين بالاندلس علىّ بن حمود ثم عن غيره من أهل بيته وتولى تدبير أمرهم فحاز لذلك صيتاً شهيراً وجلالة عظيمة . وذكره ابن بسام فى الذخيرة فقال . كان أبو جعفر هذا في وقته أحد أئمة الكتاب . وشهاب الآداب . ممن سخرت له فنون البيان . تسخير الجن لسليمان . وتصرف فى محاسن الكلام . تصرف الرياح فى الغمام . طلع من ثناياه . واقتعد مطاياه . وله نشأة سرية . فى الدولة الحمدية . اذ كان علم أدبائها والمضطلع

بأعبائها . الا أنى لم أجد عند تحرير هذه النسخة من كلامه الا بعض فصول من منثوره . وهى ثماد من بحوره .

﴿ فصل ﴾ من رقعة خاطب بها أبا جعفر بن العباس . غصن ذكرك عندى ناضر. وروض شكرك لدىّ عاطر . وريح اخلاصى لك صبا . وزمن املالي فيك صبا . فأنا شارب ماء إخائك متفيئ ظل وفائك . جان منك ثمرة فرع طاب أكله . واجتنانى البر قديماً أصله . وسقانى اكؤساً برقه . وروانى افضالا ودقه . وأنت الطالع فى فجاجه . السالك لمنهاجه . سهم فى كنانة الفضل صائب . ونجم فى سماء المجد ثاقب . ان أتهمت الاعداء نوره حرق . وان رميتهم به أصاب الحدق . وعلى الحقيقة فلسانى يقصر عن جمع جميع نثره . ووصف جميل نشره وثره .

﴿ شعره ﴾

قال ومما وجد بخطه لنفسه .

طلعت طلائع ذا الربيع فاطلعت	فى الروض ورداً قبل حين أوانه
حيا أمير المؤمنين مبشرا	ومؤملا للنيل من احسانه
ضنت سحائبه عليه بمائها	فأتاه يستسقيه ماء بنانه
دامت لنا أيامه موصولة	بالعز والتمكين فى سلطانه

قال وأنشدنى الاديب أبو بكر بن جفن قال أنشدنى أبو الربيع بن العريف لجده الكاتب أبي جعفر اللماى وامتحن بداء النسمة من أمراض الصدر وأزمن به نفعه الله وأعيا علاجه بعد ان لم يدع فيه غاية وفى ذلك يقول .

لم يبق لى شيأ أعالجها به ... طمع الحياة وأين من لا يطمع
واذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

ودخل عليه بعض أصحابه فيها وجعل يروح عليه فقال بديهة

روحنى عائدى فقلت له ... لا تزدنى على الذى أجد
أما ترى النار وهى خامدة ... عند هبوب الريح تتقد

ودخل غرناطة غير مامرة منها مترددا بين أملاكه وبين من بها من ملوك صنهاجة قالوا ولم تفارقه تلك الشكاية حتى كانت سبب وفاته .

﴿ وفاته ﴾

بمالقة عام خمس وستين وأربعمائة ونقل منها الى حصن الورد وهو عند حصن بيت ميورواد كان قد حصنه واتخذه لنفسه ملجأ عند شدته فدفن به بعهد منه بذلك وأمر ان يكتب فيه على قبره بهذه الابيات .

بنيت ولم أسكن وحصنت جاهدا ... فلما أتى المقدور صيره قبرى
ولم يك حظى غير ما أنت مبصر ... بعينك ما بين الذراع الى الشبر
فيا زائرا قبرى أوصيك جاهدا ... عليك بتقوى الله فى السر والجهر

أحمد بن محمد بن طلحة من أهل جزيرة شقر

﴿ يكنى أبا جعفر ويعرف بابن جده طلحة ﴾

﴿ حاله ﴾

قال صاحب القدح المعلى من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسية

كتب عن ولاة الامر من بني عبد المؤمن ثم استكتبه ابن هود حين تغلب على الاندلس وربما استوزره وهو ممن كان والدى يكثر مجالسته وبينهما مزاورة ولم أستفد منه الا ما كنت أحفظه من مجالسته .

﴿ شعره ﴾

قال سمعته يوماً يقول تقيمون القيامة بحبيب والبحترى والمتنبي وفي عصركم من يهتدى الى مالم يهتد اليه المتقدمون ولا المتأخرون فانبرى اليه شخص له هجمة واقدام فقال يا أبا جعفر أين ذلك فما أظنك تعنى الا نفسك فقال ما أعنى الا نفسى ولم لا وأنا الذى أقول .

يا هل ترى الظرف من يومنا قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها مطربة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى فى الروض الا بكأس الشقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان وردوه فى الغيظ كما كان فقلت له يا سيدى هذا والله السحر الحلال وما سمعت من شعر أهل عصرنا مثله فبالله الا ما لازمتني وزدتني من هذا النمط فقال لي لله درك ودر أبيك من منصف ابن منصف اسمع وافتح أذنيك ثم أنشد .

أدرها فالسماء بدت عروسا مضمخة الملابس بالغوالي
وخدّ الارض عفره أصيل وجفن النهر كحل بالظلال
وجيد الغصن يشرب في لآل تضيء بهن أكناف الليالي

فقلت بالله أعد وزد فأعاد والارتياح قد ملأ عطفه . والتيه قد رفع أنفه .

لله نهر عند ما زرته عاين طرفى منه سحراً حلال

اذا أصبح الطل به ليلة　　تخال فيه الغصن مثل الخيال

فقلت ما على هذا مزيد فى الاستحسان فعسى أن يكون المزيد فى الانشاد فزاد ارتياحه وأنشد

ولما حال بحر الليل بينى　　وبينكم وقد جددت ذكرا

اراد لقاءكم انسان عينى　　فمد له المنام عليه جسرا

فقلت ايه زادك الله حسناً فزاد

ولما أن رأى انسان عينى　　بصحن الخد منه غريق ماء

أقام له العذار عليه جسرا　　كما مر الظلام على الضياء

فقلت فما يكرر ويطول . فانه مملول . الا ما أوردته آنفاً فانه كنسيم الحياة وما ان يمل فبالله الا ما زدتنى وتفضلت عليّ بالاعادة فأعاد وأنشد .

هات المدام اذا رأيت شبيهها　　فى الافق يافرداً بغير شبيه

فالصبح قدذبح الظلام بنصله　　فغدت حمائمه تخاصم فيه

﴿ دخوله غرناطة ﴾

دخلها مع مخدومه المتوكل على الله ابن هود وفى جملته اذ كان يصحبه فى حركاته ويباشر معه الحرب وجرت عليه الهزائم وله في ذلك كله شعر .

﴿ محنته ﴾

قالوا لم يقنع بما أجرى عليه أبو العباس السبتى من الاحسان فكان يوغر صدره من الكلام عليه فذكروا أن السبتى قال يوما فى مجلسه رميت يوماً بسهم من كذا فبلغ الى كذا فقال أبو طلحة لشخص كان الى جانبه والله لو كان قوس قزح فشعر أبو العباس الى قوله ما يشبه ذلك واستدعى الشخص وعزم عليه فأخبره بقوله فأسرها له فى نفسه الى أن قوى الحقد عليه

ما بلغه عنه من قوله يهجوه .

سمعنا بالموفق فارتحلنا　　وشافعنا له حسب وعلم
ورمت يداً أقبلها وأخرى　　أعيش بفضلها أبداً وأسمو
فأنشدنا لسان الحال عنه　　يد شلا وأمر لا يتم

فزادت موجدته عليه وراعى أمره الى أن بلغته أبيات قالها فى شهر رمضان وهو على حال الاستهتار .

يقول أخو الفضول وقد رآنا　　على الايمان يغلبنا المجون
أتشكو ضر شهر الصوم هلا　　حماه منكم عقل ودين
فقلت اصحب سوانا نحن قوم　　زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين　　الرعاع فما به أبداً ندين
فنحن الى صبوح الدهر ندعو　　وابليس يقول لنا أمين
فيا شهر الصيام اليك عني　　فاني فيك أكفر ما يكون

قال فأرسل اليه من هجم عليه وهو على هذا الحال وأظهر ارضاء العامة بقتله وذلك فى سنة احدى وثمانين وسبعمائة ولا خفاء انه من صدور الاندلس وأشدهم عثوراً على المعانى الغريبة رحمه الله .

أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الانصارى

من أهل المرية يكنى أبا جعفر ويعرف بابن خاتمة

حاله

هذا الرجل صدر يشار اليه طالب متفنن مشارك قوى الادراك سديد النظر

قوى الذهن موفر الادوات كثير الاجتهاد معين الطبع جيد القريحة بارع الخط ممتع المجالسة حسن الخلق جميل المعاشرة حسنة من حسنات الاندلس وطبقة فى النظم والنثر بعيد المرقى فى درجة الاجتهاد واخذه بطرق الاحسان عقد الشروط وكتب عن الولاة ببلده وقعد للاقراء ببلده مشكور السيرة محمود الطريقة فى ذلك كله . وجرى ذكره فى كتاب التاج المحلى بما نصه .

ناظم درر الالفاظ . ومقلد جواهر الكلام نحور الرواة ولبات الحفاظ . والآداب التي اصبحت شواردها حلم النائمين وسمر الايقاظ . وركن في بياض طرسها وسواد نقشها سحر الالحاظ . رفع فى قطره راية هذا الشان على وفور حلبته . وبرز في قصبة البيان على سمو هضبته . وفوّق سهمه الي نحور الاحسان فاثبت فى لبته . فان أطال . شان الابطال . واكثر المنسجم الهطال . وان اوجز . فضح وأعجز . فمن نسيب يهيج به الاشواق . وتضيق عن زفراتها الأطواق . ودعابة تقاص ذيل الوقار . وتزرى باكؤس العقار . الى انتحال المعارف . والجنوح الى الظلل الوارف . ولم تزل معارفه تنقسم آمادها . وتحوز قصب السباق جيادها

مشيخته

حسبما نقل بخطه فى ثبت استدعاه من أخذ عنه الشيخ الخطيب الاستاذ مولى النعمة على طبقته بالمرية أبو الحسن على بن محمد بن أبى العيش المري قرأ عليه ولازمه وبه جل انتفاعه والشيخ الخطيب الاستاذ الصالح أبو اسحاق ابراهيم بن أبى العاصي التنوخي وروى عن شيخ الرواة المحدث المكثر الرحال محمد بن جابر بن محمد بن حسان من وادى آش وعن شيخنا أبى البركات بن الحاج سمع منه الكثير واجازه اجازة عامة والشيخ الخطيب

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسي من أهل بلده والقاضي أبو جعفر القرشي بن فركون . وأخذ عن الوزير الحاج الزاهد محمد بن محمد بن سهل بن مالك وقرأ على المقرئ أبي جعفر وغيرهم

﴿ كتابته ﴾

مما خاطبني به بعد المام الركب السلطاني ببلده وانا صحبته ولقائه اياي بما يلق به مثله من تأنيس وبر وتودد وتردد

يامن حصلت على الكمال بمارأت	عيناي منه من الجمال الرائع
قمر يروق وفي عطافي برده	ماشئت من كرم ومجد بارع
أشكو اليك من الزمان تحاملا	في فض شمل لي بقربك جامع
هجم البعاد عليه ضنا باللقا	حتى تقلص مثل برق لامع
فلو انني ذو مذهب لشفاعة	ناديته يامالكي ياشافعي

شكواي الى سيدي ومعظمي اقر الله تعالى بسنائه أعين المجد . وأدر بثنائه ألسن الحمد . شكوى ظمآن صد عن القراح العذب لأول وروده . والهيمان رد عن استرواح القرب لمعضل صدوده . من زمان هجم عليّ بابعاده . على حين اسعاده . ودهمني بفراقه . بعد انارة افقي به واشراقه ثم لم يكفه مااجترم في ترويع خياله الزاهر . حتى حرم عن تشييع كماله الباهر . فقطع عن توفية حقه ومنع من تأدية مستحقه . لاجرم أنه انف لشعاع ذكائه من هذه المطالع النائية عن شريف الانارة . وبخل بالامتاع بذكائه عن هذه المسامع النائية عن لطيف العبارة . فراجع انظاره . واسترجع معاره . والافعهدي بغروب الشمس الى الطلوع وأن البدر يتصرف بين الاقامة والرجوع . فما بال هذا النير الاسعد . غرب ثم لم يطلع من الغد . ما ذاك الالعدوى الايام وعدوانها . وشأنها في

تغطية اساءتها وجه احسانها . وكما قيل عادت هيف الى أديانها . أستغفر الله أن لا يعد ذلك من المغتفر . في جانب ما أولت من الأثر . التي أزرى العيان فيها بالاثر . وأربى الخبر على الخبر . فقد سرت متشوفات الخواطر . واقرت متشرفات النواظر . بما حوت من ذلكم الكمال الباهر . والجمال الناضر . الذى قيد خطا الابصار . عن التشوق والاستبصار . وأخذ بأزمة القلوب . عن سبيل كل مأمول ومرغوب . وأنّى للعين . بالتحول عن كمال الزين . أو للطرف . عن خلال الظرف . أو للسمع من مراد . بعد ذلكم الاصدار الادبي والايراد . أو للقلب من مراد . غير تلكم الشيم الرافلة فى حلل وابراد . وهل هو الا الحسن جمع فى نظام . والبدر طالع لتمام . وأجناس الفضل ضمها جنس اتفاق والتئام . فما ترعى العين منه فى غير مرعى خصيب . ولا تستهدف الاذن بغير سهم فى حدق البلاغة مصيب . ولا تستطلع النفس سوى مطلع له فى الحسن والاحسان أوفر نصيب . لقد أزرى بناظم حلاه فيما يتعاطاه التقصير . وانفسح مدى علاه بكل باع قصير . وسفه حلم القائل ان الانسان عالم صغير . شكراً للدهر على يد أسداها بقرب مزاره . وتحفة اهداها بمطلع أنواره . على تغاليه فى ادخاره نفائسه وتحليه بنفائس ادخاره . لا غرو أن يضيق عنا نطاق الذكر . ولا يتسع لنا سوار الشكر . فقد عمت هذه الاقطار بما شاءت من تحف وكرامة . واجتنت اهلها ثمرة الرحلة فى ظل الاقامة . وجري لهم الامر فى ذلك مجرى الكرامة . ألا وان مفاتحى لسيدى ومعظمى حرس الله تعالى مجده . وضاعف سعده . مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه . وجرى له القدر على وفق مرغوبه . فشرع له اهله بابا . ورفع له من خجله جلبابا . فهو يكلف بالاقتحام . ويأنف من الاحجام . غير

أن الحصر عن درج قصده يقيده . والبصر ببهرج نقده فيقمده . فهو يقدم رجلا ويؤخر أخرى . ويجدد عزما ثم لايتحري . فان أبطأ خطابي فلواضح الاعذار . ومثالكم من قبل جليات الاقدار . والله سبحانه يصل لكم عوائد الاسعاد والاسعاف . ويحفظ بكم ماللمجد من جوانب واكناف . ان شاءالله تعالى . وكتب فى عاشر ربيع الاول عام ثمانية واربعين وسبعمائة .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

دخل غرناطة غير مامرة منها فى استدعاء الخواص . من أهل الاقطار الاندلسية عند اعذار الامراء فى الدوله اليوسفية فى شهر شعبان عام احدى وخمسين وسبعمائة .

﴿ شعره ﴾

أجنان خلد زخرفت أم مصنع ... والعيد عاود أم صنيع يصنع

ومن شعره .

من لم يشاهد موقفا لفراق ... لم يدر كيف توله العشاق

ان كنت لم تره فسائل من رأي ... يخبرك عن ولهى وعن أشواقى

من حر أنفاس وخفق جوانح ... وصدوع اكباد وفيض مآق

دهي الفؤاد فلا اللسان بناطق ... عند الوداع ولا بلفظ فراق

ولقد أشير لمن تكلف رحلة ... أن عج الى ولو بقدر فواق

على أراجع من دماي حشاشة ... أشكو بها بعض الذى انا لاقى

فمضي ولم تعطفه نحوي ذمة ... هيهات لا بقيا على مشتاق

ياصاحبي وقد مضى حكم النوي ... روحا على بشيمة العشاق

واستقبلا بى نسمة عن ارضكم ... فلعل نفحتها تحل وثاقي

انى ليشفينى النسيم اذا سرى ... متضوعا من تلكم الآفاق
من مبلغ بالجزع أهل مودتى ... اني على حكم الصبابة باقى
والئن تحول عهد قربهم نوي ... ما حلت عن عهدي ولا ميثاق
ابقت خلائق الكرام لخلتى ... نسباً الى الاخلاق والاخلاق
قسما به ما استغرقتنى فكرة ... الا وفكرى فيه واستغراقى
لى أهة عند العشى لعله ... يصغى لها وكذا مع الاشراق
ابكي اذا هم النسيم فان تجد ... بلالابه فبدمعي المهراق
أورفقة كتبت اليه مع الصبا ... فالكتب كتبي والرفاق رفاقى
من لى بقرب مزار أهيف نازح ... ادنى لقلبي من جوى اشواقى
ان غاب عن عينى فمثواه الحشا ... فسراه بين القلب والاحداق
جارت على يد النوي بفراقه ... آها لما جنت النوي بفراق
احباب قلبي هل لماضى عيشكم ... رد فينسخ بعدكم بتلاق
أم هل لاثواب التجلد راقع ... اذ ليس ثم من المحبة راق
ماغاب كوكب حسنكم عن ناظري ... الا وأمطرت الدما آماقى
ايه أخى أدر على حديثهم ... كاساذكت عرفاوطيب مذاق
ذكراه راحى والصبابة خمرتى ... والدمع سانيتى وأنت الساقى
فليله عنى من لحانى انى ... راض بما لاقيته وألاقى

وقال

وقفت والركب قد زمت ركائبه ... وللنفوس مع الايام تقطيع
وقد تمايل نحوي للوداع وهل ... للراحل القلب صدر الركب تودبع
اشم منه كما أهدي لغير نوي ... ريحانة فى شذاها الطيب مجموع

يهفو فأذعر خوفا من تقلصها ... ان الشفيق بسوء الظن مولوع
هل عند من قد دعى بالبين مقلته ... ان الردى منه مرئى ومسموع
اشيّع القلب عن رغم عليّ وما ... بقاء جسم له للقلب تشييع
أري وشاتى أنى لست مفتقرا ... لما جري وصميم القلب مصدوع
الوجد طبع وسلوانى مصانعة ... هيهات يشكل مصنوع ومطبوع
ان الجديد اذا ما زيد في خلق ... تبين الناس ان الثوب مرقوع

وقال أيضاً

لو لا حياءي من عيون النرجس ... لالثمت خد الورد بين السندس
ورشفت من ثغر الاقاحة ريقها ... وضممت اعطاف الغصون الميّس
وهتكت استار الوقار ولم اقل ... للباقلا الحظ بطرف أشوس
مالى وصهباء الدنان مطارحا ... سجع القيان مكاشفاً وجه المس
شتان بين مظاهر ومخاتل ... وغب الحجا ومطهر ومدنس
ومجمجم بالعذل با كرنى به ... والطير أفصح مسعد بتأنس
نزهت سمعي عن سفاهة نطقه ... وأعرته صوتا رخيم الملمس
سفهت فى العشاق قوما ان اكن ... ذاك الذي يدعو الفصيح بأخرس
أعذول وجدي ليس عشك فادرجي ... ونصيح رشدي بان نصحك فاجلس
هل تبصر الاشجار والاطيار والأزهار تلك الخافضات الأرؤس
تالله وهو أليتي وكفى به ... قسما يفدى بره بالأنفس
ماذاك من سكر ولا لخلاعة ... لكن سجود مسبح ومقدس
شكراً لمن برأ الوجود وجوده ... فثنى اليه الكل وجه المفلس
رفع السما سقفا يروق رواؤه ... ودحا ببسط الارض أوثر مجلس

ووشى بانواع المحاسن هذه ... وأنار هـذى بالجوار الكنّس
وأدرّ أخلاف العطاء تطولا ... وأنال فضلا من يطيع ومن يسى
حتى اذا انتظم الوجود بنسبة ... وكساه ثوبى نوره والحندس
فاستكملت كل النفوس كمالها ... شفع العطايا بالعطاء الانفس
بأجل هاد للخلائق مرشد ... وأتم نور للخلائق مقبس
بالمصطفى المهدى الينا رحمة ... قمر الدجى ومزيل ضر الأبؤس
نعم يضيق الوصف عن احصائها ... فل الخطيب بها لسان الاوجس
ايه فحدثنى حديث هواهم ... ما أبعد السلوان عن قلب الاسى
ان كنت قد أحسنت نعت جمالهم ... فلقد سها عنه العذول وقد نسى
ما ان دعوك ببلبل الالما ... قد هجت من بلبال هذي الانفس
سبحان من صدع الجميع بحمده ... وبشكره من ناطق أو أخرس
وامتدت الاظلال ساجدة له ... بجبالها من قائم أو أقعس
فاذا تراجمت الطيور وزايلت ... أغصانها بان المطيع من المسى
فيقول ذا سكرت انغمة مرشد ... ويقول ذا سجدت لذكر مقدس
كل يفوه بقوله والحق لا ... يخفى على نظر اللبيب الاكيس

وقال

زارت على حذر من الرقباء ... والليل ملتحف بفضل رداء
تصل الدجا بسواد فرع فاحم ... لتزيد ظلماء الى ظلماء
فوشى بها من وجهها وحليها ... بدر الدجا وكواكب الجوزاء
أهلا بزائرة على خطر السرى ... ما كنت أرجوها ليوم لقاء
أقسمت لولا عفة عذرية ... وتخوفى وشي الرقيب الراء

لنقمت غلة لوعتى برضا بها ونضحت ورد خدودها ببكاءى

ومن ذلك ما قاله أيضاً

أرسلت ليل شعرها من عقاص عن محيا رمى البدور بنقص
فأرتنا الصباح فى جنح ليل يتهادى ما بين غصن ودعص
وتصدت براحمات نهود أشرعت للانام من تحت قمص
فتولت جيوش صبرى انهزاما وتوالى ذاك الشقاء وحرصى
ليس كل الذى يفر بناج رب طعن فيه حياة لشخص
كيف لى بالسلو عنها وقلبي قد هوى حله بهول وحوص
ما تعاطيت باهر الصبر الا ردنى جيدها بأوضح نص

ومن ذلك قوله أيضاً

انا بين الحياة والموت وقف نفس خافت ودمع ووكف
حلّ بى من هواك ما ليس ينبي عنه نعت ولا يعبر وصف
عجباً لانعطاف صدغيك والعطف والجيد ثم ما منك عطف
ضاق صدرى بضيق حجلك واستو قف طرفى حيران ذاك وقف
كيف يرجى فكاك قلب معنّي فى غرام قيداه قرط وشنف

ومن ذلك قوله أيضاً

رق السنا ذهباً فى اللازوردىّ فالافق ما بين مرقوم وموشى
كأنما الشهب والاصباح ينهبها لآلئ سقطت من كف زنجي

ومن شعره في الحكم قوله

هو الدهر لا يبقى على عائذ به فمن شاء عيشاً يصطبر لنوائبه
فمن لم يصب فى نفسه فمصابه بفوت أمانيه وفقد حبائبه

ومن ذلك قوله

ملاك الامر تقوى الله فاجعل تقاه عدّة اصلاح أمرك
وبادر نحو طاعته بعزم فما تدرى متى يمضى بعمرك

ومن ذلك أيضاً

دماء فوق خدك أم خلوق وريق ما بثغرك أم بروق
وما ابتسمت ثنايا أم أقاح ويكنفها شفاه أم شقيق
وتلك سناة قوم ما تعاطت جفونك أم هى الخمر العتيق
لقد أعدت معاطفك انثناء وقلبي سكرة ما ان يفيق
جمالك خضرتي وهواك راحي وكأسى مقلتي فمتى أفيق

ومن شعره في الاوصاف

أرسل الجو ماء ورد رذاذا وسع الحزن والدمائث رشا
فانثنى حول أسوق الدوح حجلا وجرى فوق بردة الروض رقشا
وسما فى الغصون حلى بنان أصبحتْ من سلافة الطل رعشا
فترى الزهر يرقم الارض رقما وترى الريح تنقش الماء نقشا
فكأن المياه سيف صقيل وكأن البطاح غمد موشى

وكتب عقب انصرافه من غرناطة في بعض قدماته عليها ما نصه مما قلته بديهة عند الاشراف على جنابكم السعيد ودخولى مع النفر الذين اتحفهم سيادتكم بالاشراف عليه. والدخول اليه . وتنعيم الابصار في المحاسن المجموعة لديه .وكان يوما قد غابت شمسه . ولم يتفق ان كمل انسه وأنشدته حينئذ بعض من حضر ولعله لم يبلغكم وان كان قد بلغكم ففضلكم يحملني في اعادة الحديث

أقول وعين الدمع نصب عيوننا ولاح لبستان الوزارة جانب

أهذى سماء أم بناء سماؤه   كواكب غضت عن سناها الكواكب
تناظرت الاشكال منه تقابلا   على السعد وسطى عقده والجبائب
وقد جرت الامواه فيه مجرة   مذانبها شهب لهن ذوائب
وأشرق من علياه بهو تحفه   شماسي زجاج وشيها متناسب
يطل على ماء به الآس دائرا   كما افتر ثغر أو كما اخضر شارب
هنالك ما شاء العلا من جلالة   بها يزدهي بستانها والمراتب

ولما احضر الطعام هنالك دعى شيخنا القاضي أبو البركات فاعتذر بانه صائم قد بيته من الليل فحضرني ان قلت

دعونا الخطيب أبا البركات لأكل طعام الوزير الأجل
وقد ضمنا في نداه جنان   به احتفل الحسن حتى كمل
فأعرض عنا لعذر الصيام   وما كل عذر له مستقل
فان الجنان محل الجزاء   وليس الجنان محل العمل

وعند ما فرغنا من الطعام أنشدت الابيات شيخنا أبا البركات فقال لي لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم تفرغوا منه لاكلت معكم برا بهذه الابيات والحوالة فى ذلك على الله تعالى .

ولما قضى الله عز وجل بالادالة . ورجعنا الى أوطاننا من العدوة واشتهر عني ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة والتيه على السلطان والادالة. والتكبر على أعلى رتب الخدمة . وتطارحت على السلطان في استنجاز وعد الرحلة . ورغبت فى تبرئة الذمة . ونفرت عن الاندلس بالجملة . خاطبنى بعد صدر بلغ من حسن الاشارة وبراعة الاستهلال الغاية بقوله .

والى هذا ياسيدى ومحل تعظيمى واجلالى أمتع الله تعالى الوجود بطول

بقائكم . وضاعف فى العز درجات ارتقائكم . فانه من الامر الذى لم يغب عن
رأى العقـول . ولا اختلف فيه أرباب المعقول . انكم بهذه الجزيرة شمس
أفقهـا . وتاج مفرقها . وواسـطة سلكها . وطراز فلـكها . وقلادة
نحرها . وفريدة درها . وعقد جيدها المنصوص . وتمام زينتها على العموم
والخصوص . ثم أنتم مـدار أفلاكها . وسر سياسة أملاكها . وترجمـان
بيانها . ولسان احسانها . وطبيب مارستانها . والذى عليه عقد ادارتها . وبه
قوام امارتها . ولديه يحل المشكل . واليه يلجأ فى الامر المعضل . فلا غرو أن
تتقيد بكم الاسماع والابصار . وتحـدق نحوكم الاذهـان والافكار . ويزجر
عنكم السانح والبارح . ويستنبأ ماتطرف عنه العين وتختلج الجوارح . استقراء
لمرامكم . واستطلاعا لطالع اعتزامكم . واستكشافا عن مرامى سهامكم . لاسيما
مع اقامتكم على جناح خفوق . وظهوركم فى ملتمع بروق . واضطراب
الظنون فيكم مع الغروب والشروق . حتى تستقر بكم الديار . ويلقي عصاه
التسيار . وله العذر فى ذلك اذ صدعها بفراقكم لم يندمل . وسرورها بلقائكم
لم يكتمل . ولم يبر بعد جناحها المهيض . ولا جم ماؤها المغيض . ولا تميزت
من داجيها لياليها البيض . ولا اسـتوي نهارها . ولا تألفت انهارها . ولا
اشتملت نعماؤها . ولا نسيت غماؤها . بل هي كالناقه . والحديث العهد بالمكاره .
يستشعر نفس العافية . ويتمسح منكم باليد الشافيـة . فبحنانكم عليها . وعظم
حرمتكم على من لديها . لاتشوبوا لها عذب المجاج بالاجاج . وتفطموها عمـا
عودت من طيب المزاج . فما لدائها وحياة قربكم . غير طبكم من علاج . وانى
ليخطر بخاطرى محبة فيكم . وعناية بما يعنيكم . مانال جانبكم صانه الله تعالى
بهذا الوطن من الجفا . ثم اذكر مانالكم من حسن العهد وكرم الوفا . وان

الوطن أحد المواطن الاظآر [1] التي يحق لها جميل الاحتفاء . ومايتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء . فيغلب على ظني انكم لحسن العهد أنجح . وبحق نفسكم عن حق أوليائكم أسمح . والتي هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجح . وهب أن الدر لايحتاج في الاثبات . الى شهادة النحور واللبات . والياقوت غني عن المكان . عن مظاهرة القلائد والتيجان . أليس انه أعلى للعيان . وأبعد عن مكابرة البرهان . تألقها في تاج الملك أنوشروان . فالشمس ان كانت أم الانوار . وجلاء الابصار . . مهما غم مكانها من الافق قيل أليل هو أم نهار . وكما في علمكم مافارق ذوو الارحام . وأولو الاحلام . مواطن استقرارهم . وأماكن قرارهم . الا برغمهم واضطرارهم . واستبدال خير من دارهم . ومتى توازن الاندلس بالمغرب . أو يعوض عنها الا بمكة أو يثرب . ماتحت أديمها أشلاء أولياء وعباد . وما فوقه مرابط جهاد . ومعاقد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد . ثم يبوأ ولده مبوأ أجداده . ويجمع له بين طارفه وتلاده . اعيذ أنظاركم المسددة من رأى فائل . وسعي طويل لم يحل منه بطائل . فحسبكم من هذا الاياب السعيد . والعود الحميد . فاجبته عنها بقولي .

لم في الهوى العذري أولا تلم ... فالعذل لايدخل اسماعي

شأنك تعنيفي وشأني الهوى ... كل امرئ في شأنه ساعي

أهلا بتحفة القادم . وريحانة المنادم . وذكر الهوى المتقادم . لايصغر الله مسراك . فما أسراك . لقد جابت الى من هومي ليلا . واجلبت رجلا وخيلا . ووفيت من صاع الوفاء كيلا . وظننت بي الاسف على مافات .

(١) في القاموس الظئر بالكسر العاطفة على ولد غيرها جمع أظؤر وأظآر والظئر ركن للقصر والدعامة الى جنب حائط اه باختصار

فأعملت الالتفات . لكيلا . فأقسم لو أن الامر اليوم بيدي . أو كانت اللامة السوداء من عددي . . ما افلت اشراكي المنصوبة لامثالك . حول المياه وبين المسالك . ولا علمت ماهنالك . لكنك طرقت حمى كسمته الغارة الشعواء . وغيرت ربعه الانواء . نخمد بعد ارتجاجه . وسكت أذين دجاجه . وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه . وطال عهده بالزمان الاول . وهل عند رسم دارس من معول . وحيا الله ندباً الى زيارتى ندبك . وبآدابه الحكمية أدبك . فكان وقد افاد بك الامانى كمن أهدي الشفاء الي العليل وهى شيمة بوركت من شيمه . وهبة الله تعالى قبله من لدن المشيمة . ومن مثله فى صلة رعى . وفضل سعي . وقول وعى .

قسما بالكواكب الزهر والزهر عاتمه | انما الفضل ملة ختمت بابن خاتمه

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل . وحملنى شكره وكتدى واه عن التحمل . ونظرني بالعين الكليلة عن العيب فهلا أجاد التأمل . واستطلع طلع نثي . ووالى فى مبرك المعجزة حثي . انما اشكو بثى .

* ولو ترك القطا ليلا لناما *

وما حال شمل وتده مفروق . وقاعدته فروق . وصواع بنى أبيه مسروق . وقلب قرحه من عضة الدهر دام . وجمرة حسرته ذات احتدام . هذا وقد صارت الصغرى . التى كانت الكبرى . لمشيب لم يرع ان هجم . لما نجم . ثم تهلل عارضه وانسجم .

لاتجمعى هجرا على وغربة | فالهجر فى تلف الغريب سريع

نظرت فاذا النفس فريسة ظفر وناب . والمال اكيلة انتهاب . والعمر رهن ذهاب . واليد صفر من كل اكتساب . وسوق المعاد مترامية والله سريع الحساب .

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لاخيار مع الزمان

وهب ان العمر جديد . وظل الامن مديد . ورأى الاغتباط بالوطن سديد . فما الحجة لنفسى اذا مرت بمطارح جفوتها . وملاعب هفوتها ومثاقف قناتها . ومظاهر عزهاومناتها . والزمان ولود . وزناد الكون غير صلود .

واذا امرؤ لدغته أفعى مرة تركته حين يجر حبل يفرق

ثم ان المرغب قد ذهب . والدهر قد استرجع ما وهب . والعارض قد اشتهب . وآراء الاكتساب مرجومة مرفوضة . وأسماؤه على الجوار مخفوضة . والنية مع الله على الزهد فيما بايدى الناس معقودة . والتوبة بفضل الله عز وجل منقودة . والمعاملة سامرية . ودروع الصبر سابرية . والاقتصاد قد قرت العين بصحبته . والله قد عوض حب الدنيا بمحبته . فاذا راجعها مثلى بعد الفراق . وقد رقى لدغتها الف راق . وجمعتنى بها الحجرة . ما الذي تكون الاجرة . جل شاني . وان رضى الوامق وسخط الشانى . انى الى الله تعالى مهاجر . وللعرض الادنى هاجر . ولأظعان السرى زاجر . لنجد ان شاء الله تعالى وحاجر . لكن دعاني للهوى . الى هذا المولى المنعم هوي . خلعت نعلي الوجود وما خلعته . وشوق أمرنى فاطعته . وغاب والله صبري فما استطعته . والحال اغلب . وعسى أن لا يخيب المطلب . فان يسر رضاه فامر كمل . وراحل احتمل . وحاد أشجى الناقة والجمل . وان كان خلاف ذلك فالزمان جم العلائق . والتسليم بمقامى لائق .

مابين غمضة عين وانتباهتها يصرف الامر من حال الى حال

وأما تفضيله هذا الوطن ليمن طيره . وعموم خيره . وبركة جهاده .

وعمران رباه ووهاده . باشلاء عباده وزهاده . حتى لا يفضله الا أحد الحرمين
لحق برئ من المين . لكنني للحرمين جنحت . وفي جو الشوق اليهما سنحت
فقد افضت الى طريق قصدي محجته . ونصرتني والمنة لله تعالى حجته . وقصد
سيدي أسنى قصد توخاه الحمد والشكر . ومعروف عرف به الفكر . والآمال
من فضل الله تعالى تمتار . والله يخلق مايشاء ويختار . ودعاؤه بظهر الغيب مدد .
وعدة وعدد . وبره حالى الظعن والاقامة معتمل ومعتمد . ومجال المعرفة
بفضله لا يحصره أحد والسلام

وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثاني عشر شعبان سنة سبعين وسبعمائة

أحمد بن عباس بن أبي زكريا ويقال بن زكريا ثبت بخط

ابن التباني أنصارى النسب يكنى أبا جعفر

حاله

كان كاتباً حسن الكتابة بارع الخط فصيحاً غزير الادب قوي المعرفة
بارعاً في الفقه مشاركا في العلوم حاضر الجواب ذكي الخاطر جامعاً للادوات
السلطانية جميل الوجه حسن الخلقة كلفا بالادب مؤثراً له على سائر لذاته
جامعاً للدواوين العلمية معتنيا بها مغاليا لها نفاعابها من خصه لا يستخرج منها
شيأ لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد أثرى كثير من الوراقين والتجار معه
فيها وجمع منها مالم يكن عند ملك .

﴿ يساره ﴾

يقال انه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق وآنية ومتاع وآثاث وكراع .

﴿ مشيخته ﴾

روي عن أبي تمام غالب البياني وأبي عبد الله بن صاحب الاحباس

﴿ نباهته وحظوته ﴾

وزر لزهير العامري الآتي ذكره وارثا الوزارة عن أبيه وهي ماهي مستنداً الى قعساء العزة فتبنك[1] في نعم كثيرة تجاوز الله عنه .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

الذى اتصل علمي انه دخل غرناطة منكوباً حسبما يتقرر .

﴿ نكبته ﴾

زعموا انه كان أقوى الاسباب فيما وقع بين أميره زهير وبين باديس أمير غرناطة من المفاسد وفصم صحبة الود بين باديس وقبيله وحطه في حز هواه وطاعته وكان ماشاء الله من استيلاء باديس على جملتهم ووضع سيوف قومه فيهم وقتل زهير واستئصال محلته وقبض يومئذ على أحمد بن عباس وجيء به الى باديس وصدره يغلي حقداً عليه فأمر بحبسه وشفاؤه الولوغ في دمه وعجل عليه بعد ان دوخ أصحابه ووطئتهم الاقدام .

قال ابن حيان حديث ابن عباس انه قد ولع ببيت شعر صيره هجيراه أوقات لعبه بالشطرنج أو ممنى يسنح له مستطيلا بعد .

عيون الحوادث عني نيام وهضمي على الدهر شيء حرام

(١) تبنك بالمكان اقام وفي عزة تمكن اه

وشاع بيته هـذا عند الناس وغاظهم حـتى قلب له مصراعه بعض الشعراء وقال .

* سيوقظها قدر لا ينام *

فما كان الا كلا ولا حتي قبض عليه ونبهت الحوادث لهضمه انتباهة انتزعت منه فخره وعزته وغادرته أسيراً ذليلا يرسف فى وزن أربعين رطلا من قيده متزعجاً من عضة لسانه العضة التي طال ماتألمت من ضغطتها جويرية يوم أصبح أميراً مطاعاً أعتى الخلق بمكره فأخذ أخذ مليك مقتدر والله غالب على أمره .

﴿ وفاته ﴾

قال بن مروان كان باديس قد أرجأ قتله مع جماعة من الاسرى وبذل فى فداء نفسه ثلاثين الف دينار من الذهب العين مالت اليها نفس باديس الا انه عرض ذلك على اخيه فانف منه وأشار بقتله لتوقعه اثارة فتنة أخرى على يديه تأكل من ماله اضعاف فديته قال فانصرف يوما من بعض ركباته مع أخيه فلما توسط الدار التى فيها أحمد بقصبة غرناطة لصق بالقصر ووقف هو وأخوه بلكين وأمر باخراج أحمد اليه فاقبل يرسف في قيده حتى وقف بين يديه فاقبل على سبه وتبكيته وأحمد يتلطف ويسأله راحته مما هو فيه فقال له اليوم تستريح من هذا الألم وتنقل الى ماهو أشد وجعل يراطن أخاه بالبربرية فبان لاحمد وجه الموت فجعل يكثر الضراعة ويضاعف عدد المال فأثار غضبه وهز مزراقه واخرج من صدره فاستغاث الله زعموا عند ذلك انه ذكر اولاده وحرمه للحين أمر باديس بحز راسه وورى خارج القصر حدث خادم باديس قال رأيت جسد ابن عباس فى حبسه ثاني يوم قتله ثم قال

لى باديس خذ رأسه وواره مع جسده قال فنبشت قبره وأضفته الى جسده بجنب أبى الفتوح قتيل باديس ايضا وقال لى باديس ضع عدوا الى جنب عدو الى يوم القصاص فكان قتل أبى جعفر عشية الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة سبع وعشرين واربعمائة بعد اثنين وخمسين يوما من أسره وكان يوم موته ابن ثلاثين سنة نفعه الله ورحمه

أحمد بن أبي جعفر بن محمد بن عطيه القضاعى

من أهل مراكش وأصله القديم من طرطوشة ثم

« بعد ذلك من دانية يكنى أبا جعفر »

حاله

كان كاتبا بليغا سهل المأخذ منقاد القريحة سيال الطبع رائق الخط

مشيخته

أخذ عن أبيه وعن طائفة كثيرة من أهل مراكش

نباهته

كتب عن أبي على بن يوسف بن تاشفين وعن ابنه تاشفين وعن اسحق وكان أحظى كتابهم ثم لما انقطعت دولة لمتونة دخل فى لفيف الناس وأخفى نفسه . ولما أثار الماسى الهداية بالسوس ورمى الموحدين بحجرهم الذى رموا به البلاد وأعيي أمره وهزم اشياعهم وجيوشهم التى جهزوها اليه

وانتدب منهم الى ملاقاته ابو حفص عمر بن يحيي المنتاتى فى جيش خشن من فرسان ورجالة كان أبو جعفر بن عطية من الرجالة مرتسما بالرماية والتقي الجمعان فهزم جيش الماسى وظهر عليه الموحدون وقتل المدعى المذكور وعظم موقع الفتح عند الامير الغالب يومئذ أبي حفص عمر فاراد اعلام الخليفة عبد المؤمن بما آتاه الله فلم يلق فى جميع من استصحبه من يجلى عنه ويوفى بما أراده فذكر له ان فتى من الرماة يخاطر بشئ من الادب والاشعار والرسائل فاستحضره وعرض عليه غرضه فتجاهل وتظاهر بالعجز فلم يقبل عذره واشتد عليه فكتب رسالة فائقة مشهورة فلما فرغ منها قرأها عليه فاشتد عجبه بها وأحسن اليه واعتنى به واعتقد انه ذخر يتحف به عبد المؤمن وأنفد الرسالة فلما قرئت بمحضر أكابر الدولة عظم مقدارها ونبه فضل منشئها وصدر الجواب ومن فصوله الاعتناء بكاتبها والاحسان اليه واستصحابه مكرما ولما أدخل على عبد المؤمن سأله عن نفسه واحظاه لديه وقلده خطة الكتابة وأسند اليه وزارته وفوض اليه فى أموره كلها فنهض بأعباء مافوض اليه وظهر فيه استقلاله وغناؤه واشتهر بأجمل السمى للناس واستمالتهم بالاحسان وعمت صنائعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة منجب المحاولات ناجح المساعي سعيد المآخذ ميسر المآرب وكانت وزارته زينا للوقت كما لا للدولة

﴿ محنته ﴾

قالوا واستمرت حالته الى أن بلغ الخليفة عبد المؤمن أن النصارى أخذوا قصبة المرية وتحصنوا بها واقترن بذلك تقديم ابنه يعقوب على اشبيلية فاصحبه أبا جعفر بن عطية وأمره أن يتوجه بعد استقرار ولده بها الى المرية وقد تقدم اليها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن وحاصر من بها من النصارى وضيق عليهم

ليحاول أمر انزالهم ثم يعود الى اشبيلية ويتوجه منها مع وليها الى منازلة الثائر بها على الوهيبي فعمل على ماحاوله من ذلك واستنزل النصارى من المرية على العهد بحسن محاولته ورجع هو والسيد أبو سعيد الى غرناطة مزعجين اليها حتى يسبقا جيش الطاغية ثم انصرف الى اشبيلية ليقضي الغرض من أمر الوهيبي فعندما خلا منه الجو وجد حساده السبيل الى التدبير عليه والسعي به حتي أوغروا صدر الخليفة فاستوزر عبد المؤمن ابن عبد السلام بن محمد الكوني وانبرى لمطالبة بن عطية وجد فى التماس عوراته وتشنيع سقطاته وأغرى به صنائعه وشحن عليه حاشيته فبروا وراشوا وانقلبوا وكان مما نقم على أبي جعفر نكاية القرح بالقرح في كونه لم يقف فى اصطناع العدد الكثير من اللمتونيين وانتاشهم من خمولهم حتى تزوج بنت يحيي الحمار من أمرائهم وكانت أمها زينب بنت على بن يوسف فوجدوا السبيل بذلك الى استئصال شأفته حتى نظم منهم مروان بن عبد العزيز طليقه ومسترق اصطناعه أبياتاً طرحت بمجلس عبد المؤمن .

قل للامير أطال الله دولته	قولا تبين لذى لب حقائقه
ان الزراجين قوم قد وترتهم	وطالب الثار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل	لذاك ما كثرت فيهم علائقه
فبادر الحزم فى اطفاء نارهم	فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والاهم كهم	فاحذرعدوك واحذرمن يصادقه
الله يعلم أني ناصح لكم	والحق أبلج لاتخفى طرائقه

قالوا ولما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة فى معناها وغر صدره على وزيره الفاضل أبي جعفر وأسر له فى نفسه تغيراً فكان ذلك من أسباب

نكبته . وقيل أفضى اليه بسر فأفشاه وانتهى ذلك كله الى أبى جعفر وهو بالاندلس فقلق وعجل الانصراف الى مراكش فحجب عند قدومه ثم قيد الى المسجد فى اليوم الثانى بعده حاسر العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم وقرروا ما يعلمون من أمره وما صار اليهم منه فأجاب كل بما اقتضاه هواه فأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل عطية وتوجه عبد المؤمن فى أثر ذلك لزيارة تربة المهدى فاصطحبهما معه منكوبين بحال ثقاف وصدرت عن أبى جعفر فى هذه الحركة من لطائف الادب نظما ونثرا فى سبيل التوسل بتربة امامهم عجائب لم تجد مع نفوذ قدر الله فيه ولما انصرف من وجهته اعادهما معه قافلا الى مراكش فلما حاذى تاغمرت أمر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة هنالك فمضيا لسبيلهما رحمهما الله .

﴿ شعره وكتابته ﴾

كان مما خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفاً كما قلناه من رسالة .

تالله لو أحاطت بى خطيئة . ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطيئة . حتى سخرت بمن فى الوجود . وأنفت لآدم من السجود . وقلت ان الله لم يوح بالفلك الى نوح . وبريت لقدار ثمود نبلا . وأبرمت لحطب نار الخليل حبلا . وامطت عن يونس شجرة اليقطين . وأوقدت مع هامان على الطين . وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها . وافتريت على العذراء البتول فقذفتها . وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة . وظاهرت الاحزاب بالقصوى من العدوة . وذممت كل قريشى . وأكرمت لاجل كل وحشى . وقلت ان بيعة السقيفة . لاتوجب للامام خليفة . وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة . واعتلقت من حصار الدار وقتل شمطها بشعبة . ثم أتيت حضرة المعصوم

عائذاً . وبقبر الامام المهدى لائذاً . لاذن لمقالتى أن تسمع . وأن تغفر لى هذه الخطيئات أجمع

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنا ... بحمل قلوب هزها الخفقان

*
* *

عطفا علينا أمير المؤمنين فقد ... بان العزاء لفرط البث والحزن
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجج ... وعطفة منكم أنجى من السفن
وصادفتنا سهام كلنا غرض ... لها ورحمتكم أوقى من الجنن
هيهات للخطب ان تسطو حوادثه ... بمن أجارته رحماكم من المحن
قد جاء عندكم يسعى على ثقة ... بنصره لم يخف بطشاً من الزمن
فالثوب يطهر بعد الغسل من دنس ... والطرف ينهض بعد الركض فى وسن
انتم بذلتم حياة الخلق كلهم ... من دون من عليهم لا ولا ثمن
ونحن من بعض من أحيت مكارمكم ... كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
وصبية كفراخ الورق من صغر ... لم يألفوا النوح فى فرع ولا فنن
قد أوجدتهم أياد منك سابقة ... والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

ومن فصول رسالته التي كتب منها عن أبى حفص وهى التى أورثته الكتابة العلية والوزارة كما تقدم قوله

كتبنا هذا من وادى ماسة بعد ما تزحزح من أمر الله الكريم . ونصر الله المعلوم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . فتح فاق الانوار اشراقا . وأحدق بنفوس المؤمنين إحداقا . ونبه للإمانى النائمة جفونا وأحداقا . واستغرق غاية الشكر استغراقا . فلا تطيق الالسن لكنه وصفه ادراكا ولا لحاقا * جمع أشتات الطب والادب * وتقلب فى النعم أكرم منقلب * وملأ

دلاء الامل الى عقد الـكرب [١]

فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الارض في أثوابها القشب

ونقدمت بشارتنا به جملة * حين لم تمط الحال بشرحه مهلة * كان اولئك الضالون المرتدون قد بطروا عدوانا وظلما * واقتطعوا الكفر معنى واسما * وأملى لهم الله ليزدادوا اثما * وكان مقدمهم الشقيّ قد استمال النفوس بخزعبلاته * واستهوى القلوب بهولاته * ونصب له الشيطان من حبالاته * فأتته المخاطبات من بعد وكثب * ونسلت اليه الرسل من كل حدب * واعتقدته الخواطر أعجب عجب * وكان الذى قادهم لذلك . وأوردهم تلك المهالك * وصول من كان بتلك السواحل ممن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس فيما سلف من الاعوام * واشتغل على زعمه بالصيام والقيام * آناء الليل وأطراف الايام * لبسوا الناموس أثوابا * وتدرعوا الرياء جلبابا * فلم يفتح الله تعالي لهم الى التوفيق بابا

ومنها في ذكر صاحبهم الماسي المدعى للهداية . فصرع والحمد لله لحينه . وبادرت اليه بوادر منونه . وأتته وافدات الخطيات عن يساره ويمينه . وكان يدعى ان المنون فى هذه الاعوام لاتصيبه . ويزعم انه بشر بذلك وأن النوائب لاتنوبه . ويقول في سواه قولا كثيرا . ويختلق على الله افكا وزورا . فلما عاينوا هيئة اضطجاعه . ورأوا ماخطته الاسنة في اعضائه . ونفذ فيه من أمر الله مالم يقدروا على استرجاعه . هزم لهم من كان لهم من الاحزاب . وتساقطوا على وجوههم كتساقط الذباب . وأعطوا عن بكرة أبيهم صفحة الرقاب . ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب . فامتلأت تلك الجهات باجسادهم . وآذنت

---

(١) الـكرب بالتحريك الحبل يشد في وسط العراقى ليلى الماء فلا يعفن الحبل الـكبير وقد كرب الدلو واكربها وكربها اه قاموس بتصرف

الآجال بانقراض آمادهم . وأخذهم الله بكفرهم وفسادهم . فلم يعاين منهم الا من خر صريعا . وسقى الارض نجيعا . ولقي من وقع الهنديات أمرا فظيعا . ودعت الضرورة باقيهم الى الترامي فى الوادى فمن كان يؤمل الفرار منهم ويرتجيه . ويسبح طامعا فى الخروج الى ماينجيه . اختطفته الاسنة اختطافا . واذاقته موتا ذعافا . ومن لج فى الترامى على لججه . ورام البقاء فى ثبجه . قضى عليه شرقه . وألوى بذقنه غرقه . ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه يتناولون فتالهم طعنا وضربا . ويلقونهم بأمر الله هونا عظيما وكربا . حتى انبسطت مهرقات الدماء على صفحات الماء . وحكت حمرتها علي زرقته حمرة الشفق على زرقة السماء . وجرت العبرة للمعتبر . فى جرى ذلك الدم جرى الأبحر

﴿ دخوله غرناطة ﴾

احتل بغرناطة عام احدى وخمسين وخمسمائة لما استدعى أهل جهات المرية السيد الى منازلة من بها من النصارى وحشد ونزل عليها ونصب المجانيق على قصبتها واستصرخ من بها الطاغية فاقبل الى نصرهم واستمد السيد أبو سعيد الخليفة فوجه اليه الكبير أبا جعفر بن عطية صحبة السيد أبى يعقوب ابنه فلحق به واتصل الحصار شهورا سبعة وبذل الامن لمن كان بها وعادت الي ملك الاسلام وانصرف الوزير ابو جعفر صحبة السيد ابى يعقوب الى اشبيلية وجرت اثناء هذا امور يطول شرحها ففى أثناء هذه الحركة دخل أبو جعفر غرناطة وعد فيمن ورد عليها

﴿ مولده ﴾

بمراكش عام سبع وعشرين وخمسمائة

﴿ وفاته ﴾

على حسب ما تقدم ذكره لليلة بقيت من صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

﴿ أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني من أهل فاس ﴾

يكنى أبا العباس ويعرف بابن شعيب من كريانة قبيلة من قبائل الريف الغربي

﴿ حاله ﴾

من عائد الصلة من أهل المعرفة بصناعة الطب وتدقيق النظر فيها مشاركا فى الفنون وخصوصاً فى علم الادب حافظاً للشعر ذاكراً له ذكر انه حفظ منه عشرين الف بيت للمحدثين والغالب عليه العلوم الفلسفية وقد مقت لذلك وتهتك فى علم الكيمياء وخلع عليه العذار فلم يحصل بطائل الا انه كان يتفوه بالوصول شنشنة المفتونين بها على مدى الدهر * وله شعر رائق وكتابة حسنة وخط ظريف كتب فى ديوان سلطان المغرب رئيساً وتسرى جارية رومية اسمها صبح من أجمل الجوارى حسناً فأدبها حتى لقنت حظاً من العربية ونظمت الشعر وكان شديد الغرام بها فهلكت أشد ما كان حبالها وامتداد أمل فيها فكان بعد وفاتها لا يرى الا فى تأوه دائم واسف متماد * وله فيها اشعار بديعة فى غرض الرثاء

﴿ مشيخته ﴾

قرأ ببلده فاس على كثير من شيوخها كالاستاذ ابي عبد الله بن آجروم

نزيل فاس والاستاذ ابي عبد الله بن رشد ووصل الى تونس فأخذ منها الطب والهيئة على الشيخ رحالة وقته فى تلك الفنون يعقوب بن الدراس وكان ممن خاطب بها الشيخ ابا جعفر بن صفوان وقد نشأت بينهما صداقة وجبها القدر المشترك بينهما من الولوع بالصنعة المرموزة يتشوق الى جهة كانوا يحلون بها للشيخ فيها ضيعة بخارج مالقة كلأها الله

رعى الله وادي شنبانة ۞ وتلك الغدايا وتلك الليال

ومسرحنا بين خضر الغصون ۞ وودق المياه وسحر الظلال

ومرتعنا تحت ادواحه ۞ ومكرعنا فى النمير الزلال

نشاهد منها كعرض الحسام ۞ اذا ما انتشت فوقه كالعوال

ولله من در حصبائه ۞ لآل وأحسن بها من لآل

وبلبله فى ستور الغصون ۞ كعود ترنم فوق الجبال

وأسحاره كيف رقت شذا ۞ وصح النسيم بها فى اعتدال

ولله ملك أبي جعفر ۞ عميد الجلال حميد الخلال

تطارحني برموز الكنوز ۞ وتسفر لى عن معالى المعال

وتبدلني في شجون الحديث ۞ وباطنه كل سحر حلال

فالقط من فيك سحر البيان ۞ مجيبا به عن عريض النوال

افدت الذى دونها معشرا ۞ كثير المقال قليل النوال

فأصبحت لا ابتغى بعدها ۞ سواك ولا بعد ذاك أبال

وخاطب الفقيه العالم ابا جعفر بن صفوان يسأله عن شئ من علم الصناعة بما نصه

دار الهوى نجد وساكنها ۞ اقصى امانى النفس من نجد

ومما صدر به رسالة

أيجمع هذا الشمل بعد شتاته ... ويوصل هذا الحبل بعد انبتاته

أما لليالى آيـة عيسوية ... فتنشر ميت الانس بعد مماته

ويورد عينى بعد ملح مدامعى ... برؤيته فى عذبه وفراته

وانشدنى له الفقيه الجليل صاحب العلامة بالمغرب ابو القاسم بن صفوان قوله

يارب ظبي شعاره نسك ... ألحاظه في الورى لها فتك

يترك من هام به مكتئبا ... لاتعجبوا ان قومه الترك

اشكو له ما لقيت من حرق ... فينثنى لاهياً اذا أشكو

صبرت حتى أطل عارضه ... فكان صبرى ختامه مسك

ومن المعاتبة والفكاهة قوله

وبائع الكتب يبتاعها ... بأرخص السوم وأغلاه

فى نصف الاستذكار أعطيته ... ملخص العين فأرضاه

وله أيضاً

يامن توعدنى بحادث هجره ... ان السلو لدون ما تتوعد

هذا عذارك وهو موضع سلوتى ... فاكفف فقد سبق الوعيد الموعد

وأظن سلوتنا غدا أو بعده ... فبذاك خبّرنا الغراب الاسود

وله أيضاً

قال العذول تنقصاً لجماله ... هذا حبيبك قد أطلّ عذاره

لا بل بدا فصل الربيع بخده ... فلذا تساوى ليله ونهاره

وله يرثي

ياقبر صبح حل فيـــك بمهجتي أسنى الامان
وغدوت بعد عيانها أشهى البقاع الى العيان
اخشى المنيــة أنها تنئى مكانك عن مكان
كم بين مقبور بفاس وقابر بالقــيروان

وله أيضاً يرثيها

ياصاحب القبر الذى أعلامه درست وثابت حبها لم يدرس
ماااليأس منك على التصبر حاملي أيأستني فكأنني لم أيأس
لما ذهبت بكل حسن أصبحت نفسي تعاني شجو كل الانفس
أصباح أيامي ليالٍ كلها لاتنجلي عن صبحها المتنفس

وقال فى ذلك

أعلمت ماصنع الفراق غداة جدّ به الرفاق
ووقفت منهم حيث لا نظرات والدمع اتساق
سبقت مطاياهم فما أبطا بنفسك فى السباق
أأطقت حمل صدورهم للبين خطب لايطاق
عن ذات عرق أصعدوا اتقول دارهم العراق
نزلوا ببرقة ثهمد فلذاك يشتاق البساق
ماضرهم وهم المنى لو وافقوا بعض الوفاق
وتيامنوا عسفان أن يقفوا بمجتمع الرفاق
قالوا تفرقنا غدا فشغلت عن وعد التلاق
عمدا رأوا قتل العميـــد فكان عيشك فى نفاق
اولى بجسمك أن يرق ودمع عينك ان يراق

اما الفؤاد فعندهم	دعه ودعوى الاشتياق
اعتاد حب محلهم	فرحيب صدرك عنه ضاق
واهاً لسالفة الشباب	مضت بايامى الرقاق
ابقت حرارة لوعة	بين الترائب والتراق
لا تنطفي وورودها	من أدمعي كاس دهاق

وقال أيضاً .

يا موحشي والبعد دون لقائه	أدعوك عن شحط وان لم تسمع
يدنيك مني الشوق حتى انني	لاراك رأي العين لو لا أدمعي
وأحن شوقا للنسيم اذا سرى	بحديثكم وأصيخ كالمستطلع
كان اللقاء فكان حظي ناظري	وسطا الفراق فصار حظي مسمعي
فابعث خيالك تهده نار الحشا	ان كان يجهل من مقامي موضعي
واصحبه من نومي بتحفة قادم	فعسى قليل ركابكم لم تجمع

﴿ دخوله غرناطة ﴾

دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الامير محمد بقرب من ولايته في بعض شؤنه وخفق بها تغيير أمر الدولة المنفردة التي يتشوق الطيب اليها والشحرور وهي بقرية شون من خارجها .

﴿ وفاته ﴾

توفي بتونس يوم عيد الاضحي من سنة تسع واربعين وسبعمائة .



أحمد بن عبد الله بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد
ابن محمد ابن حسين بن على بن سليمان بن عرفة الفقيه
(الرئيس المتفنن حامل راية مذهب الشعراء فى وقته)
« المشار اليه بالبنان فى ذلك »

حاله

كان فذا فى الادب طرفاً فى الادراك مهذب الشمائل ذلق اللسان ممتع المجالسة والمحاضرة حلو الفكاهة يرمي فى كل غرض بسهم الى شرف النشأة وعز المرتبة وكرم المحتد واصالة الرياسة .

حدثني الشيخ أبو زكريا بن هذيل قال حضرت بمجلس ذى الوزارتين أبى عبد الله بن الحكيم وابو العباس بدرهالته . وقطب جلالته . فلم يحدث بشيء الاركض فيه . وتكلم بملئ فيه . ثم قمنا الى زبارين يصلحون شجرة عنب فقال لعريفهم حق هذا ان يقصر ويطال هذا ويعمل كذا فقال الوزير ياأبا العباس ماتركت لهؤلاء ايضا حظا من صناعتهم يستحقون به الاجرة فعجبنا من استحضاره وسبغة درعه وانتداب خطا كفايته

قدومه غرناطة

قدم عليها مع الجملة من قومه عند تغلب الدولة النصرية على بلدهم ونزول البلاء والغلاء والمحنة بهم والجلاء بهم فى آخر عام خمسة وسبعمائة و يأتى التعريف بهم بعدان شاء الله . وكان اوفر الدواعي في الاستعطاف لهم بما تقدم بين يدي

أدعيائهم ودخولهم على السلطان الذى تخلل بمثله السخائم وتذهب الاحن وخطب لنفسه فاستمرت حاله لطيف المنزلة معروف المكانة ملازما للمجلس مدبر الدولة موسوما بصداقته مشتملا عليه ببره الى ان كان من تقلب الحال وادالة الدولة ما كان

﴿ شعره ﴾

وشعره نمط غال . ومحل للبراعة حال . لطيف الهبوب غزير المائية أنيق الديباجة جم المحاسن فمنه فى مذهب المدح يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد الله بن الحكم

ملكت رقى بالجمال فأجمل ... وحكمت قلبي باعتدالك فاعدل
أنت الامير على الملاح ومن يجر ... فى حكمه الا جفونك يعزل
ان قيل أنت البدر فالفضل الذى ... لك بالكمال ونقصه لم يجهل
لولا الحظوظ لكنت أنت مكانه ... وكان دونك فى الحضيض الاسفل
عيناك نازلت القلوب فكلها ... إما جريح أو مصاب المقتل
هزت ظباها بعد كسر جفونها ... فأصيب قلبي فى الرعيل الاول
مازلت أعذل في هواك ولم يزل ... سمعي عن العذال فيك بمعزل
أصبحت فى شغل بحبك شاغل ... فمتى أميل الى كلام العذّل
لم أهمل الكتمان لكن أدمعي ... هملت ولو لم تعصنى لم تهمل
جمع الصحيحين الوفاء مع الهوى ... قلبي وأملى الدمع كشف المشكل
مافى الجنوب ولا الشمال جواب ما ... اهدى اليك مع الصبا والشمأل
خلساله من طيب عرفك نفحة ... تشفى غليل عليلها المتملل
ان كنت بعدي حلت عما لم احل ... عنه وقد أهملت ما لم أهمل

أو حالت الاحوال فاستبدلت فى — فان لحبي فيك لم أستبدل

لاقيت بعدك ما لو ان اقله — لاقى الثرى لاذاب صم الجندل

وحملت فى حبيك ما لو حملت — شم الجبال أخفه لم تحمل

من حيف دهر بالحوادث مقدم — حتى على جنس الهزبر المشبل

قد كنت منه قبل كر صروفه — فوق السنام فصرت تحت الكلكل

ونصول شيب قد ألم بلمتى — ونضوب غض شبيبة لم تنصل

ينوى الاقامة مابقيت واقسمت — لا تنزل اللذات مالم يرحل

ومسير ظعن وداده وحميمه — لاقي الحمام وانه لم يفعل

يطوي على جسدي الضلوع فقلبه — بأواره يغلى كغلى المرجل

فى صدره ماليس في صدري له — من مثله مثقال حبة خردل

أعرضت عنه لو أشف لذمه — شعرى بجرعته نقيع الحنظل

جليت فى حلبات سبق لم يكن — فيها بمرتاح ولا بمؤمل

ما ضره سبقيه فى زمن مضى — ان المجلى فيه دون الفسكل

ساءته منى عجربية قلب — باق على مر الحوادث حول

متخرق فى البيد مدة سيره — متجلد فى عسره متجمل

حتى يؤب له الغنى من ماجد — بقضاء حاجات الكرام موكل

مثل الوزير ابن الحكيم وماله — مثل يقوم مقامه متمثل

ساد الورى بحديثه وقديمه — فى الحال والماضى وفى المستقبل

من بيت مجد قد سمت بقبابه — اقيال لخم فى الزمان الاول

سامى الدعائم طال بيت زرارة — ومجاشع وأبى الفوارس نهشل

يلقى العفاة ببسط وجه مشرق — تجلو طلاقته هموم المجتلى

فلآملى جـدواه حول فنـائه　　لقط القطا الاسراب حول المنهل
واذا نحي بالعدل فصل قضية　　لم يخط فصلا من اصالة مفصل
يقضى على سخب الخصوم وشغبهم　　ويقيم مثريهم مقام المؤمل
ويلقن الحجج الغبي تحـرجا　　من رامح عند الحجاج واعزل
فاذا قضى صـدر المحق بحقه　　عنـه وعاق عقـابه بالمبطل
عجل على من يستحق مثوبة　　فاذا استحق عقوبة لم يعجل
يا كافى الاسلام كل عظيمـة　　ومعيـده غضاً كأن لم يذبل

وقال ايضا يمدحه بقصـيده من مطولاته وانما اجتلبت من مدحـه الوزير ابن الحـكيم لانه يمدح اديبا فذا وبليغا بالـكلام بصـيرا فالاجادة تلزم فى منطوقه اذ لايسع القريحة فيـه عذر ولا يقبل من الطبع قدر وهى

اما الرسوم فـلم ترق لمـا بى　　واستعجمت عن أن ترد جوابى
واستبدلت بوحوشها من أنس بيض الوجوه كواعب أتراب
ولقد وقفت بها ارقرق عبرة　　حتى اشتكى طول الوقوف صحابى
يبكي لطول بكاى فى عرصاتها　　صحبي ورجعت الحنين ركابى

ومن شعره في المقطوعات غير المطولات

لم يبق ذو عـين لم يسـبه　　وجهك مـن زين بلا مـين
فـلاح بينهـمـا طـالمـا　　كـانه القمـر بلا مـين

ومن ذلك قوله

كأنما الخال مصباح بوجنته　　هبت عواصف انفاسى به فطفى
اونقطة قطرت فى الخد اذ رسمت　　خط الجمال بخط اللام والالف

ومن ذلك قوله

وعدتني ان تزور يا أملي ... فلم ازل للطريق مرتقبا
حتى اذا الشمس للغروب دنت ... وصيرت من لجينها ذهبا
أنست بالبدر منك حين بدا ... لانه لو ظهرت لاحتجبا

ومن ذلك قوله

هجركم مالي عليه جلد ... فأعيدوا لي الرضا او فعدوا
ما قسا قلبي من هجركم ... ولقد طال عليه الأمد

ومن ذلك قوله

ابدى عذارك عذري في الغرام به ... وزادني شغفا فيه الى شغفي
كأنه ظن أني قد نسيت له ... عهدا فعرض لي باللام والالف

ومما هو أطول من المزدوجات قوله

ويوم كساه الدجن دكن ثيابه ... وهبت نسيم الروض وهو عليل
ولاحت بافلاك الرياض كواكب ... لها بالبدور الطالعات أفول
وجالت جياد الراح بالراح جولة ... فلم تحلُ الا والوقار قتيل

ومن ذلك

عذلوني فيمن احب وقالوا ... دب نمل العذار في وجنتيه
وكذا النمل كلما حل شيأ ... منع النفس ان تميل اليه
كنت قبل العذار أعذر فيه ... ثم من بعده ألام عليه
انما دبّ نحو شهد بفيه ... فلذاك انتهى الى شفتيه

﴿ وفاته ﴾

قال في عائد الصلة ولما كان من تقلب الحال وادالة الدولة وخلع الامير

وقتل وزيره يوم عيد الفطر من عام سبع وسبعمائة وانتهبت دار الوزير ونالت الايدى يومئذ من شمله دهليز بابه من اعيان الطبقات واولى الخطط والرتب ومنهم أبو العباس هذا رحمه الله فافلت تحت سلاح مشهور . وميرمرقوب وثوب مسلوب فاصابته بسبب ذلك علة اياما الى ان أودت به فقضت عليه بغرناطة فى الثامن والعشرين لذي الحجة من سنة سبع وسبعمائة ودفن بمقبرة الغرباء من الربض عندالوادى تجاه نجد رحمة الله عليه

﴿ احمد بن على المليانى من أهل مراكش ﴾

﴿ يكنى أبا عبد الله وأبا العباس ﴾

صاحب العلامة بالمغرب الكاتب الشهير البعيد الشان فى اقتضاء الترة المثل المضروب فى الهمة وقوة الصريمة . ونفاذ العزيمة

﴿ حاله ﴾

كان نبيه البيت شهير الاصالة . رفيع المكانة على سجية غريبة من الوقار والانقباض والصمت آخذ بحظ من الطب حسن الخط مليح الكتابة فارضا للشعر يذهب بنفسه فيه كل مذهب

﴿ وصمته ﴾

. فتلك فتكة شهيرة اساءت الظن بحملة الاقلام على ممر الدهر وانتقل الى الاندلس بعد مشقة وجرى ذكره فى كتاب الاكليل بما نصه

الصارم الفاتك . والكاتب الباتك . الى اضطراب فى وقار . وتجهم تحته أنس العقار . اتخذه صاحب المغرب صاحب علامته . وتوجه تاج كرامته . وكان يطالب جملة من اشياخ مراكش بثار عمه . ويطوقهم دمه بزعمه . ويقصر عن الانتصار منهم بنات همه . اذ سعوا فيه حتى اعتقل . ثم جدّوا في امره حتى قتل . فترصد كتاباً الى مراكش يتضمن امرا جزما ويشتمل من أمور الملك عزما . جعل الامر فيه بضرب رقابهم . وسبى اسبابهم . ولما أكد على حامله فى العجل . وضايقه فى تقدير الاجل . تأني حتى علم انه قد وصل . وان غرضه قد حصل . فرالى تلمسان وهي بحال حصارها فاتصل بانصارها . حالا بين أنوافها وابصارها . وتعجب من فراره . وسوء اغتراره . ورجمت الظنون في آثاره . ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة . واستيلاء القتل على اعلام تلك القبيلة . فتركها سنيعة على الايام وعارا فى الاقاليم على حملة الاقلام . واقام بتلمسان ان حل مخنق حصرها . وازيل هميان الضيقة عن خصرها فلحق بالاندلس ولم يعدم برا . ورعيا مستمرا . حتى أتاه حمامه . وانصرمت ايامه .

﴿ شعره ﴾

من شعره الذي يدل على بأوه . وانفساح خطاه فى النفاسة وبعد شأوه . قوله :

العز ما ضربت عليه قبابى	والفضل ما اشتملت عليه ثيابى
والزهر ما اهداه غصن براعتي	والمسك ما ابداه نقش كتابى
فالمجد يمنع أن يزاحم موردى	والعزم يأبى ان يضام جنابى
فاذا بلوت صنيعة جازيتها	بجميل شكرى او جزيل ثوابى

واذا عقدت مودة اجريتها مجرى طعامي من دمي وشرابي
واذا طلبت من الفراقد والسها ثارا فأوشك ان أنال طلابي

﴿ وفاته ﴾

توفى بغرناطه يوم السبت تاسع ربيع الآخر سنة خمسة عشر وسبعماية ودفن بجبانة باب البيرة تجاوز الله تعالى عنه

﴿ احمد بن محمد بن عيسى الأموي ﴾

﴿ يكنى ابا جعفر و يعرف بالزيات ﴾

﴿ حاله ﴾

من أهل الخير والصلاح والاتباع مفتوح عليه في طريق الله نير الباطن والظاهر مطرح التصنع مجانب للدنيا واهلها صادق الخواطر مرسل اللسان بذكر الله مبذول النصيحة مثابر على اتباع السنة عارف بطريق الصوفية ثبت القدم عند زلاتها ناطق بالحكمة على الأمية جميل اللقاء متوغل في الكاف بالجهاد مرتبط للخيل حريص على الشهادة بركة من بركات الله فى الاندلس يعز وجود مثله

﴿ وفاته ﴾

توفى رحمه الله ببلدة غرناطة يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الثانية من عام خمسة وستين وسبعمائة وقد شارف الاكتهال

احمد بن الحسن بن علي بن الزيات الكلاعي من اهل باش مالقة
يكنى ابا جعفر ويعرف بالزيات الخطيب المتصوف الشهير

﴿ حاله ﴾

من عائد الصلة كان جليل القدر كثير العبادة عظيم الوقار حسن الخلق مخفوض الجناح بجهاد كثير متألف البشر مبذول المؤآنسة يذكر بالسلف الصالح فى حسن شيمته واعراب لفظه مزدحم المجلس كثير الافادة صبورا على الغاشية واضح البيان فارس المنابر غير مدافع مستحق التصدر في ذلك بشروط لم تكمل عند غيره . حسن الصورة وكمال الأبهة وجهورية الصوت وطيب النغمة وعدم التهيب والقدرة على الانشاء وغلبة الخشوع الى التفنن فى كثير من المآخذ العلمية والرياسة فى تجويد القرآن والمشاركه في العربية والفقه واللغة والأدب والعروض والمباحثة فى الاصلين والحفظ فى التفسير .

قال لي شيخنا ابو البركات بن الحاج وقد جرى ذكر الخطابة ما رأيت فى استيفائها مثله كان يفتتح مجالسه اكثر الاحيان بخطب غريبة يطبق بها مفاصل الاغراض التى يشرع فيها وينظم الشعر دائما فى مراجعته ومخاطباته واجازته من غير تأن ولا روية حتى اعتاده ملكة واستعمل فى السفارات من الملوك لدحض السخائم واصلاح الامور فكانوا يوجبون حقه ويلتمسون بركته ويلتمسون دعاءه .

﴿ مشيخته ﴾

تحمل العلم عن جملة منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر احمد بن على

المذحجي من اهل الحمة من ذوي المعرفة بالقرآن والفرائض . ومنهم القاضي أبو علي الحسن بن الاحوص الفهري اخذ عنه قراءة واجازة . ومنهم العارف الرباني أبو الحسن فضل بن فضيلة اخذ عنه الطريقة وعليه سلك وبه تأدب وبينهما في ذلك مخاطبات . ومنهم أبو الفضل عياض بن محمد بن عياض بن موسى قرأ عليه ببلش واجاز له . ومنهم الاستاذ أبو جعفر بن الزبير والاستاذ أبو الحسن السفاح العبدرى والعدل ابو الحسن التجلي وابو محمد بن سماك وابو جعفر بن الطباع وابو جعفر بن الطنجلي والاستاذ النحوى ابو الحسن ابن الصائغ والكاتب الاديب ابو علي بن زهيق التغلبي والراوية أبو الحسن ابن مسعود الطائي والامام ابو الحسن بن ابي الربيع والاستاذ ابو اسحق الغافقي الميربي والامام العارف ابو محمد عبد العظيم بن الشيخ البلوى وما كان من اجازته العامة لكل من ادرك عام احد واربعين وستمائة وغير هؤلاء ممن يشق احصاؤهم

﴿ تصانيفه ﴾

كثيرة منها المسماة بالمقام المخزون . في الكلام الموزون . والعقيدة المسماة بالشرف الاصفى . في المأرب الاوفى . وكلاهما ينيف على الالفي بيت . ونظم السلوك في رسم الملوك . والمجتنى النضير . والمنتقى الخطير . والعبارة الوجيزة عن الاشارة . واللطائف الروحانية . والعوارف الربانية . .

ومن تواليفه أس مبنى العلم . ورأس معنى الحلم . في مقدمة علم الكلام . ولذات السمع . في القرآت السبع . نظماً . ورصف نفائس اللآلي . ووصف عرائس المعالي . في النحو وقاعدة البيان . وضابطة اللسان . في النحو . وبهجة اللافظ . وبهجة الحافظ . والارجوزة المسماة بقرة عين السائل . وبغية

نفس الآمل . فى اختصار السيرة النبوية . والوصايا النظامية . فى الفوائد الثلاثية . وكتاب عدة الداعى . وعمدة الواعى . وكتاب عوارف الكرم وصلات الاحسان . فيما حواه العين من لطائف خلق الانسان . وكتاب جوامع الاشراف . والمنايات . فى الصوادع والآيات . والسفحة الوسيمة . والمنحة الجسيمة . تشتمل على اربع قواعد اعتقادية واصولية وفروعية وتحقيقية . وكتاب شروق المفارق . فى اختصار كتاب المشارق . وتلخيص الدلالة . فى تخليص الرسالة . وشذور الذهب . فى صروم الخطب . وفائدة الملتقط . وعائدة المغتبط . وكتاب عدة المحق . وتحفة المستحق

﴿ نثره ﴾

من ذلك خطبة ألغيت الألف من حروفها . على كثرة ترددها فى الكلام وتصريفها . وهي :

حمدت ربى جلّ من كريم محمود . وشكرته عز من عظيم معبود . ونزهته عن جهل كل ملحد كفور . وقدسته عن قول كل مفسد غرور . كبير لو تقوم في فهم لحد . قدير لو تصور في رسم لحد . لو عدته فكرة تصور لتصور . ولو حدته فكرة لتعذر . ولو فهمت له كيفية لبطل قدمه . ولو علمت له كيفية لحصل عدمه . ولو حصر فى ظرف لقطع بتجسمه . ولو قهره وصف لصدع بتقسمه . ولو فرض له شبح لرهقه كيف . عظيم من غير تركيب قطر . عليم من غير ترتيب فكر . موجود من غير شيء يمسكه . معبود من غير وهم يدركه . كريم من غير عوض يلحقه . حكيم من غير عرض يلحقه . قوى من غير سبب يجمعه . علىّ من غير سبب يرفعه . لو وجد له جنس لعورض فى قيوميته . ولو ثبت له حس لنوزع فى ديموميته . ومنها

تقدس وعز فعله . وتنزه عز اسمه وفضله . جل قاهر قدرته . وعز باهر عزته . وعظمت صفته . وكثرت منته . فتق ورتق . وصور وخلق . وقطع ووصل . ونصر وخذل . حمدته حمد من عرف ربه . ورهب ذنبه . وصفت حقيقة يقينه قلبه . وذكت بصيرة دينه لبه . ربط سلك سلوكه وشيده . وهدم صرح عتوه وهده . وحرس معقل عقله . وحد وطرد غرور غرته ورذله . علم علم تحقيق فنحا نحوه . نقر له عز وجل بثبوت ربوبيته وقدمه . ونعتقد صدور كل جوهر وعرض عن جوده وكرمه . ونشهد بتبليغ محمد صلى ربه وسلم عليه رسوله وخير خلقه . ونعلن بنهوضه فى تبيين فرضه وتبليغ شرعه . ضرب قبة شرعه فنسخت كل شرع . وجدد عزيمته فقمع عدوه خير قمع . قوم كل مقوم بقويم سنته وكريم هديه . وبين لقومه كيف يركنون ففازوا بقصده وسديد سعيه . بشر مطيعه فظفر برحمته . وحذر عاصيه فشقى بنقمته .

وبعد فقد نصحتكم لو كنتم تعقلون . وهديتكم لو كنتم تعلمون . بصرتم لو كنتم تبصرون . وذكرتم لو كنتم تذكرون . ظهرت لكم حقيقة نشركم وبرزت لكم حقيقة حشركم . فكم تركضون فى طلق غفلتكم . وتغفلون عن يوم بعثكم . وللموت عليكم سيف مسلول . وحكم عزم غير معلول . فكيف بكم يوم يؤخذ كل بذنبه . ويخبر بجميع كسبه . ويفرق بينه وبين صحبه . ويعدم نصرة حزبه . ويشتغل بهمه وكربه . عن صديقه وتربه . وتنشر له رقعة . وتمين له بقعة . فربح عبد نظر وهو فى مهل لنفسه . وترسل فى رضى عمل جنة لحلول رمسه . وكسر صنم شهوته ليقر فى بحبوحة قدسه . ومنها . فتنبه ويحك من سنتك ونومك . وتفكر فيمن هلك من صحبتك وقومك .

هتف بهم من تعلم وشب عليهم منه حرق مظلم . فخربت بصيحته ربوعهم . وتفرقت لهوله جموعهم . وذل عزيزهم وخسئ رفيعهم . وصم سميعهم . فخرج كل منهم عن قصره . ورمى غير موسد فى قبره . فهم بين سعيد فى روضة مقرب . وبين شقي فى حفرة معذب . فنستوهب منه عز وجل عصمة من كل خطيئة . وخصوصية تقى من كل نفس جريئة .

كتب الى شيخنا الوزير بن ذى الوزارتين بن الحكيم جواباً عن مخاطبة كتبها اليه يلتمس منه وصية هذا الشعر

جل اسم مولانا اللطيف الخبير ... وعز فى سلطانه عن نظير
هو الذي اوجد مافوقها ... وتحتها وهو العليم الخبير
ثم صلاة الله تترى على ... ياقوتة الكون البشير النذير
وصحبه والاولى نالوا ... مايرجع الطرف عنه حسير
فانك استدعيت من قاصر ... نصحا طويلا وهو منه قصير
ولست أهلا ان أرى ناصحا ... لقلة الصدق وخبث الضمير
وانما يحسن نصح الورى ... من ليس للشرع عليه نكير
ومستحيل ان يقود امرؤ ... ويراس واهي المبانى ضرير
واعجبا يلتمس الخير من ... معتقل العقل مهين كسير
لكن اذا لم يكن بدفعن ... جهد اوفي بتبر يسير
فألفت ان كنت به قانعا ... درا نظيما يزدرى بالنثير
لازم ابا بكر على منهج ... زالك تفز منه بخير كثير
واقنع بما يكفى ودع غيره ... فانما الدنيا هباء نثير
بنى لاتخدعك هذى الدنا ... فانها والله شئ حقير

اين المشيدات اما زلزلت　　اين أخو الايون اين السدير
اين انوشروان أضحى كان　　لم يكن اين المقتدى ازدشير
هذا مقال من وعاه اهتدى　　وحيط من كل مخيف مبير
وصى ابا بكر به احمدا　　واحمد فى الوقت شيخ كبير
انقرضت أيامه وانتهى　　رهنا ومن قبل اتاه النذير
وهاهو اليوم على عدة　　مبرمة للشر مامن عذير

ومن شعره في طريقه الذى كان ينتحله

شهود ذاتك شيء عنك محجوب　　لو كنت تدركه لم يبق مطلوب
علو وسفل ومن هذا وذاك معا　　دور على نقطة الاشراف منصوب
ومنزل النفس منه ميم مذ كره　　ان صح للغرض الظني مرغوب
وان تناءت مساويها فنز لها　　أوج الكمال وتحت الروح تقليب
والروح ان لم تخنه النفس قام له　　في حضرة الملك تخصيص وتقريب

ومن شعره

دعني على حكم الهوى أتضرع　　فعسى يلين لنا الحبيب ويخشع
إني وجدت أخا التضرع فائزا　　بمراده ومن الدعا ما يسمع
أهلا وما شيء بانفع للفتى　　من ان يذل عسى التذلل ينفع
وامح اسم نفسك طالبا اثباته　　واقنع بتفريق لعلك تجمع
واخضع فمن داب المحب خضوعه　　ولربما نال المنى من يخضع

ومن شعره

مالى بباب غير بابك مقصد　　كلا ولالى عن قبابك مصرف
هذا مقامي ماحييت فان أمت　　فالذل مأوى والضراعة مألف

غرضي وانت به عليم لحة | تذر الشتيت الشمل وهو مؤلف
وعليك ليس على سواك معولي | جاروا على لأجل ذا أو انصفوا

ومن المقطوعات في التجنيس

يقال خصال اهل العلم الف | ومن جمع الخصال الالف سادا
ويجمعها الصلاح فمن تعدي | مذاهبه فقد جمع الفسادا

ومنه في المعنى

ان شئت فوزا بمطلوب المرام غدا | فاسلك من العمل المرضيّ منهاجا
واغلب هوى النفس لا يغررك خادعها | فكل شئ يحط القدر منهاجا

﴿ دخوله غرناطة ﴾

دخل غرناطة مراراً عدة تشذ عن الحصر أوجبتها الدواعي بطول عمره من طلب العلم وروايته وحاجة عامة واستدعاء سلطان وقدوم من سفارة كان الناس ينثالون عليه ويغشون منزله فيما أدركت كلما تبوأ ضيافة السلطان تبركا به واخذاً عنه

﴿ مولده ﴾

ولد ببلش بلده في حدود تسع وأربعين وستمائة

﴿ وفاته ﴾

توفي ببلش يوم الاربعاء السابع عشر من شوال عام ثمانية وعشرين وسبعمائة .

وممن رثاه شيخنا نسيج وحده العالم الصالح الفاضل أبو الحسن بن الجياب بقصيدة أولها

على مثله خطابة الدهر فاجع　　تفيض نفوس لاتفيض المدامع

ورثاه شيخنا القاضى أبو بكر بن شيرين رحمه الله بقصيدة أولها .

أيساعد رائده الامل　　أو يسمع سائله الطلل

ياصاح فديتك مافعلت　　دمن الاحباب وما فعلوا

فأجاب الدمع مناديه　　اما الاحباب فقد رحلوا

ورثاه من هذه البلدة طائفة منهم الشيخ الاديب ابو محمد بن المرابع الآتي اسمه فى العباد له بحول الله بقصيدة اولها

ادعوك ذاجزع لوانك سامع　　ماذا اقول ودمع عينى هامع

وانشد خامس يوم دفنه قصيدة اولها

عبرة تفيض حزنا وثكلا　　وشجون تم بعضا وكلا

ليس الا اصابة اضرمتها　　حسرة تبعث الاسي ليس الا

وهى حسنة طويلة

﴿ابراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك المتأمر رومى الاصل﴾

﴿ أوليته ﴾

مفرج أو همشك من أجداده نصرانى أسلم على يد أحد ملوك بنى هود بسرقسطة نزع اليهم وكان مقطوع احدى الاذنين فكان النصارى اذا رأوه في القتال عرفوه وقالوا هامشك معناه تري المقطوع الاذن اذ ها عندهم قريب من أما فى اللغة العربية والمشك المقطوع الاذنين فى لغتهم

﴿ نباهته وظهوره ﴾

لما خرج بنو هود عن سرقسطة نشأ تحت الخمول الا أنه شهم متحرك خدم بعض الموحدين فى الصيد وتوسل بدلالة الارض ثم نزع الى ملك قشتالة واستقر مع النصارى ثم انصرف الى بقية اللمتونيين بالاندلس بعد شناعة واظهار توبة . ولما ولى يحيي بن غانية قرطبة ارتسم لديه برسمه ثم كانت الفتنة عام تسعة وثلاثين وثار ابن أحمر بقرطبة وتسمى بأمير المؤمنين فبعثه رسولا ثقة بكفايته ودربته وعجمة لسانه لمحاولة الصلح بينه وبين ابن احمر فاغني ونبه قدره ثم غلى مرجل الفتنة وكثر الثوار بالاندلس فاتصل بالامير ابن عياض بالشرق وغيره الى أن تمكن له الامتياز بحصن شقوبش ثم تغلب على مدينة شقورة وتملكها وهي ماهي من النعمة فغاظ أمره وساوى محمد ابن مردنيش أمير الشرق وداخله حتى عقد معه صهراً على ابنته فاتصلت له الرياسة والامارة وكان بعد سيفاً لصهره المذكور مسلطاً على من عصاه فقاد الجيوش وافتتح البلاد الى أن فسد مابينهما فتفاتنا وتقاطعا وانحاز بما لديه من البلاد والمعاقل وعد من ثوار الاندلس أولى الشوكة الحادة والبأس الشديد والشبا المرهوب بعد انقباض دولته وآثار دفشد بما تأثل من ملك وسلف من الدولة والدار الآخرة خير لمن اتقى . قال ابن صفوان .

وديار شكوى الزمان فشتك   حدثتنا عن عزة ابن همشك

﴿ حاله ﴾

قال محمد بن أيوب بن غالب المدعو بابن حمامة . ابو اسحق الرئيس شجاع بهمة من البهم كان رئيساً جريئاً شجاعاً مقداماً شديد الحزم سديد الرأي عارفاً بتدبير الحروب حمي الانف عظيم السطوة مشهور الاقدام مرتكبا

للعظيمة . قال بعض من عرّف به من المؤرخين هو وان كان قائد فرسان . حليف فتنة وعدوان . ولم يصحب قط متشرعاً . ولا نشأ في أصحابه من كان متورعا سلطه الله على الخلق وأملى له فاضر بمن جاورد من أهل البلاد . وحبب اليه العيث في العباد

﴿ سيرته ﴾

كان جباراً قاسياً فظاً غليظاً شديد النكال عظيم الجرأة والعبث بالناس بلغ من عيثه فيهم احراقهم بالنار وقذفهم من الشواهق والابراج واخراج الاعصاب والرباطات عن ظهورهم عن أوتار القسي بزعمه وضم أغصان الشجر العادى بعضها الى بعض وربط الانسان بينهما ثم تسريحها فيذهب كل غصن بحظه من الاعضاء ورآه بعض الصالحين في النوم وسأله ما فعل الله بك فانشده

من سرد الميث في الدنيا بخلقه من ... يصور الخلق في الارحام كيف يشا
فليصبر اليوم صبري تحت بطشته ... مغللا أمتطى جمر الغضا فرشا

﴿ شجاعته ﴾

زعموا انه خرج من المواضع التي كانت لنصرد متصيدا وفي صحبته محاولو اللهو وقارعوا أوتار الغناء في مائة من الفرسان ونقاوة اصحابه فما راعهم الا خيل العدو هاجمة على غرة في مائتين من الفوارس ضعف عددهم فقالوا العدو في مائتى فارس فقال واذا كنتم أنتم لمائة وأنا لمائة فنحن قدرهم فعد نفسه بمائة ثم استدعي قدحا من شرابه وصرف وجهه الي المغني وقال غن لى تلك لابيات كان يغنيه بها فتعجبه

يتلقى الندا بوجه حياء ... وصدور القنا بوجه وقاح
هكذا هكذا تكون المعالى ... طرق الجد غير طرق المزاح

فغناه بها واستقبل العدو وحمل عليه بنفسه وباصحابه حملة رجل واحد فاستولت على العدو الهزيمة وأتى على معظمهم القتل ورجع غانما الى بلده . ثم صرفت الايام وعاد للصيد فى موضعه ذلك وأطلق بازه على حجلة فأخذها وذهب ليذبحها فلم يحضره خنجر ذلك الغرض فى وقته فبينما هو يلتمسه اذ رأي نصلا من نصال المعترك من بقايا الهزيمة فأخذه من التراب وذبح الطائر ونزل واستدعي الشراب وأمر المغنى فغناه بيت أبي الطيب

تذكرت ما بين العذيب وبارق   مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

وصحبة قوم يذبحون قنيصهم   بفضلة ما قد كسروا فى المفارق

وقد رأيت من يروى هذه الحكاية عن أحد أمراء بنى مردنيش . وعلى كل حال فهى من مستظرف الاخبار .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

قالوا وفى سنة ست وخمسين وخمسمائة فى جمادى الاولى منها قصد ابراهيم بن همشك بجمعه مدينة غرناطة وداخل طائفة من ناسها وقد تشاغل الموحدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم وتوجه الوالى بغرناطة السيد ابو سعيد الى العدوة فاقتحمها ليلا واعتصم الموحدون بقصبتها فأجاز بهم بانواع الحرب ونصب لهم المجانيق ورمى فيها من ظفر به منهم وقتلهم بانواع من القتل وعند ما اتصل الخبر بالسيد ابي سعيد بادر اليها فاجاز البحر والتف به السيد أبو محمد وأبو حفص بجميع جيوش الموحدين والاندلس ووصل الجميع الى ظاهر غرناطة واصحر اليهم ابن همشك وبرز منها فالتقى الفريقان بمرج الرقاد من خارجها ودارت بينهم الحرب فانهزم جيش الموحدين واعترضت الفل تخوم الفدادين وجداول المياه التي تتخلل المرج فاستولى عليهم

القتل وقتل في الوقيعة السيد ابو محمد ولحق السيد أبو سعيد بمالقة وعاد ابن همشك الى غرناطة فدخلها بجملة من أسرى القوم الخش فيهم المثلة برأى من اخوانهم المحصورين واتصل الخبر بالخليفة بمراكش وهو بقرية سلا قد فرغ من أمر عوده فجهز جيشا أصحبه السيد أبا يعقوب ولده والشيخ أبا يوسف ابن سليمان زعيم وقته وداهيـة زمانه فاجازوا البحر والتقوا بالسيد ابى سعيد بمالقة وتتابع الجمع والتف بهم من المجاهدين والمطوعة واتصل منهم السير الى قرية دلق من قرى غرناطة وكان من استمرار الهزيمة على ابن همشك الذى جره لنفسه وجيشه من نصارى وغيرهم ما يأتي ذكره عند اسم مردنيش في الموحدين في حرف الميم بحول الله وقوته .

انخلاعه للموحدين عما بيده وجوازه للعدوة ووفاته بها

قالوا ولما فسد ما بينه وبين ابن مردنيش بسبب بنته التى كانت تحت الامير ابى محمد بن سعد بن مردنيش الى ان طلقها وانصرفت الى ابيها واسلمت اليه ابنها منه مختارة كنف ابيها ابراهيم نازعة فى انصرامها الى عروقها فلقد حكى انها سئلت عن ولدها وامكان صبرها عنه فقالت جرو كلب جرو سوء من كلب سوء لا حاجة لي به فارسلت كلمتها فى نساء الاندلس مثلا فاشتدت بينهما الوحشة والفتنة وعظمت المحنة وهلك بينهما من شاء الله بهلاكه الى ان كان

اقوى الاسباب فى تدمير ملكه

ولما صرف ابن سعد عزمه الى بلاده وتغلب على كثير منها خدم ابن همشك الموحدين ولاذبهم واستجار بهم فاجاز البحر وقدم على الخليفة عام خمسة وستين وخمسمائة فاكرم قدومه واقره بمواضعه الى اوائل عام احد وسبعين فطولب بالانصراف الى العدوة باهله واولاده وسكن بمكناسة واقطع بها املاكا لها خطر واتصلت عنايته الى ان هلك

﴿ وفاته ﴾

قالوا واستمر مقام ابن همشك بمكناسة غير كثير وابتلاه الله بفالج غريب الاعراض شديد سوء المزاج الى ان هلك فكان يدخل الحمام الحار فيشكو حره باعلى صراخه فيخرج فيشكو البرد كذلك الى ان مضى اسبيله

﴿ ابراهيم بن امير المسلمين أبي الحسن بن امير المسلمين أبي سعيد عثمان بن امير المسلمين أبي يوسف ﴾

(يعقوب بن عبد الحق يكنى أبا سالم)

﴿ اوليته ﴾

الشمس تخبر عن حلي وعن حال فهو البيت الشهير والجلال الخطير . والملك الكبير . والفلك الاثير . املاك المسلمين . وحماة الدين . وامراء

المغرب الاقصى من بنى مرين ٠ غيوث المواهب وليوث العرين ٠ ومعتمد الصريخ وسهام الكافرين ٠ أبوه السلطان ابو الحسن الملك الكبير البعيد شأو الصيت والهمة والعزيمة والتحلى بحلى السنة والاقامة لرسوم الملك والاضطلاع بالهمة والصبر عند الشدة ٠ واخوه امير المسلمين فذلكة الحسب ونير النصبة وندرة المعدن وبيت القصيد ابو عنان فارس الملك الكبير العالم المتبحر العامل النظار الجواد الشجاع القسور الفصيح بدر السعادة الذى خرق الله به سياج العادة فما عسى ان يطنب اللسان واين تقع العبارة ٠وما ذا يحصر الوصف عن هذا المجد فواره٠ وحسب هذا الحسب اشتهاره قولا الحق وبعدا عن الاطراء ونشر الالواء النصفة حفظ الله على الاسلام ظالهم وزين ببدور الدين والدنيا هالتهم وابقى الكلمة فيمن اختاره منهم ٠

﴿ حاله ﴾

كان شابا كما تطلع وجهه حسن الهيئة ظاهر الحياء والوقار قليل الكلام صليفه عن اللغط آدم اللون ظاهر السكون والخيرية والحشمة فاضلا متخلقا قدمه أبوه امير الرتبة ٠وفى الالقاب بوطن سلجماسة وهي عمالة ملكهم فاستحق الرتبة فى هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لاول تأليفه ولما قبضه الله اليه واختار له ما عنده احوج ما كانت الحال الى من ينظم الشت ويجمع الكلمة ويصون الدماء احوج ما كانت الدنيا اليه وصير أمره الى وارثه طواعية وقسرا ومستحقا وغلابا سلما وذاتا وكسبا لسلطان اخيه تحصل هو واخ له اسمه محمد وكنيته ابو الفضل يأتي التعريف بحاله فى مكانه ان شاء الله فابقى وأغضى واجتنب الهوي٠ واجاب داعى البر والشفقة والتقوى٠ فصرفهما الى الاندلس ٠ باشرت اركابهما البحر بمدينة سلا ثانى اليوم الذي انصرفا من بابه

وصدرت عن بحر جوده وافضت بمامة عنايته مصحباً بما يخرس لسان الثناء من صنوف كرامته . فى غرض السفارة عن السلطان بالاندلس تغمده الله برحمته ونزل جبل من بلاد الاندلس المصروفة الى نظره واصلا السير الى غرناطة .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

قدم هو وأخوه يوم عشرين من جمادى الاولى من عام اثنين وخمسين وسبعمائة وبرز السلطان الى لقائهما بالاغافى التجلة وانحطاطا فى دمث التخلق فسعيا اليه مترجلين وفاوضهما حتى قضيت الحقوق واستنفد تفقده وجرايته وحلا بأخص الامكنة واحتفيا بسرير تجلته . مقسوما بينهما الحظ من هشته ولحظته فاما محمد فسولت له نفسه الاطماع واستفزته الاهواء أمرا كان قاطعاً أجله وسعد أخيه مختار الله من دونه . وأما ابراهيم المترجم به فجنح الى أصل العافية بعد ان ناله اعتقال بسبب ارضاء أخيه أمير المسلمين فارس فى الاخريات لشهر ذى الحجة من عام تسعة وخمسين وسبعمائة وتقديم ولده الصبي المكنى بابى بكر المسمى بسعيد لنظر وزيره ذى الحزم والكفاية حركه الاستدعاء وفاقته الاطماع وهب به السائل وعرض بغرضه الى صاحب الامر بالاندلس ورقق عن صبوحه فشكي الى غير مصمت فخرج من الحضرة ليلا من بعض مجارى المياه راكبا للخطر فى أخريات جمادى الاولى من العام بالحضرة المكتنفة الجوار من ثغور العدو ولحق بملك قشتالة وهو يومئذ باشبيلية قد شرع فى تجربة الى عدوه من دحلونه فطرح عليه نفسه وعرض عليه مخاطبات استدعائه ودس له المطامع المرتبطة بحصول غايته فقبل سعايته وجهز له جفنا من أساطيله أركب فيه طائفة تحريكه وطمن بحر المغرب الى ساحل أزمور

وأقام به منتظرا الى انجاز المواعد ممن بمراكش فالفى الناس قد حطبوا فى حبل منصور بن سليمان وبايعوه بجملتهم فاخفق مسعاه واخلف ظنه وقد اخذ منصور بمخنق البلد الجديد دار ملك فاس واستوثق له الامر فانصرف الجفن أدراجه ولما حاذى بلاد غماره من احواز اصيلا تنادر به قوم منهم وانحدروا اليه ووعدوه الوفاء له واحتملوه فوق اكتادهم وأحدقوا به فى سفح جبالهم وتنافسوا فى الذب عنه ثم كبسوا أصيلا فملكوها وضيق بطنجة فدخلت فى أمره واقتدت بها سبتة وجبل الفتح واتصل به بعض الخاصة وخاطبه الوزير المحصور وتخاذل اشياع منصور فخذلوه وفروا عنه جهارا بغير علة وانصرفت الوجوه الى السلطان ابى سالم فاخذ بيعتهم عفوا ودخل البلد المحصور وقد ترددت بينه وبين الوزير المحصور مخاطبات في رد الدعوة اليه فدخل البلد يوم الخميس خامس عشر شعبان من عام التاريخ واستنفر وحده الله عليه أمره واعاد ملكه وصرف اليه حقه وابلى هذا الامير من سير الناس الى تجديد عهد ابيه وطاعتهم الى امره وجنوحهم الى طاعته وتمنى مدته حالا غريبة صارت عن كتب اضدادها ثم صرف ولده الى اجتثاث شجرة ابيه فالتقط من الصبية بين مراهق ومحتلم ومستجمع طائفة تناهز العشرين غلاما روقة قتلوا اغراقا من غير شبهة توجب اباحة قطرة من دمائهم ورأى ان قد خلا له الجو فتوا كل وآثر الحجبة وأشرك الايدى فى ملكه فاستبيحت اموال الرعايا وضويقت الجبايات وكثرت المظلمات وأخذ الناس حرمان العطاء وانفتحت ابواب الارجاف وحدثت القواطع الى ان كان من أمره ماهو معروف . وفى أوائل شهر رجب عام احد وستين وسبعمائة تحرك الحركة العظمى الى تلمسان وقد استدعى الجهات وبعض البلاد وقصد فى جيوش

تجر الشوك والحجر فقر سلطانها امام عزمه وطار الذعر بين يدى الضلالة وكنا قد استغثنا الفرار فى ايالته وانتهى بنا الازعاج الي سلا من ساحل مملكته ٠

﴿ مخاطبته ﴾

وانا يومئذ مقيم بتربة ابيه متذمم بها فى سبيل استخلاص املاك بالاندلس فى غرض التهنئة والتوسل ٠ مولاي فتاح الاقطار والامصار ٠ فائدة الزمان والاعصار ٠ أثير هبات الله الآمنة من الاعتصار ٠ قدوة اولي الايدى والابصار ٠

﴿ وفاته ﴾

وفى ليلة العشرين من ذى القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة ثار عليه بدار الملك وبلد الامارة المعروف بالبلد الجديد من مدينة فاس الخائن الغادر مخالفه عليها عمر بن عبد الله بن على نسمة السوء وجملة الشؤم والمثل البعيد في الجرأة على الله تعالى وقد اهتبل غرة انتقاله الى البصر السلطاني بالبلد القديم متحولا اليه حذراً من قاطع فلكي كان يحذر منه استعجله ضعف نفسه واعانه على فرض صحة الحكم به وسد الباب فى وجهه ودعا الناس الى بيعة اخيه المعتوه واصبح حائراً بنفسه يروم استرجاع امر ذهب من يده ويطوف بالبلد يلتمس وجهاً الى نجاح حيلته فاعياه ذلك ورشقت من معه السهام وفرت عنه الاجناد والوجوه واسلمه الدهر وتبرأ منه الجد وعند ما جن عليه الليل فر لوجهه وقد التفت عليه الوزراء وقد سفهت حلومهم وفالت آراؤهم ولو قصدوا به بعض الجبال المنيعة لولوا وجوههم شطر مظنة الخلاص واتصفوا بابلاغ الاعذار ولكنهم نكلوا عنه ورجعوا ادراجهم وتسللوا راجعين

الى يد غادر الجملة وقد سلبهم الله سبحانه لباس الحياء والرجولية وتأذن الله تعالى لهم بعد بسوء العاقبة وقصد بعض بيوت البادية وقد فضحه نهار الغد واقتفى المتبعة أثره حتى وقعوا عليه فسيق الى مصرعه وقتل بظاهر البلد ثاني اليوم الذى غدر به فيه جعلها الله تعالى له شهادة ونفعه بها فلقد كان بقية البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبعداً عن الشرور وركونا للعافية وانشدت على قبره الذى ووريت فيه جثته بالقلعة من ظاهر المدينة قصيدة اديت فيها بعض حقه

بنى الدنيا بنى لمع السراب لدوا للموت وابنوا للخراب

﴿ ابراهيم بن يحيي بن عبد الواحد بن ابى حفص عمر بن ﴾
« يحيي الهنتاتى ابي اسحق »

امير المؤمنين بتونس وبلاد افريقية بن الامير ابى زكريا امير افريقية وأصل الملوك المتأثلين العز بها والفرع الذي دوح بها من فروع الموحدين بالمغرب . واستجلابه بها أبا محمد عبد المؤمن بن علي أبا الملوك من قومه وتغلب ذريته على المغرب وافريقية والاندلس معروف كله يفتقر بسطه الى اطالة كبيرة تخرج عن الغرض .

وكان جد هؤلاء الملوك من اصحاب المهدى فى العشرة الذين هبوا لبيعته وصحبوه فى غربته ابو جعفر وعمر بن يحيي ولم يزل هو وولده من بعده مرفوع القدر معروفى الحق .

ولما صار الامر للناصر أبى عبد الله بن منصور بن أبى يوسف بن

يعقوب بن عبد المؤمن بن علي صرف وجهه الى افريقية ونزل المهدية واتى اليه ابن غانية فيمن لفه من العرب الاوباش في جيش يسوق الشجر والمدر فجهز الى لقائه عسكراً لنظر الشيخ أبي محمد بن عبد الواحد بن ابي حفص جدهم الاقرب فخرج من ظاهر المهدية في اهبة ضخمة وتعبية محكمة والتقى الجمعان فكانت على ابن غانية الدائرة ونصر الشيخ محمد الاكفاء له وفي ذلك يقول احمد بن خالد ممن شعر عندهم

فتوح بها شدت عرى الملك والدين　　　تراقب منا منكم غير ممنون

وفتحت المهدية على هيئة ذلك الفتح وانصرف الناصر الى تونس ثم تفقد البلاد واحكم ثقافها وشرع في الاياب الى المغرب وترجح عنده تقديم أبي محمد بن أبي حفص المنصوع[1] له بافريقية على ملكها مستظهراً منه بمضاء وسابقة وحزم بسط يده في الاموال وجعل اليه النظر في جميع الامور سنة ثلاث وستمائة ثم كان اللقاء بينه وبين ابن غانية في سنة ست بعدها فهزم ابن غانية واستولى على محلته فاتصل سعده وتوالى ظهوره الى ان هلك مشايعاً لقومه من بني عبد المؤمن مظاهراً بدعوتهم عام تسعة وعشرين وستمائة وولى بعده كبير ولده عبد الله على عهد المستنصر بالله بن الناصر من ملوكهم وقد كان الشيخ أبو محمد زوحم عند اختلال الدولة بالسيد ابي العلا الكبير عم المستنصر على ان يكون له اسم الامارة بقصبة تونس والشيخ ابو محمد على ما لسائر نظره فبقي ولده عبد الله على ذلك بعد الى ان كان ما هو ايضاً معروف من تصيير الامور الى المأمون أبي العلا ادريس ووقعة السيف في وجوه الدولة بمراكش واخذه بترة اخيه وعمه منهم وثار أهل الاندلس على

(١) هكذا في الاصل

السيد أبي الربيع بعده باشبيلية وجمجموا بهم واخذوا في التشريد بهم وتبديد دعوتهم واضطربت الامور وكثر الخلاف ولحق الامير أبو زكريا باخيه بافريقية وعرض عليه الاستبداد فانف من ذلك وانكر عليه انكاراً شديداً خاف منه على نفسه فلحق بقابس فارا واستجمع مع بهامع شيخها مكي وسلف شيوخها اليوم من بني مكي فمهد له وتلقاه بالرحب وخاطب له الموحدين سرا فوعدوه بذلك عند خروج عبد الله من تونس الى الحركة من جهة القيروان فلما تحرك نحوه عنه وطلبوا منه المال وتلكأ فاستدعوا أخاه الامير أبا زكريا فلم يرعه وهو قاعد في خبائه آمن في سربه الاثورة الجند به والقبض عليه ثم طردوه الى مراكش وقعد أخوه الامير أبو زكريا مقعده واخذ بيعة الجند والخاصة لنفسه مستبداً بامره ورحل الى تونس فاخذ بيعة العامة وقتل السيد الذي كان بقصبتها وقبض أهل بجاية حين بلغهم الخبر على واليها السيد أبي عمران فقتلوه وانتظمت الدولة وتأثل الامر وكان حازما داهية مشاركا في الطب أديباً راجح العقل أصيل الرأى حسن السياسة مصنوعاً له موفقاً في تدبيره جبي الاموال واقتنى العدد واصطنع الرجال واستكثر من الجيوش وهزم العرب وافتتح البلاد وعظمت الامنة بينه وبين الخليفة في مراكش الملقب بالسعيد وعزم كل منهما على ملاقاة صاحبه فأبى القدر ذلك فكان من مهلك السعيد بظاهر تلمسان ما هو معروف واتصل بابي زكريا هلاك ولده ولي العهد ابي يحيي ببجاية فعظم عليه حزنه وافرط جزعه واشتهر من رثائه فيه قوله

ألا جازع يبكي لفقد حبيبه ... فاني لعمرى قد أضر بي الثكل

لقد كان لي مال وأهل فقدتهم ... فها انا لا مال لديّ ولا أهل

سأبكي وأرثى حسرة لفراقهم بكاء قريح لا يمل ولا يسلو
فلهفى ليوم فرق الدهر بيننا ألا فرج يرجى فينتظم الشمل
وانى لأرضى بالقضاء وحكمه واعلم ربى انه حاكم عدل

نسب ذلك له ابن عذار المراكشى فى البيان المعرب واعتل بطريقه فمات ببلد العناب لانقضاء اربعة من مهلك السعيد وكان يوم موت السعيد يوم الثلاثا منسلخ صفر سنة ست واربعين وستمائة وبويع ولده الأمير أبو عبد الله بتونس فوجد ملكا مؤسساً وجنداً مجنداً وسلطاناً قاهراً ومالا وافرا فبلغ الغاية في الجبروت والتيه والنخوة والصلف وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالمستنصر بالله ونقم عليه أرباب دولته أموراً أوجبت مداخلة عمه أبى عبد الله ابن عبد الواحد المعروف باللحياني ومبايعته سرا بداره وانتهى الخبر للمستنصر فعاجل الامر قبل انتشاره برأى الحزمة من خاصته كابن أبى الحسين وأبي جميل وأبى الحملات بن مردنيش وظافر الكبير وقصدوا دار عمه فقتلوا من كان بها وعدتهم تناهز خمسين منهم عمه فسكن الارجاف وسلم المنازع وألقت عصاها وأعطت مقالدها واستمرت أيامه . وأخباره فى الجود والجراة والانهماك والتعاظم على ملوك زمانه مشهورة وكانت وفاته سنة أربع وسبعين وستمائة وولى أمره بعده ابنه الملقب بالواثق بالله وكان مطعوما فلم تطل مدته .

عاد الحديث وكان عمه المترجم به لما اتصل به مهلك ابن أخيه المستنصر قد أجاز البحر من الاندلس ولحق بتلمسان وداخل كثيراً من الموحدين بها كأبي هلال فهيأ له أبو هلال تملك بجاية ثم تحرك الى تونس فتغلب عليها وقتل الواثق وطائفة من اخوته وبنيه منهم صبي يسمى الفضل كان أنهضهم

واستبد له الامر وتمت بيعته بافريقية وكان من الامر ما يذكر .

﴿ حاله ﴾

كان جميلا وسيما ربعة بادنا آدم اللون شجاعا بهمة عجلا غير متراخ ولا حازم منحطاً فى هوى نفسه منقاداً للذته بريئاً من التشمت فى جميع الامور ولى الخلافة فى حال كبره وقد وخطه الشيب وآثر اللهو حتى زعموا انه فقد فوجد فى مزرعة باقلا مزهرة التى فيها بعد جهد نائما بينها نشوان يتناثر عليه سقطها واحتجب عن مباشرة سلطانه فزعموا ان خالصته أبا الحسن بن سهل داخل الناس بولده أبى فارس فى خلعه والقيام بمكانه وبلغه ذلك فاستمد وتأهب واستركب الجند ودعا ولده فأحضره لينتظر الموت من يمينه وشماله وأمر به للحين فقتل وطرح بازقة المدينة وعجل بازعاج ولده الى بجاية وعاد الى حاله .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

قالوا ولما أوقع الامير المستنصر بعمه أبي عبد الله كان أخوه أبو اسحاق ممن فر بنفسه الى الاندلس ولجأ الى أميرها أبى عبد الله بن الغالب بالله أبي عبد الله بن نصر ثاني ملوكهم فنوه به وأكرم نزله وبوأه بحال عنايته وجعل دار ضيافته لاول نزوله القصر المنسوب الى السيد خارج حضرته وهو آثر قصوره لديه وحضر غزوات أغزاها ببلاد الروم فظهر منه فى نكاية العدو وصدامه شهامة وغناء

ولما اتصل به موت أخيه تعجل للانصراف ولحق بتلمسان وداخل منها كثيراً من الموحدين كأبى هلال بجاية كما تقدم فملكها ابو هلال منها ثم صعد تونس فملكها فاستولى على ملك ابن اخيه وتأثم من دمه وارتكب الوزر الاعظم فيمن قتل معه وكان من أمره ما يأتى ذكره ان شاء الله

﴿ ادبار أمره بهلاكه على يد المدعي الذي قيضه الله لهلاكه وحينه ﴾

قالوا واتهم بعد استيلائه على الامر فتى من خاصة فتيان الملك المستنصر اسمه نصير بمال وذخيرة وتوجه اليه طلبه ونال منه وانتهز الفتى فرصة لحق فيها بالمغرب واستنفر خلال تلك المدة عرب دباب وسارع الفساد عليه بجملة جهده حريصا على افساد امره وعثر لقضاء الله وقدره بمعي من اهل بجاية يعرف بابن أبي عمارة . حدثني الشيخ المسن الحاج ابو عثمان اللواتي من عدول المياسير متأخر الحياة الى هذا العهد قال خلوت مع ابن عمارة ببعض الدكاكين بتونس وهو يتكهن لنفسه ما يؤول اليه أمره بعد بعض ما جرى به القدر وكان اشبه الخلق باحد الصبية الذين ماتوا ذبحا بالامير أبي اسحق وهو الفضل فلاحت لنصير وجهة حيلة فبكى حين رآه واخبر بشبهه بمولاه ووعده بالخلافة فحرك نفساً مهيأة في عالم الغيب المحجوب الى ما أبرزته المقادير فوجده منقاداً لهواه فأخذ في تلقينه ألقاب الملوك وأسماء رجاله وعوائده وصفة قصوره وأطلعه على أمارات جرت من المستنصر لامراء العرب سراً كان يعالجها نصير وعرضه على العرب بعد أن أظهر العويل ولبس الحداد واركبه وسار بين يديه حافياً حزناً لما ألفاه عليه من المضيعة فأشادوا بذكره وتفوق بما قدر من إمارته فعظم أمره واتصل بأبي اسحاق نبأه فبرز اليه بعد استدعاء ولده من بجاية فالتقى الفريقان وتمت على أبي اسحاق الهزيمة واستسلم الكثير ممن كان معه وهلك ولده ولجأ أخوه الامير أبو حفص لقلعة سنان وفر هو لوجهه حتى لحق ببجاية وعاجله ابن أبي عمارة فبعث جريدة من الجند لنظر أشياخ من الموحدين أوعزت اليهم الايقاع فوصل الى بجاية فغلبه من رآه من الفل المنهزم فلم يعترضه معترض عن القصبة فقبض على الامير أبي

اسحاق فطوقه الحمام واحتز رأسه وبعث الى ابن أبى عمارة به وقد دخل تونس واستولى على ملكها وأقام سنين ثلاثة أو نحوها في نماء لا كفاء له واضطلع بالامر وعاث فى بيوت أمواله وأجرى العظائم على نسائه ورجاله الى أن فشا أمره واستغاث الوطن من تمرده فيه ورجعت الى أرباب الدولة بصائرهم فى شأنه ونهض اليه الامير أبو حفص طالباً بثار أخيه فاستولى ودحض عاره واستأصل شأفته ومثل به والملك لله الذي لا تزن الدنيا جناح بعوضة عنده ٠

وفى ذلك قلت عند ذكر أبى حفص فى الرجز المسمى بنظم الملوك المشتمل على دول الاسلام أجمع على اختلافها الى عهدنا فمنه في ذكر بنى حفص ٠

أولهم يحيي بن الواحد	وفضلهم ليس له من جاحد
وهو الذى استبد بالامور	وحازها ببيعة الجمهور
وعظمت فى صقعه آثاره	ونال ملكا عاليا مقداره
ثم تولى بعده المستنصر	وهو الذى علياه لا تنحصر
أصاب ملكا رائسا اوطانه	وأفق عز ساميا سلطانه
ودولة اموالها مجموعه	وطاعة اقوالها مسموعه
فلم يخف من عقدها انتكاثا	وعاث في اموالها عياثا
هبت بعز نصره الرياح	وسقيت بسعده الرماح
حتى اذا ادركه شرك الردى	وانتحب النادى عليه والندى
قام ابنه الواثق بالتدبير	ثم مضى فى زمن يسير
سطا عليه العم ابراهيم	والملك في اربابه عقيم

وعن قريب سلب الاماره عنه ادعاها ابن أبى عماره
عجيبة من لعب الليالى ماخطرت لعاقل ببال
واخترم السيف ابا اسحاقا ابا هلال لقى المحاقا
واضطربت على الدعى الاحوال والحق لا يغلبه المحال
ثم ابو حفص سما عن قرب وصير الدعى رهين الترب
ورجع الحق الى اهاليه وبعده محمد يليه

وهذه الامور تستدعي اطالة مخلة بالغرض ومقصدى ان استوفى ما امكن من التواريخ التى لم يتضمنها ديوان واختصر ماليس بقريب والله ولي الاعانة

﴿ ابراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن احمد بن محمد ﴾
﴿ ابن سهل بن مالك بن احمد بن ابراهيم بن مالك الازدى ﴾
﴿ يكنى أبا اسحق ﴾

﴿ أوليته ﴾

منزل جدهم الداخل الى الاندلس قرية شون من عمل أو قيل من اقليم البيرة قال ابن الصيرفى بيتهم فى الازد . ومجدهم ما مثله مجد . حازوا الكمال وانفردوا بالاصالة والجلال . مع عفة وصيانه . ووقار وصلاح وديانة . نشأ على ذلك سلفهم . وتبعهم الى الآن خلفهم . وذكرهم مطرف بن عيسى فى تاريخه فى رجال الاندلس . وقال ابن مسعدة وقفت على عقد قديم لسلفى فيه ذكر

احمد بن ابراهيم بن مالك الازدى وقد حلى فيه بالوزير الفقيه ابى العباس احمد بن الوزير الفقيه أبى عمران بن ابراهيم وتاريخ العقد سنة ثلاث واربعمائة فناهيك من رجال تحلوا بالجلالة والطهارة منذ ازيد من اربعمائة سنة ويوصفون فى عقودهم بالفقه والوزارة . منذ ثلاثمائة سنة في وقت كان هذا المنصب فى تحيلة الناس ووصفهم في نهاية من الضبط والحذر بحيث لا يتهم فيه بالتجاوز لاحد سيما فى العقود فكانوا لايصفون فيه الشخص الا بما هو الحق به والصدق وما كان قصدى فى هذا الا أن شرفهم غير واقف عليه . أو مستند في الظهور اليه . بل ذكرهم على قديم الزمان شهير . وقدرهم خطير . قلت ولما عقد لولدى عبد الله اسعده الله على بنت الوزير ابي الحسن بن الوزير بن أبى الحسن القاسم الوزير بن الوزير ابى عبد الله بن الفقيه العالم الوزير حزم نخارهم ومجدد آثارهم . أبى الحسن سهل بن مالك خاطبت شيخنا اباالبركات بن الحاج أعرض ذلك عليه فكان من نص مراجعته . فسبحان الذى ارشدك لبيت الستر والعافية والأصالة وشجوب الابرار قاتلك الله ما أجل اختيارك وخلف هذا البيت الآن على سنن سلفهم من التحلى بالوزارة والاقتياد من الطعمة الزاكية والاستناد القديم الكريم واغتنام العمر بالنسك عناية من الله اطرد لهم قانونها واتصلت عاداتها والله ذو الفضل العظيم

﴿ حاله ﴾

كان من أهل السر والخصوصية والصمت والوقار ذا حظ وافر من المعرفة بلسان العرب ذكى الذهن متوقد الخاطر مليح النادرة شنشنة معروفة فيهم سار سيرة ابيه واهل بيته فى الطهارة والعدالة والعفاف والنزاهة

﴿ وفاته ﴾

توفى [1] بياض بالاصل

﴿ ابراهيم بن مفرج بن عبد البر الخولاني يكنى ﴾
﴿ أبا اسحق ويعرف بابن جده ﴾

﴿ أوليته ﴾

من أولى البيوتات بالحضرة ولى أبوه مزرعة لثانى الملوك من بنى نصر فتأثل مالا ونباهة

﴿ حاله ﴾

هذا الرجل من اعيان القطر ووزاء الصقع وشيوخ الحضرة أغنى هذه المدرة يداً وأشغلهم بالعرض الادني نفسا تحرف بالتجر المربوب في حجر الجاه ونما حاله تحاط به الجدات وتمو الاموال ففار تفورها وفهق حوضها كثير الخوض فى التصاريف الوقتية والادات الزمانية وأثمان السلع وعوارض الاسعار متبجح بما ظهرت به يده من علق بمضنة هذى المدينة التي ينفق على أسواقها عند ارتفاع القيم ويميز الاسعار وبلوغها الحد الذي يراه كفؤ حبته ومنتهي غلته عرف الفكر يخاطب الحيطان والشجر والاساطين محاسباً اياها على معاملات وأغراض فنية يرى من التلبس بشيء من المعارف والآداب

(١) بياض بالاصل

والصنائع تغلب عليه السذاجة والصحة دمث متخلق متنزل مختصر الملبس والمطعم كثير البذل يعظم الانتفاع به في باب التوسعة بالسلف والمداينة حسن الخلق كثير التجمل مبتلى بالوقب والطناز[1] يسمع ذوى القحة ويصم عن ذوى المسألة .

﴿ ظهوره وحظوته ﴾

لبس الحظوة شملة لم يفارق طوقها رقبته اذ كان صهراً للمتغلب على الدولة أبى عبد الله بن محروق ضارب بسهم فى جزور خطته والغافي مرقته وحظوته مشتملا على حاله بعباء جاهه ثم صاهر المتصير ألامر اليه بعده القائد الحاجب أبا النعيم رضوان مولى الدولة النصرية وهلم جرا بعد ان استعمل فى السفارة الى العدوة وقشتالة فى أغراض تليق بمبعثه مما يرجب فيه المياسير والوجوه مشرفين معززين بمن يقوم بوظيفة المخاطبة والجواب والرد والقبول . وولى وزارة السلطان لاول ما ملكه فى طريق من ظاهر جبل الفتح الى حضرته وأياما يسيرة من أيام اختلاله الى ان رغب الخاصة من الاندلسيين فى ازالته وصرف الامر الى الحاجب المذكور الذى تسقط مع رياسته المنافسة وترضى به الجملة

﴿ محنته ﴾

وامتحن هو وأخوه بالتغريب الى تونس عن وطنهما على عهد السلطان الثالث من بنى نصر ثم آب عن عهد غير بعيد ثم أسن واستسر أذيه وعجز . عن الركوب الى فلاحته التى هى قرة عينه وحظ سعادته يتطارح بسكة المترددين بازاء بابه مباشر الثرى بثوبه قد سدكت به شكاية شاشئة قل ما يفلت منها الشيوخ الى ان هلك

(١) الوقب الاحمق والطناز المستهزئ قاموس

﴿ مولده ﴾

فى وسط شوال عام سبعة وخمسين وخمسمائة

﴿ وفاته ﴾

فى سنة خمس وثمانين وستمائة

﴿ ابراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الاوسى ﴾

﴿ يكنى اباسحق ويعرف بابن المرأة ﴾

﴿ حاله ﴾

سكن مالقة دهرا طويلا ثم انتقل الى مرسية باستدعاء المحدث أبى الفضل المرسى والقاضى أبى بكر بن محرز وكان متقدما فى علم الكلام حافظاً للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك وكان الكلام أغلب عليه فصيح اللسان والقلم ذاكراً لكلام أهل التصوف يطرز مجالسه باخبارهم وكان شيخ الجمهور بمالقة بار عافي ذلك متفنناً له متقدما فيه. حسن الفهم لما يلقيه وثوبا على التمثيل والتشبيه فيما يقرب للفهم مؤثرا للخمول قريبا من كل احد حسن العشرة مؤثرا بما لديه وكان بمالقة يتجر فى سوق الغزل

قال الاستاذ أبو جعفر وقد وصفه . كان صاحب حيل ونوادر مستظرفة يلهى بها أصحابه ويؤنسهم ومطلعا على اشياء غريبة من الخواص وغيرها فتن بها بعض الحابة واطلع كثير ممن شاهده على بعض ذلك وشاهد منه بعضهم

مايمنعه الشرع من المرتكبات فنافره وباعده بعد الاختلاف اليه منهم شيخنا القاضى العدل المسمى بالفاضل ابن المرابط رحمه الله اخبرني من ذلك باشهاده مايقبح ذكره وتبرأ منه من كان سعى في انتقاله الى مرسية والله أعلم بغيبه

﴿ تآليفه ﴾

منها شرحه كتاب الارشاد لأبي المعالى وكان يملقه من حفظه من غير زيادة وامتداد . وشرح الاسماء الحسنى وألف جزأ فى اجماع الفقهاء . وشرح محاسن المجالس لأبي العباس أحمد بن العريف وألف غير ذلك وتآليفه نافعة فى ابوابها حسنة الرصف والمباني

﴿ من روي عنه ﴾

أبو عبد الله بن اجلي وأبو محمد بن عبد الرحمن بن وصلة

﴿ وفاته ﴾

توفى بمرسية سنة احدى عشرة وستمائة

﴿ ابراهيم بن أبى بكر بن عبد الله بن موسى الانصاري نزل سبتة ﴾

﴿ يكنى أبا اسحق ويعرف بالتلمسانى ﴾

﴿ حاله ﴾

كان فقيها عارفا بعقد الشروط مبرزا فى اللغة والفرائض اديبا شاعرا

محسنا ماهرا فى كل ما يحاول . نظم فى الفرائض وهو ابن ثمان عشرة سنة أرجوزة محكمة بعلمها ضابطة عجيبة الوضع قال ابن عبد الملك وخبرت منه فى تكرارى عليه تيقظا وحضور ذهن وتواضعا وحسن اقبال وبر وجميل لقاء ومعاشرة وتوسطا صالحا فيما يناط به من التواليف واشتغالا بما يعنيه من أمر معيشته وتخاملا فى هيئته ولباسه يكاد ينحط عن الاقتصاد حسب المألوف والمعروف بسبتة . قال ابن الزبير كان أديبا لغويا فاضلا اماما فى الفرائض

﴿ مشيخته ﴾

تلا بمالقة على أبى بكر بن دسمان وأبي صالح محمد بن محمد الزاهد وأبى عبد الله بن حفيد وروى بها عن أبى الحسن سهل بن مالك ولقي أبا بكر ابن محرز وأجاز له وكتب اليه مجيزا أبو الحسن بن طاهر الرباج وأبو على الشلوبين ولقى بسبتة المسن أبا العباس بن على بن عميرة الهوارى وأبا المطرف احمد بن عبد الله بن عبيدة واجازوا له وسمع على أبى يعقوب يوسف بن موسى الحسانى الغماري

﴿ من روى عنه ﴾

روى عنه الكثير ممن عاصره كأبى عبد الله بن عبد الملك .

﴿ تآليفه ﴾

من ذلك الارجوزة الشهيرة فى الفرائض لم يصنف في فنها احسن منها ومنظوماته فى السير وامداحه النبي صلى الله عليه وسلم والمعشرات على اوزان العرب وقصيدة فى المولد الكريم وله مقال فى علم العروض

﴿ شعره ﴾

كثير مبرز الطبقة بين العالى والوسط منحاز بكثرة الى الاجادة وتقع له الامور العجيبة فيه كقوله

الغدر فى الناس شيمة سلفت قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من سرت له نعم منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما اعقب الجزاء بها مضرة عنك عز مصرفها
أما ترى الشمس تعطف بالنو ر على البدر وهو يكسفها

﴿ دخوله غرناطة ﴾

أخبر عن نفسه أن أباه انتقل به الى الاندلس وهو ابن تسعة أعوام فاستوطن به غرناطة ثلاثة أعوام ثم رحل الى مالقة فسكن بها مدة وبها قرأ معظم قراءته ثم انتقل الى سبتة وتزوج بها أخت الشيخ أبي الحكم مالك بن أبي المرحل وهذا الشيخ جد صاحبنا وشيخنا ابي الحسن التلمساني لابيه وهو ممن يطرز به التأليف ويشار اليه فى فنون لشهرته .

ومن شعره وهو صاحب مطولات مجيدة، وامادح فى الاحسان بعيدة فمن قوله يمدح الفقيه ابا القاسم العربى أمير سبتة .

أرأيت من رحلوا وزموا العيسا تركوا الولاء على الطلول حبيسا
احسبت ان سيعود نسف ترابها يوما بما يشفي لديك نسيسا
هل مؤنس نارا بجانب طورها لم تنسها ام هل تحس حسيسا

﴿ مولده ﴾

قال عبد الملك اخبرني ان مولده بتلمسان سنة تسع وستمائة

﴿ وفاته ﴾

عام تسعين وستمائة بسبتة على سن عالية فسحت مدى الانتفاع به

﴿ حاله ﴾

من كتاب عائد الصلة كان رحمه الله نسيج وحده فى الادب نظما ونثرا

لا يشق غباره كلامه صافى الاديم غزير المائية أنيق الديباجة موفور المادة كثير الحلاوة بين الجزالة والرقة الى حظ بعيد ومشاركة فى فنون وكرم نفس واقتدار على كل محاولة ٠رحل بعد أن اشتهر فضله وذاع أرجه فشرق وجال فى البلاد ثم دخل في بلاد السودان فاتصل بملكها واستوطنها زمانا طويلا بالغاً فيها اقصى مبالغ المكانة والحظوة والشهرة والجلالة واقتنى مالا دثرا ثم آب الى المغرب وحوم على وطنه فصرفه القدر الى مستقره من بلاد السودان مستزيدا من المال واهدي الى ملك المغرب هدية تشتمل على طرف فاثابه عليها مالا خطيرا ومدحه بشعر بديع كتبناه عنه وجرى ذكره في كتاب التاج بما نصه ٠

جواب الآفاق ٠ ومحالف الاباق ٠ ومنفق سعر الشعر كل الانفاق رفع ببلده للادب راية لاتحجم ٠ واصبح فيها يسوق ويلجم ٠ فان نسب جرى ونظم نظم الجمان ٠ وان نثرأبن ورثى ٠ وغبر فى وجوه السوابق وحثا ٠ ولما اتفق كساد سوقه ٠ وضياع حقوقه٠ اخذ بالحزم ٠ وأدخل على حروف علله عوامل الجزم ٠ يسقط على الدول سقوط الغيث ٠ ويحل كناس الظبا وغاب الليث ٠ ويشيع العجائب٠ ويركض النجائب ٠ فاستضاف بصرام ٠ البرابي والأهرام ٠ رمى بعزمته الشام فاحتل ثغوره المحوطة ٠ ودخل دمشق وتوجه الغوطة .ثم عالجها بالفراق محييا بالسلام مدينة السلام ٠ وأدار بالرفد رواحله ٠ وورد اليمن وسواحله٠ ثم عدل الى الحقيقة عن المجاز ٠ وتوجه الى شأنه الحجاز ٠ فاستلم الركن والحجر٠ وزار القبر الكريم لما صدر ٠ وتعرف بمجتمع الوفود ٠ بملك السود ٠ فغمره بارفاده ٠ وصحبه الى بلاده ٠ فاستقر باول اقاليم العرض ٠ واقصى ما يعمر من الارض ٠ فحل بها محل

الخمر فى القار • والنور فى سواد الابصار • وتقيد بالاحسان • وان كان غريب الوجه واليد واللسان • وصدرت منه رسائل اثناء اغرابه • تشهد بجلالة آدابه • وتعلق الاحسان باهدابه

﴿ نثره ﴾

فمن ذلك ماخاطب به أهل غرناطة بلده وقد وصل الى مراكش •

سلام لبست دارين شعاره • وحاق الروض النضير به صداره • وانسى نجدا شمه الذكي وعراره • جر ذيله على الشجر فتعطر • وناجى غصن البان فاهتز لحديثه وتأطر . وارتشف الندى من ثغور الشقائق • وحيا خدود الورد تحت اردية الحدائق • طربت له النجدية المستهامة • فهجرت صباها ببطن تهامة • وحن ابن دهمان لصباه • وسلا به التميمى عن رياه • وانسى النميرى ما تضوع بزينب من بطن نعمان • واستشرف السمر والبان • وتخلق بخلوقه الآس والظيان • حتى اذا راقت انفاس تحياته ورقت • وملكت نفائس النفوس واسترقت • ولبست دارين فى ملائها • ونظمت الجوزاء فى عقد ثنائها • واشتغل بها الاعشى عن روضه ولها • وشهد ابن برد شهادة اطراف المساويك لها • خيمت في ربع الجود بغرناطة وملأت دلوها الى عقد كربه • وروت منابت شرقها من عرفه لاغربه • هنالك تتزيي بها صدور المجالس تحمل صدورا • وترائب المعالى تحلى عقودا ونحورا • ومحاسن الشرف تحاسن البروج فى زهرها • والمروج فى دهرها . والافنية فى ايوانها والاندية فى شعب اوانها • لو رآها النعمان لهجر سديره • او كسرى لنبذ ايوانه وسريره • او سيف لقصر عن غمدانه • او حسان لترك جلق لغسانه •

بلاد بها نيطت على تمائمى   واول ارض مس جلدى ترابها

فاذا فضت من فرض السـلام ختما . وأفضت من افادة الثناء حتما . ونفضت طيب عرارها على تلك الانداء . واقتطفت ازهار محامدها اهل الود القديم والاخاء . وعمت من هنالك من الفضلاء وتلت سور آلائها . على منبر ثنائها . وقصت وعطفت على من تحمل من الطلبة بشارتهم . وصدرت عن اشارتهم وأنارت نجما حول هالتهم المنيرة ودارتهم . فهنالك تقص احاديث وجدي على تلك المناهج . لا الي صلة عالج . وشوقي الي تلك العلية . لا الي عبلة . وتوقي الى ذلك الشرف الجليل فسقى الله تلك المعاهد غيداقا يهمي دعاقا . ويغراق روضها اغراقا تتكالل منه نحور ودها دراء وترنو عيون اطراف نرجسهـا الى اهلها شزرا . وتتعانق قدود اغصانها طربا . — وتنعطف خصور مذانبها على اطراف كثبانها لعبا . وتضحك ثغور اقاحها عند رقص ادواحها عجبا . وتحمر خدود روضها حياء . وتشرف حدائق وردها سناء . وتهـدي اليـه صباها خبرا طاب عرفا وانباء . حتى تشتغل المطربة عن روضتها المرودة . والشكلي عن مساويه المجوده . والبكرى عن شقائق رياض روضته الندية والاخطل عن خلع بيعتـه الموشية . فما الخورنق وسراد . والرصافة وبغداد وما الف النيل فى ملأته[1] . كرما الى فدين سقايته وحاية غمدان عن محراب وقصر وابو رية البلقا عرغوطة ونهر . باحسن من تلك المشاهد . التى تساوى فى حسنها الغائب والشاهد . وما لمصر تفخر بنيلها . والالف منها في شنيلها . وانما زيدت الشين هنالك . ليعني ذلك .

ويا لله من شـوق حثيث	ومن وجـد تنشط بالصميم
اذا ما هاجه وجد حـديث	صبا منهـا الي عهد قديم

(١) قوله ومالف النيل الى قوله باحسن كذا بالاصول

اجنح انساني فى كل جانحة . وانطق لساني من كل جارحة . واهيم وقلبي رهين الاين . وصريع البين . تهفق به الرياح البليلة اذا ثارت . وتطير به اجنحة البروق الخافقة اينما طارت . وقد كنت استنزل قربهم براحة الاجل . واقول عسى وطن يدنو بهم ولعل . ما أقدر الله أن يدنى على الشحط . ويبري جراح البين بعد اليأس والقنط . هذا شوقى يستميره البركان لناره . ووجدى لا يجرى قيس فى مضماره . فما ظنك وقد حمت حول الموارد الخضر . وتنسمت ريح منابت الحضر . ونظرت الى تلك المعاهد من أمم . وهمست باهتصار ثمار تلك المجد اليانع والكرم . وان المحب مع القرب لاعظم هما . واشد فى مقاسات الغرام غما .

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

وقربت مسافة الدوار . لكن الدهر ذو غير . ومن ذا يحكم على القدر . وما ضره لو غفل قليلا . وشفى بلقاء الاحبة غليلا . وسمح لنا بساعة اتفاق ووصل ذلك الامل القصير بباع . وزوى مسافة أيام . كما طوي مراحل أعوام . يامؤيسى أفلا أشفقت من عذابى . وسمحت ولو بسلام أحبابى . أسلمتنى الى ذرع البيد . ومحالفة الزميل والوخيد . والتنقل في المشارق والمغارب . والتمطي فى الصهوات والغوارب . يا سائق البين دع محمله . فما بقى فى الجسم ان يحمله . ويا بنات جديل . ما لكن وللذميل . ليت سقمى عقيما لم يلد ذات البين . المشتتة ما بين المحبين . ثم ما للزاجر الكاذب . وللغراب الناعب . تجعله نذير الجلا . ورائد الخلا . ما أبعد ابن زاجر . عن دار الزاجر . انما فعل ما ترى . ذات الغارب والقرى . المختالة فى الازمة والبرى . والمترددة بين التأويب والسرى . طالما باكرت النوي . وصدعت صدع الهوى . وتركت

الهائم بين ربع محيل . ورسم مستحيل . يقفوا لاثر بجده . ويسأل الطلل عن عهده . وان أنصفت فما لعين مفقودة . وابل مطرودة . فلت عن الحوض والشوط . وأسلمت الى الحبل والعصي والسوط . ولو خير الباز لأقام . ولو ترك القطا ليلا لنام . لكن الدهر أبو براقش . وسهم بينه وبين بنيه غير طائش . فهو الذى شتت الشمل وصدعه . وما رفع سيف بعماده الا وضعه . ولا بل غليلا أحرقه بنار وجده ولا نقعه . فاقسم ما ذات خضاب اوطوق وشاكية غرام وشوق . برزت فى منصتها . وترجمت عن قصتها . وغربت عن بيتها . ونفضت شرارة زفرتها عن عينها . وميلا حكت الميلا والغريض . وعجماء ساجلت بسجعها القريض . وكصت العود . فكأنها نقرت العود . ورددت العويل . كأنها سمعت الثقيل . نبهت الواله فثاب . وناحت باشواقها فأجاب . حتى اذا فتن بتربها . استراب فى تربها . فنادى يا حصيبة الساق . مالك والاشواق . أباكية ودموعك راقية . ومحدّ وأعطافك حالية . عطلت الخوافى وحليت القوادم . وخضبت الارجل وحضرت المآتم . أما أنت فقريعة خمار . وحليفة أنوار وأشجار . تترددين بين منبر وسرير . وتهادين بين روضة وغدير . أسرفت فى الغناء . وانما حكيت خرير الماء . وولعت بتكرير الراء . فقالت أعد نظر البصير . ولأمر ما جدع أنفه قصير . أنا التى أغرقت فى الرزء . وكنيت عن الكل بالجزء . كنت أربع بالفيافي ما الافى . وآنس مع مقيلى . بكرتى وأصيلى . نختال من غدير الى شرج . وننتقل من سرير الى سرج . آونة نلتقط الحب . وحينا نتعاطى الحب . وطورا نتراكض الفنن . وتارة نتجاذب الشجن . حتى رماه الدهر بالشتات . وطرقه بالآفات . فها أنا بعد دامية العين . دائمة الاين . أتعلل بالاثر بعد العين .

فان صدعت ناري . ألهبت منقاري . أو نكات أحشائي . خضبت رجلي بدمائي . فاقسم لا خلعت طوق عهده . حتى أردى من بعده . بل ذات خفض وترف . وجمال باهر وشرف . بسط الدهر يدها . وقبض ولدها . فهي اذا عقدت التمائم على تريب . أو لفت العمائم على نجيب . حثت المفؤود . وأدارت عين الحسود . حتي اذا اينع فسالها . وقضى حملها وفصالها . عمرت لحدها بوحيد كان عندها وسطي . وفريد أضحى في نحر عشيرتها سمطا . استحشت له مهبات النسيم الطارق . وخافت عليه من خطرات اللحظ الراشق . فحين هش للاعياد . ووهب التمائم للنجاد . ونادي الصريم . ما الآل والحريم . فشد الاناء واعتقل القنا . وبرز يختال في عيون لامه . ويتمرف من رمحه بألفه ولامه . فعارضه شثن الكفين . عاري الشعر والمنكبين . فأسلمه لحتفه . وترك حاشية ردائه على عطفه . فحين انبهم لشا كلته ما جرى . برزت لترى . فلم تلق منه غير خمس مفاصل . وأشلاء لحم تحت ليث مخاتل . يخط على اعطافه وترائبه بكف حديد الناب صلب المفاصل . أعظم وجد امني الى تلك الآفاق التى اطلعت وجوه الحسن والاحسان . وسفرت عن كمال الشرف وشرف الكمال عن كل الوجوه الحسان . وأبرزت من ذوي الهمم المنيفة والشيم الشريفة ما أقر عين العليا وحلى جيد الزمان . فتقوا للعلم أزهاراً أربت على الروض المجود . وأداروا للادب هالة استدارت حولها بدور السعود . نظم الدهر محاسنهم حلياً في جيده ونحره . واستعار لهم الافق ضياء شمسه وبدره . وأعرب بهم الفخر عن صميمه وفسح لهم المجد عن صدره . فهم انسان عين الزمان . وملتقي طرفي الحسن والاحسان . نظمت الجوزاء مفاخرهم . ونثرت النثرة مآثرهم . واجتلبت

الشعري من أشعارهم . وطلع النور من أزرارهم . واجتمعت الثريا لمعاطات أخبارهم . وود الدلو لو كرع فى حوضهم . والاسد لو ربض حول ربضهم . والنعايم لو غذيت بنعمهم . والمجرة لو استمدت من فيض كرمهم . عبق المسك من محاسنهم فرق . وطرب الصبح لاخبارهم فخرق جيبه وشق . وحام النسر حول حماهم وحلق . وقد الفخر جدار فخارهم وحلق . الى بلاغة أخرست لسان لبيد . وتركت عبد الحميد غير حميد . أهل ابن هلال لمحاسنهم وكبر . وأعطى الفارابى ماجرى به قلمه وسطر . وأيس اياس من لحاقهم فأقصر لما قصر

ومنها فما الوشى تألق ناصعه . وتألق يانعه . بأحسن مما وشته أنفاسهم . ورسمته أطراسهم . فكم لهم من خريدة غذاها العلم ببره . وفريدة حلاها البيان بدره . واستضاءت المعارف بأنوارهم . وتباهت الفضائل بسنى منارهم . وجليت المشكلات بأنوار عقولهم وأفكارهم . جلوا عروس المجد وحلوا . ودخلوا فى ميدان السيادة وزاحموا السمو بالمناكب . واختطوا الترب فوق الكواكب . لزم محلهم التكبير . كما لزمت الياء التصغير . وتقدموا فى رتبة الافهام . كما تقدمت همزة الاستفهام . ونزلوا مراتب العلياء منزلة حروف الاستعلاء . وما عسى أن أقول ودون النهاية مدى نازح . وما أغنى الشمس عن مدح المادح . وحسبى أن أصف ما أعانيه من الشوق . وما أجده من التوق . وأعلل نفسى بلقائهم . وأتملل بالنسيم الوارد من تلقائهم . وان جلانى الدهر عن ورود حوضهم . وأقعدنى الزمان عن اجتناء روضهم . فما ذهب ودادى . ولا تغير اعتقادى . ولا جفت أقلامى من مدادهم ولا مدادى . أنا ابن جلا فى وجدهم . وطلاع الثنايا الى كرم عهدهم . ان ادعوا الى ود صميم . وجدونى أضع العمامة عن ذوى عهد قديم . ولو شرعوا نحوى قلم

مكاتبتهم • وسمحوا بالعلق الثمين من مخاطبتهم • لكفوا قلب العاني قيد إساره . وبلوا صدى وجدى المحرق بناره . ففي الكتابة بلغة الوطر . وقد يغني عن العين الأثر . والسلام الاثير الكريم الطيب الريا . الجميل المحيا • يخص علاهم ومحلهم الاثير • وكبيرهم اذ ليس فيهم صغير • ويعود على من هناك من ذوى الود الصميم . والعهد القديم • من أخ بر وصاحب حميم • ورحمة الله وبركاته

ولا خفاء ببراعة هذه الرسالة على طولها • وكثرة أصولها وفصولها • وما اشتملت عليه من وصف وعارضة واشارة واحالة وحلاوة وجزالة •

﴿ شعره ﴾

ثبت لدي من متأخر شعره قوله من قصيدة يمدح بها ملك المغرب أمير المسلمين عند دنو ركابه من ظاهر تلمسان ببابه أولها

خطرت كمياس القنا المتأطر ... ورنت بألحاظ الغزال الاعفر

ومن شعره في النسيب

زارت وفي كل لحظ طرف محترس ... وحول كل كناس كف مفترس
متى تلاخدها الزاهي الضحي نطقت ... سيوف ألحاظها من أية الحرس
يشكو لها الجيد ما بالحلي من هدد ... ويشتكي الرئد ما بالقلب من خرس
في لحظها سحر فرعون ورقتها ... آيات موسى وقلبي موضع القبس
تخفي النمومين من حلي ومبتسم ... تحت الكتومين من شعر ومن غلس
وترسل اللحظ نحوي ثم تهزأ بي ... تقول بعد نفوذ الرمية احترس
أشكو اليها فؤاداً واجفاً أبدا ... في النازعات وما تنفك من عبس
ياشقة النفس ان النفس قد تلفت ... الا بقية رجع الصوت والنفس
هذا فؤادي ووصفي فيك قد جمعا ... ضدين فاعتبري ان شئت واقتبسي

ويالطارق نوم منك ارقني ليلا وبهني للوجد ثم نسي
مازال يشرب من ماء القلوب فلم أبصرته ذابلا يشكو من اليبس
ملأت طرفي من ورد تفتح في رياض خديك ضلا غير مفترس
وقات للحظ والصدغ احرسا فهما ما بين مصم وفتاك ومنتكس
وليلة جئتها سحرا أجوس بها شبا العوالى وخيس الاخنف الشرس
استفهم الليل عن أمثال انجمه وأسأل الميس عن سرب المها الانس
وأهتك الستر لا اخشى بوادره ما بين منتهز طورا ومنتهس
بتنا نعاطى بها ممزوجة جمعت حلو الفكاهة بين اللين والشرس
انكحتها من أبيها وهى آبية فثار أبناؤها فى ساعة العرس
نور ونار اضاءا فى زجاجتها فذاك خدك ياليلى وذا نفسى
حتى اذا آب نور الفجر فى وضح ممرد جال بين الفجر والغلس
وهينمت بالضنا تحت الصباح صبا قد انذرتها ببرد القلب واللمس
قامت تجر فضول الريط آنسة كريمة الذيل لم تجنح الى دنس
تلوث فوق كثيب الرمل مطرفها وتمسح النوم عن اجفانها النعس
فظل قلبي يقفوها بملتهب طورا ودمعي يتلوها بمنبجس
دهر تلون لونيه كمادته فالصبح فى مأتم والليل فى عرس

واحسانه كثير . ومقداره كبير . ثم آب الى بلاد السودان وجرت عليه فى طريقه محنة ممن يعترض الرفاق ويفسد السبل واستقر به على حاله من الجاه والشهرة وقد أخذ اماء للتسري من الزنجيات ورزق من الجوالك أولاداً كالخنافسة ثم لم يلبث ان اتصلت الاخبار بوفاته بتنبكتو فى أوائل تسعة وثلاثين وسبعمائة

ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن ابراهيم
بن عبد العزيز بن اسحق بن قاسم النميرى

« من اهل غرناطة يكنى ابا اسحق ويعرف بابن الحاج »

اوليته

نبيه يزعم من يعتني بالاخبار أن جدهم الداخل الى الاندلس توابة بن سخرة النميرى وشاركهم فيه بنو أرقم الوادي شيون وكان سكناه بجهة وادى آش ولقومه اختصاص وانتقال ببعض جهاتها وهي شوطر والمنظر وقرسيس وقطارش تغلب العدو عليها على عهد عبد العزيز وأوى جميعهم الى كنف الدولة النصرية فانخرطوا فى سلك الخدمة وتمحض خلفهم بالعمل وكان جده الاقرب ابراهيم رجلا خيراً له حظ من الدين والفضل والطهارة والذكاء كتب للرؤساء من بنى اشقيلولة عند انفرادهم بوادى آش واختص بهم وحصل منهم على صهر بام ولد بعضهم وضبط المهم من اعمالهم ثم رابته منهم سجايا اوجبت انصرافه عنهم وجنوحه الى خالهم السلطان الذي كاشفوه بالثورة فعرف حقه واكرم وفادته وقبل بيانه فقلده ديوان جنده واستمر أيام عمره تحت رعيه وكنف عنايته وكان والده عبد الله أبو صاحبنا المترجم به صدرا من صدور المستخدمين فى كبار الاعمال على سنن رؤسائهم مكسابا سري النفس غاص الحواز ولى الاشغال بغرناطة وسبتة عند تصيرها الى ايالة بنى نصر وجر إطلاقه هذا فى صل دنيا عريضة تغلبت عليه بآخرة

ومضى لسبيله مصدوقا بالكفاية وبراعة الخط وطيب النفس وحسن المعاملة

﴿ حاله ﴾

هذا الرجل نشأ على عفاف وطهارة امتهك صبابة ترف من بقايا عافية اعانته على الاستظهار بنزة . وصانته من النحرف بمهنة . ثم شدو بهرت خصاله ففصح بالشعر وبلغ الغاية فى اجادة الخط وحاضر بالابيات وارتسم فى كتاب الانشاء عام اربعة وثلاثين وسبعماية مستحقا بحسن سمة وبراعة خط وجودة أدب واطلاق يد وظهور كفاية وهو فى أثناء هذا الحال يقيد ولا يفتر ويدون الحديث ويلق الاناشيد ولا يغب النظم والنثر ولا يعفى القريحة معمى متحولا في العناية مشتملا على الطهارة بعيداً فى زمان الشبيبة من الريبة نزيها على الوسامة عن الصبوة والرقية اعانته على ذلك نخوة فى طبعه وشفوف وهمة كان مليح الدعابة طيب المفاكهة آثر المشرق فانصرف إلى الاندلس فى محرم عام سبعة وثلاثين وسبعماية وألم بالدول محركا اياها بشعره هازا اعطافها بامداحه فعرف قدره وأعين على طيته فحج وتطوف وقيد واستكثر ودون رحلة فى سفره وناهيك بها طرفة وقفل الى افريقية وكان علق بخدمة بعض ملوكها فاستمر بجاية لديه مضطلعاً بالكتابة والانشاء ثم انتقل الى خدمة سلطان المغرب أمير المؤمنين أبي الحسن ولم ينشب ان عاد الى البلاد المشرقية فحج وقفل الى افريقية وقد دالت الدولة بالسلطان المذكور فتقاعد عن الخدمة وآثر الانقباض ثم ضرب الدهر ضرباته وآل حال السلطان الى ماهو معروف وثارت للموحدين برملة بجاية بارقة لم تكد تتقد حتي خبت فعاد الى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجاية مؤثراً الدعة في كنف الدولة الفارسية ونفض يده عن الخدمة لا احقق مضطرا أم اختياراً وحجة كليها قائمة لديه وانقطع

الى تربة الشيخ أبي مدين مع عباد تلمسان مؤثراً للخمول عزيزا به ذاهباً مذهب التجلة من التجريد والعكوف بباب الله مفخراً لأهل نحلته . وحجة على أهل الحرص والتهافت من ذوى طبقته . راجع الله بنا اليه بفضله ثم جبرته الدولة الفارسية على الخدمة وبزته بزة التنسك فعاد الى ديوانه من الكتابة رئيساً ومرؤساً ثم افلت نفيه موت السلطان أبي عنان فلحق بالاندلس وتلقى ببر وجراية . وتنويه وعناية . واستعمل فى السفارة الى الملوك وولى القضاء فى الاحكام الشرعية بالقليم بقرب الحضرة وهو الآن بحاله الموصوفة صدراً من صدور القطر واعيانه يحضر مجلس السلطان ويعد من نبهاء من ينتاب بابه وقد توسط من الاكتهال مقيما لرسم الكتابة والظارف مع الترخيص للباس الحرير والخضاب بالسواد ومصاحبة الابهة والحرص على التجلة .

وجرى ذكره فى التاج المحلى بما نصه . طلع شهابا ثاقبا . واصبح بشعره للشعرى مصاقباه فنجم وبرع . وتمم المعاني واخترع . الى خط يستوقف الابصار رائقه . وتقيد الاحداق حدائقه . وتفتن الالباب فنونه البديعة وطرائقه . من بليغ يطارد أسرار المعاني البعيدة فيقتنصها . ويغوص على الدرر الفريدة فيخرجها ويستخلصها . بطبع مذانبه دافقه . وتأييد رايته خافقه . نبه فى عصره شرف البيان من بعد الكرى . وانتدب بالنشاط الى تجدية ذلك البساط وانبرى . فدارت الاكواس . وتضوع الورد والآس . وطاب الصبوح . وتبدل المروح بالممدوح . ولم تزل نفحاته تتأرج . وعقائل بنانه تتبرج . حتى دعى الى الكتابة . وخطب على تلك المثابة . فطرز المفارق برقوم اقلامه . وشنف المسامع بدر كلامه . ثم اجاب داعى نفسه التى ضاق عنها جثمانه . لا بل زمانه . وعظم لها فكره وغمه . وتعب فى مداواتها كما قال ابو

الطيب المتنبي « واتعب خلق الله من راد محمده »

فارتحل لطيته . واقتعد غارب مطيته . فحج وزار . وشد للطواف الازار . ثم هب الى المغرب وحوّم . وقفل وقوّم النسيم عن الروض بعد ما تلوّم . وحط بافريقية على نار القرى . وحمد بها صباح السرى . ولم يلبث ان تنقل . ووحر الحميم شفاشفه وبعل . ثم بدا له اخرى فشرق . وكاد عزمه ان يجتمع فتفرق

﴿ مشيخته ﴾

روى عن مشيخة بلده وقيد واستكثر واخذ فى رحلته عن اناس شتى يشق احصاؤهم

﴿ تآليفه ﴾

منها كتاب المساهلة والمسامحة . فى تبيين طرق المداعبة والممازحة . وايقاظ الكرام . باخبار المنام . وتنعيم الاشباح فى محادثة الارواح . وكتاب الوسائل . ونزهة المناظر والخمائل . والزهرات واجالة النظرات . وكتاب فى التورية على حروف المعجم اكثره مروى بالاسانيد عن خلق كثير والله تعالى يجبره وجزء فى بيان اسم الله الأعظم وهو كثير الفائدة . ونزهة الحدق . فى ذكر الفرق . وكتاب الاربعين حديثا البلدانية والمستدرك عليها من البلاد التي دخلها ورويت فيها زيادة على الاربعين . وروضة العباد . المستخرجة من الارشاد . وهو من تأليف شيخنا القطب ابى محمد الشافعى . والاربعون حديثاً التى رويتها عن الامراء والشيوخ الذين رووا عن الملوك والامراء والشيوخ الذين رووا عن الملوك والخلفاء القريب عهدهم ووصلت فيها خاتمة ذكرت فيها فوائد مما رويته عن الملوك والامراء وعن الشيوخ الذين رووا عن

الملوك والامراء . وكتاب اللباس والصحبة وهو الذى جمع فيه طرق المتصوفة المدعى انه لم يجمع مثله . وكتاب فيه شطر الحماسة لحبيب وهو غير مكمل . وجزؤ فى الفرائض على الطريقة البديعة التى ظهرت ببلاد الشرق ورجز صغير فى الحجب والسلاح ورجز فى الجدل ورجز فى الاحكام الشرعية سماه بالفصول المقتضبة . فى الاحكام المنتخبة . وكتاب سماه بتثاليث القوانين فى التورية والاستخدام والتضمين . وهو كله من نظمه . وله تأليف سماه بفيض العباب . واجالة قداح الآداب . فى الحركة الى قسنطينة والزاب .

﴿ شعره ﴾

من شعره في المقطوعات

طاب العذيب بماء ذكرك وانثنى ... فكانما ماء العذيب سلافه

واهتز من طرب للقياك الحمى ... فكأنما باناته أعطافه

ومن ذلك

لى المدح يروى منذ كنت كأنما ... تصورت مدحا للورى وثناء

ومالى هجاء فاعجبنّ لشاعر ... وكاتب سر لا يقيم هجاء

ومن ذلك .

ولى فرس من علية الشهب سابق ... أحرّفه يوم الوغى كيف أطلب

غدوت له فى حلبة القوم مالكا ... فلله ما أغناه في السبق أشهب

وقال وقد وقف حاجب السلطان على عين ماء فيض الثغور وشرب منها .

تعجبت من ثغر هذي البلاد ... وها أنت من عينها شارب

فلله ثغر أرى شاربا ... وعين بدا فوقها حاجب

ومن ذلك .

وحمراء في الكاس مشمولة تحث العوادي في كل بيت
فلا غرو أن جاءني سابقا الى الانس خل يحثّ الكميت

وقال مضمنا وقد تذكر حمراء غرناطة وبابها الاحفل المعروف بباب الفرج .

أقول وحمراء غرناطة تشوق النفوس وتسبي المهج
ألا ليت شعري بطول السرى ارتنا الوجى واشتكت في العرج
ومالى في عرج رغبة ولكن لاقرع باب الفرج

وقال ملغزا في قلم وهو ظريف

أحاجيك ماواش يراد حديثه ويهوى الغريب النازح الدار افصاحه
تراه مع الاحيان اصفر ناحلا كمثل مريض وهو قد لازم الراحه

وقال .

وقالوا ارمى في الكاس وردا فهل ترى لذلك وجها قلت أحسن به قصداً
ألم نجر اللذات في الكاس حلبة فلا تنكروا فيها الكميت ولا الوردا

وقال .

كماة تغنت تحت وقع سيوفهم وللهام رقص كلما طلب الثار
فلا غرو ان غنت وتلك رواقص لها في ميادين الكتائب أوتار

وقال

وعارض في خده نباته بحسنه بين الورى يسحرنا
أجري دموعي اذ جرى شوقا له فقلت هذا عارض ممطرنا

وقال وقد توفي السلطان ابو يحيى بن أبي بكر صاحب تونس وولى ابنه ابو جعفر بعد قتله لاخوته .

وقالوا أبو حفص حوى الملك غاصبا   واخوته أولى وقد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا فما رضي الورى   سوى عمر من بعد موت أبي بكر

وقال مضمنا وقد حضر الفتي الكبير عنبر قتالا وكان فارسا مذكورا عند بني مرين

ولقد أقول وعنبر ذاك الفتي   يلقى الفوارس في العجاج الاكور
ياعاثرين لدى الجلاد لعا فقد   بعثت لكم ريح الجلاد بعنبر

وقال وقد اشتاق الى السبيكة خارج حمراء غرناطة .

لما نزلت من السبيكة صادني   ظبي وددت لديه أن لم أنزل
فاعجب لظبي صاد ليثا لم يكن   من قبلها متخبطا في أحبل

وقال وهو ظريف .

قد قارب العشرين ظبي لم يكن   ليرى الورى عن حبه سلوانا
وبدا الربيع بخده فكأنما   وافى الربيع ينادم النعمانا

وقال .

اتونى فعابوا من أحب جماله   وذاك على سمع المحب خفيف
فما فيه عيب غير ان جفونه   مراض وان الخصر منه ضعيف

وقال .

أيا عجبا كيف تهوى الملوك   محلى وموطن أهل وناسى
وتحسدنى وهي مخدومة   وما أنا الا خديم بفاس

﴿ نثره ﴾

ونثره تلو نظمه في الاجادة وقد تضمن الكتاب المسمى بنفاضة الجراب منه ذكر كل بديع فمما ثبت فيه مما خاطبته به وقد ولى القضاء بالاقليم

اداعبه . واثير ماتستحويه عجائبه

أيا قاضي العـدل الذي لم تزل تمتار شهب الفضل من شمسك
قعدت للانصاف بين الورى فاطلب لنا الانصاف من نفسك

ما للقاضي أبقاه الله ضاق ذرع عدله الرحيب عن العجيب وصم عن العتب . وضن على صديقه حتى بالـكتب . أمن المدونة الـكبرى ركب هذا التحريج . أم من المبسوطة ذهب الى هذا الامر المريج . أم من الواضحـة امتنع عن الامام بـبـديع الوفاء والتعريج . من أمثالهم ارض من أخيك بعشر وده . وقد قنعنا والحمد لله بحبة من مده . واشارة من درجه . وبرة واسعة معتدلة من زمان بلوغ أشده . فما باله يمطل مع الغنى . ويحوج الى العنا . مع قرب الجنى . حاله ضالع . ومطمع وطامع . ومرئي وراء ومسمع وسامع . والـكنف واسـع . والمـكان لا ناء ولا شاسع . والضرع حافل . والزرع كاف كافل . والقريحة وارية الزند . والامامة خافقة البند . وهب ان البخل يقع بها في الخوان على الاخوان . فما باله يسمح بالبيان . وليس الخبر كالعيان . ويتعدى حظ الجنان . لاخط البنان . أعيذ سيدي من ارتكاب رأي ذميم ينقل الى غيرها بيت تميم . ويفصل معناه بتميم . وهلا تلا (حم) . وعهدي بالسياسية القاضوية وقد نامت في مهاد الرف . نوم أهل الـكهف ولم تبال بمردد الويل واللهف ; وشربت لحفظ الصحة مختجا . ودقت لاعادة الشبيبة عنصا وراسختجا . وغطت الصبح بالليل اذا سجا . ومدت على ضاحي البياض سجسجا . وردت سوسن العارض بنفسجا . والبس بحرها الزاخر من طحلب البحر منتسجا . ومن كلام العامة . مدين المرأة ينصح ويرشد .

ويطوي المحاسن وينشد . حتي حسنت الدارة . وصحت الاستدارة . وأعجبه الوجه الجميل . والقد الذى يميل . في دكة الدار ويميل . وأغرى بالسواك السهام للتكميل . وولج بين شفرتى سيد الميل . وقيل لو ضاح اليمن خاب فيك التأميل . وامتد جناح برنس السرق . واحتمل الغصن الغض الرطيب فى الورق . ورش الورد بمائه عند رشح العرق . وتهيأ المنطلق الميلق فقرأت عليه نساء أعوانه . وكتبة ديوانه . سورة الفلق . . من بعد ماأوقف حجابه على أقدامهم . وسحبهم جلاوزته من بين أقوامهم . فمثلوا واصطفوا وتألفوا والتفوا . ودار واوجفوا وما تسللوا ولا خفوا . كأنما أسمعتهم صيحة النشر . وأخرجو الأول الحشر . فعيونهم بملتقى المصراع معقودة . واذهانهم لمكان الهيبة مفقودة . وحبالتهم قبل الطلب بها منتوده . فبعد مافرش الوساد . وارتفع بالنفاق والكساد . وذاع البكا وتارج الحساد . واستقام الكون وارتفع الفساد . وراجعت أرواحها الاجساد . جاءت السادة القاضوية فجلست . وتنعمت الاحداق بالنظر فيها واختلست . وسبحت الاكف حتي أفلست . وزانت شمسها ذلك الفلك . وجلبت الأنوار الى ذلك الحلك . وفتحت الابواب وقالت هيت لك . ووقفت الاعوان سماطين . ومثلوا خطين . وشكلوا مجرة تنتهي منك الى البطين . يعلنون بالهدية ويجهرون . ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون . من كل شهاب ثاقب . وطائف غاسق واقب . وملاحظ مراقب . كميش الازار . بعيد المزار . حامل للاوبار خصيم مبين . وارث سوفسطائيا عن رئين . مضطلع بعقد البئر وحريمها . فضلا عن تلقين الخصوم وتعليمها . يرأسهم العريف المقرب . والمقدم المدرب . والمشافه المباشر . والنابح الشاكر . والمنهج العاشر . الذي

يقتضى خلاص العقد . ويقطع الـكالئ والنقد . ويزكي ويجرح . ويمسك ويسرح . ويجمل من شاء ويشرح . والمسيطر الذى بيده ميزان الورق . وجمع أجزاء المفترق . وكافل ضم الرواة الفاغرة . ورشا بلالة الصدور الواغرة . فاذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع . ومكان يجتمع به الرعاع . وأعلنا الندا . وطلب الاعدا . وصاحا جمل الله لك أنفسنا الفدا . ورفع الامر الى مقطع الحق . والاولى بالمثوبة الأحق . أخذتهما الأيدى ودفعا فى القفي . ورفعا الستر اللطيف الخفي . وأمسكا بالحجز والاكمام . ومنعا المباشرة والالمام . فاذا أدلى بحجته من أدلى . وسمعها دينه عللا . وحق القول . واستقر الهول ووجبت اليمين . أو الاداء الذي يفوت الذخر الثمين . أو الرهن أو الضمين . أو الاحتفال الذى هو على أحدهما كالامين . نهش الصل ولسبت العقارب . التي لايفلتها الهارب . ولا تخفى منها المشارب . ولـكم تحت ظلام الليل من عرارة تحملها عواصر ريح فيها صر . ويهدى ارتقاب فلة شهد وكبش يجر بروقيه . ويدفع بمدرفع ساقيه . ومعز وجدى وسرب دجاج . ذوات بجاج . يفضحن الطارق ويشقن المفارق . فمتى يستفيق سيدي مع هذا اللغط العائد بالصلة . والهوات المتصلة . لتفرغ يده البيضاء لاعمال ارتياض . وخط سواد في بياض . أو حنين لدوح أو رياض . أو امتاع طرف . باكشاف حرف . أو اعمال عدل الرسول فى صرف . أوحشو ظرف بتحفة طرف . شأنه اشد استغراقا . ومثواه أكثر طراقا . من ذكرى حبيب ومنزل . وام معدل . وكيف يستخدم القلم الذى يصرف ماء الحبر . بذوب التبر . فى ترهات عدم جناها . واقطع جانب الخيبة لفظها ومعناها . اللهم الا أن تحصل النفس على كفاية تحتم لها الصدر . ويشام من خلالها

اللجين الرفيع القدر أو يحي للمفاكهة والانس . أو ينفق لديها ذمام علم الجنس .
فربما تقع المخاطبة المبرورة . وتبيح هذا المرتكب الصعب الضروره .
والمرغوب من سيدنا القاضي ان يذكرنا يوما بالاغفال في نعيمه . ولا يخيب
آمالنا المتعلقة باذيال زعيمه . ويسهمنا حظاً من فرائد خطه لا من فوائد
خطته . ويجعل لنا كفلا من فضل بريته وطبنته . لا من فضل هرته وقطته .
فقد غنينا عن الحلاوات بحلاوات لفظه . وعن الطرف المجموعة بفنون
حفظه . وعن قصب السكر بقصب أقلامه . وعن جني الدوم بدوامه .
وبهديه . عن جديه . وبعجاجته . عن دجاجته . وبدرجه . عن اترجه . وعن
البربره . وعن الحب بحبه . ولا نأمل الاطلوع بطاقته . وقد رضينا بوسع
طاقته . والا فلا بد ان يجيش جيش الكلام الى عتبه . ونوالى عليه ضرائب
الكتائب حتى يتقي بضريبة كتبه . فراجعني بما نصه .

فنيت عن الانصاف مني لانني	كما قلت لكن من فراقكم قاضي
....	بكل الذى ترضاه ياسيدى راضي

عمرك الله ايها الامام الفذ . ومن بمدحه تطرب الاسماع وتلذ . اوحد
الدنيا . حائز الرتبة العليا . ولولا انك فوق مايقال . والزلة ان لم تظهر العجز عن
وصفك لاتقال . لأطلت فى القول . وهدرت هدير فرع الشول . لكن
تحصيل الحاصل محال . ولكل فى تهيبه كمالك مقال . ومقام وحال . ولولا
أن الدعاء مأمول . وهو بظهر الغيب مقبول . والزيادة من فضل الله لاتنتهى .
والنعم قدتوافيك فوق ماتشتهى . لرأيت ان ذلك كفى . وأمر ظهر فيه ماخفى

ان قلت لازلت مرفوعا فانت كذا	اوقلت زانك ربى فهو قد فعلا

سيدى ماهذه الالفاظ السحرية . والانفاس السحرية . والالفاظ التى

أنالت المرغوب . وخالطت بشاشتها القلوب . والنزعات الرائعه . والاساليب الفائقة . والفصاحة التي سلبت العقول . والبلاغة التي اوجبت الذهول . والبيان الذي لانطيق تصحيفه . ولا يبلغ احد مده ولانصيفه . عينا بما احتوى من المحاسن . واللطائف التي لم يكن ماؤها بالآسن . وقسما ببراعتك التي هي الوامي المطاع . وطرسك الذي ابهجت به الابصار والأسماع . لقد عاد لي بكتابك عيد الشوق . كما عاد لي بخطابك جديد التوق . ولعهدي بنفسي رهن أشجاني غير محلولة عقد لساني . اشد من الصخرة جلدا . واغلظ من الابل كبدا . حتى اذا بدت حرقة القلب . وهب نسيمه الرطب . وابيح مورده العذب . وأضاء بنوره الشرق والغرب . ولم يبق لي بث ولا شجن . ولا شاقني أهل ولا وطن . ومضى سيف اللسان بعد النبو . ونهض طرف الفكر بعد الكبر وهزني الطرب المثير للأفراح . ومشى الجذل في اطرافي واعطافي مشي الراح . بيد اني خجلت ولا خجلة ربة الخدر . وتضاءلت نفسي لجلالة ذلك القدر . وقلت من لي بشربة من كاس بيانه . وقطرة من بحور احسانه . حتى أؤدي ولو بعض حقك . واكتب عقد ملك رقي لرقك . انني على ماوليت من الصدق والصداقة . وبعد شأو الطلاق لكني اقوم في حقك مستغفرا . ولا أرضى ان أكون لذمة المخدوم مخفرا . على انني اقول قد كتبت فلم يرد جوابي وحررت فهاج الجوابي . ولعمري قد لزمت فيه خطة الادب . ولم أر التثقيل على المولي الرفيع الرتب . فاما وقد نفقت لديك بضاعتي المزجاة . وشملني من لدنك الحلم والاناة . وسررتني بالخطاب الكريم . والرسالة التي عرفت في وجهها نضرة النعيم فما أبغي الا ايرادها اليك وكانها خداج . وابردها في الاجادة الهاج . واملك ترضى التخريج من مدونة الارغب .

والمبسوطة والواضحة لكن من الاعذار واما الولاية التى يقنع بسببها من الود بالعشر . او بحبة من المد الي يوم الحشر فلا بد ان يكون القانع محتاجا للوالي . ومفتقراً الى التفقد المتوالى . واما اذا كان القانع هو الذى ولى الخطة . واكسب الهر الذي أشار اليه والقطة . فهو قياس عكسه كان أقيس . بل تعليم لمن أوجد فى نفسه خيفة وأوجس . وها أنا قد فهمت . وعلمت من حسن تأديبك ماعلمت . وعلى ما فرطت فى جنبك ندمت . والي المعذرة والحمد لله ألهمت . ومع ذلك أعيد حديث الشيخ القاضى . وذكر عهدك به فى الزمان الماضي . فلقد أجاد فى الخضاب بالسواد . واعتمد على قول المالكي الذى هو دليل الى الارشاد . وأوجبه بعضهم فى بلاد الجهاد . وبين عمر منافع الخضاب السابقة الاشهاد . وخضب بالسواد جماعة من الصحابة الامجاد . وكان ذلك ترخيصاً لم يبد شرعاً . لكنه دفع شراً وجلب نفعاً . لا كأخيه الذى ابكى عين الحميم . وأنشد قول الرضى يوم السقيم . وجمع قلوب أترابه . ولم يأت بيت النصف من بابه . والا فقد علم ان الخير مشروع . وتعجيل الشيء قبل أوانه ممنوع . وستغبط أخاك ولو بعد حين . وما كل صاحب بمجتهد في ايضاح وتبيين . وانى لارجو ان تتزوجها بكراً تلاعبها وتلاعبك . أو ثيباً تقصر عن حبها مآربك . فلا جرم ترجع الى الخضاب . وحينئذ تمتع بشرب الرضاب . والا قالت سيدى لاتعظم المنى ولا تجعل النظر . قبل ان يموت عمر . لعمر الله ان هذا الموقف صعب . قد ملأ الروح منه روع ورعب . وان أضيف الى ذلك غلبة الاوهام . وظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام . سكن المتحرك المطلوب . وتنغص عند ذلك المحبوب . والله يفيك أيها المولى ويواليك من بسطه اضعاف ماولى . وأما

الصخور . حتى اذا حمل لمن يبيع خبز الذرة منتنا . ويرى انه قد فعل بذلك حسنا وجده ناقصا زائفا . ويرجع حامله وجلا خائفاً . ويبقى القاضى فقيد الهجوع . يشد الحجر على بطنه من الجوع . على انى احمد خلاء البطن وما بجسمى لايحكى من الوهن . لتعذر المرحاض . وبعد ماء الحياض . وكمون السباع في الغياض . وتعلق الافاعي بالرداء الفضفاض . ونجاسة . الحجارة . وكثرة تردد السيارة . ولانكشاف للريح العقيم . والمطر المنصب الى الموضع الذميم . هذه الحال . وعلى شرحها مجال . وقد صدقتك سنن فكري واعامتك بذات صدرى . فتجلى الغرارة غرور . وشهود الشهد زور . والطامع فى الصرة إصرار . ودون التبر يعلم الله تيار . واما الكبش فحظي منه غباره اذا خطر . ومن الثور بقرنه اذا العبيد حضر . كما أن حظى من الجدى التاذي بمسلكه . وان جدى السماء لاقرب لى من تملكه . وانا من الحلاوة سالم بن حلاوة . ولا اعهد من طرف الطرف الدماوة . ودون الدجاج كل مدجج . وعوض الاترجة بكل معرج . ولو عرفت انك تقبل على علاتها الهدايا . وتوجب المزيد لاصحابك المزايا . لبعثت القماش وانفذت الرياش . واظهرت الغنى . والوقوف بمنى المني . واوردتها عليك من غير هلع . مطاعة في الجوف بعد بلع . من كل ساحلية تقرب الى البحر . وعدوية لاتعد وصدر مجالس الصدر . حتى اجمع بين الفاكهة والفكاهة . ويبدو لى بعد الشمث وجوه الوجاهة . واتبرأ من الصد المذموم . ولا اكون اهدى من القطا بطرق اللوم . لانك زهدت في الدنيا زهد ابن أدهم . وألهمك الله من ذلك اكرم ما الهم . فيدك من أموال الناس مقبوضة واحاديث الهدايا الفاتحة للهي مرفوضة . واذا كان المرء على دين خليله . ومن

شأنه سلوك نهجه وسبيله . فالأليق ان ازهد في الصفراء والبيضاء واقابل زخرف الدنيا بالبغضاء . واحقق وارجو على يدك حسن التخلي . والاطلاع على أسرار التجلي . حتى أسعد بك في آخرتي ودنياي . وأجد بركة خاطرك في مماتي ومحياي . أبقاك الله بقاء يسر . واقنع بمناقبك التي يحسدها الياقوت والدر . ولا زلت في سيادة تروق نعتا . وسعادة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا . واقرأ عليك سلاماً عاطر العرف . كريم التأكيد والعطف ورحمة الله وبركاته . وكتبه أخوك ومملوكك وشيعة مجدك في الرابع والعشرين من جمادى الاولى عام أربعة وستين وسبعمائة

﴿ مولده ﴾

بغرناطة عام ثلاثة عشر وسبعمائة

﴿ محنته ﴾

توجه رسولا عن السلطان الى صاحب تلمسان السلطان احمد بن موسى بن يوسف بن عبد الرحيم بن يحيي بن زياد وظفر بالجفن الذي ركبه العدو باحواز جزيرة جينه من جهة وهران فاسر هو ومن باسطول سفره من المسلمين وبلغ الخبر فعظم الفجع وبينما نحن نروم سفر اسطول لاخذ الثار . وليستقرىء الآثار فيقيل العثار . اذ اتصل الخبر بمهاداة السلطان المذكور ففك من الاسر بذلك المال الذي ينيف على سبعة آلاف من العين فتخلص من المحنة لايام قلائل وعاد وتولى السلطان ارضاءه عما فقد . وضاعف له الاستغناء وجدد . وكان حديثه من أحاديث الفرج بعد الشدة محسوباً . والى سعادة السلطان منسوباً . وانشدته بعد اصابته وقدقضيت له من السلطان على عادتي ماجبر الكسر . وخفض الامر

أبا اسحق بن فرقد وهو هـذا المترجم به فأقاموا معه مدة عامين اثنين بها

﴿ شعره ﴾

مما ينقل عنه قصيدة شهيرة في رثاء الاندلس

الا مسعد منجدذ وفطن ... يبكي بدمع معين هتن
جزيرة أندلس قد سطت ... عليها غوائل حقد الزمن
ويندب أطلالها آسفا ... ويرثى من الشمر ماقد وهن
ويبكى اليتامى ويبكي الايامي ... ويحكي الحمام ذوات الشجن
ويشكو الى الله شكوى شج ... ويدعوه فى السر ثم العلن
وكانت رباطاً لاهل التقى ... فعادت مناطا لاهل الوثن
وكانت ملاذاً لاهل التقي ... فصارت ملاذا لمن لم يدن
وكانت شجى في حلوق العدا ... فاضحت لهم مالها محتجن

وهى طويلة ولدى خلاف فيمن أفرط فى استحسانها وشعره عندى وسط . ومن شعره وهو حجة فى عمره عند الخلاف فى ميلاده ووفاته قال

ثمانين مع ست عمرت وليتنى ... أرقت دموعى بالبكاء على ذنبي
فللدمع فى محو الخطيئة غنية ... اذا هاج من قلب منيب الى الرب
فياسامع الاصوات رحماك أرتجى ... فهبنى انسكاب الدمع من رقة القلب
وزلك الذى تدريه منى شيمة ... تملق بالمظلوم فى شدة الكرب
وزلك مقامى فى العقود وكتبها ... لوجهك لم أطلب ثوابا على الكتب
ولا تحرمنى أجر ما كنت فاعلا ... فانك ذو الافضال والمن والوهب
ولا تخزنى يوم الحساب وهوله ... اذا جئت مذعورا من الهول والرعب

﴿ مولده ﴾

حسبما نقل من خط ابنه أبي جعفر . ولد يعني أباه سنة أربع وثمانين وأربعمائة

﴿ وفاته ﴾

بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء الثامن عشر من محرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ونقل غير ذلك

﴿ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمود النفزى ﴾

﴿ أبدى الاصل غرناطي الاستقرار يكنى أبا اسحق ﴾

﴿ حاله ﴾

خاتمة الرجال بالاندلس وشيخ المجاهدين وأرباب المقامات صادق الاحوال شريف المقامات . مأثور الاخلاص مشهور الكرامات . أصبر الناس على مجاهداته وأدومهم على عمل وذكر وصلاة وصوم لا يفتر عن ذلك ولا ينام آية الله في الايثار لا يدخر شيئاً لغد ولا يحرف بشيء وكان فقيهاً حافظاً ذاكراً للغة والادب نحويا ماهراً درس ذلك كله أول أمره كريم الاخلاق غلب عليه التصوف فشهر به وبمعرفة طريقه الذى ندب فيها أهل زمانه وصنف فيها التصانيف المفيدة

﴿ ترتيب زمانه ﴾

كان يجلس اثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصالحين فيتكلم لهم بما يجريه الله على لسانه وييسره من تفسير وحديث وعظة الى طلوع الشمس فيتنفل صلاة الضحى وينفصل الى منزله ويأخذ فى أوراده من قراءة القرآن والذكر الى صلاة الظهر فيبكر في رواحه ويوالى التنفل الى اقامة الصلاة ثم كذلك فى كل صلاة ويصل ما بين العشاءين بالتنفل هذا دأبه

وكان أمره فى التوكل عجيباً لا يلوى على سبب وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء فيدفع ذلك بجملته وربما كان الطعام بين يديه وهو محتاج فيعرض من يسأله فيدفعه جملة ويبقى طاويا فكان الضعفاء والمساكين له لياذاً ينسلون من كل حدب فلا يرد أحداً منهم خائباً ونفع الله بخدمته وصحبته واستخرج بين يديه علماء كثيرة

﴿ مشيخته ﴾

أخذ القراءة عن أبي عبد الله الحضرمى وأبى الكرم جودى بن عبد الرحمن والحديث عن أبي الحسن بن عمر الوادى آشى وأبى محمد سليمان بن حوط الله والنحو واللغة عن أبي يربوع وغيره ورحل وحج وجاور وتكرر واقى هنالك غير واحد من صدور العلماء وأكابر الصوفية فأخذ صحيح البخارى سماعا منه سنة خمس وستمائة عن الشريف أبى محمد بن يونس وأبي الحسن على بن عبد الله وابن المفربانى نصر بن أبى الفرج الحضرمى وسنن أبى داود وجامع الترمذي عن أبى الحسن بن أبى المكارم نصر بن أبى المكارم البغدادى أحد السامعين على أبى الفتح الكروخى وأبى عبدالله محمد بن مسترى وأبى المعالى ابن وهب بن البنا وبجاية عن أبى الحسن على بن عمر بن عطية

﴿ من روى عنه ﴾

روى عنه خلق لا يحصون كثرة منهم أحمد بن عبد الحميد بن هذيل الغسانى وأبو جعفر بن الزبير وغيره

﴿ تآليفه ﴾

صنف فى طريق التصوف وغيرها تصانيف مفيدة منها مواهب العقول وحقائق المعقول . والغيرة المذهلة عن الحيرة . والتفرقة والجمع . والرحلة المعنوية . ومنها الرسائل فى الفقه والمسائل وغير ذلك

﴿ شعره ﴾

له أشعار فى التصوف بارعة فمن ذلك ما نقلته من خط الكاتب أبى اسحق ابن زكريا فى مجموع جمع فيه الكثير من القول

يضيق علىّ من وجدى الفضاء ويسلبنى من الناس العناء
وأرض الله واسعة ولكن أبت نفسى تحيط بى السماء
رأينا العرش والكرسى أعلا فناديناهما حرم الولاء
فأين الأين منا أو زمان بحيث لنا على الكل استواء
شهدنا للاله بكل حكم فغاب القلب وانكشف الغطاء
ويدعونى الاله اليه حقا فيؤنسنى من الخوف الرجاء
ويقبضني ويبسطني ويقضى بتفريقى وجمعي ما يشاء
....
فكم أخفى وجودى وقت فقدى وكان الفقد والاخفا سواء
بسكر ثم صحو ثم سكر كذاك الدهر ليس له انقضاء
فوصفى حال من وصفى ولكن ظهور الحق ليس له خفاء

اذا شمس النهار بدت تولت نجوم الليل ليس لها انجلاء

ومن شعره

كم عارف سرحت فى العلم همته فعقله لحجاب العقل هتاك
كساه نور الهدى بردا وقلده درا ففى قلبه للعلم اسلاك
كسب ابن آدم فى التحقيق كسوته ان القلوب لانوار واحلاك
كاف فؤادك مايبدى عجائبه ان ابن آدم للاسرار دراك
كيف وكم متى والأين منسلب عن وصف بارئنا والجهل بتاك
كبر وقدس ونزه مااستطعت فلم يصل الى مالك الاملاك أملاك
كرسيه ذل والعرش استكان له ونزه الله أمـــلاك وأفلاك
كل يقر بان العجز قيده والعجز عن درك الادرك ادراك

وقال وهو مما اشتهر عنه وانشدها بعض المشارقة فى رحلته فى غرض اقتضى ذلك يقتضى طولا

يامن أنامله كالمزن هامية وجود كفيه أجري من مجاريها
بحق من خلق الانسان من علق أنظر الى رقعتى وافهم معانيها
اني فقير ومسكين بلا سبب سوى حروف من القرآن أتلوها
سفينة الفقر فى بحر الرجا غرقت فامنن عليها بريح منك تجريها
لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

قال القاضى أبو عبدالله بن عبد الملك وقد ذكره على الجملة فيه . ختم جلة أهل هذا الشأن بصقع الاندلس نفعه الله ونفع به

﴿ مولده ﴾

ولد بجيان سنة ثنتين وستين وخمسمائة أو ثلاث وستين

ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابى بكر التسولى

من أهل تازي يكنى أبا سالم ويعرف بابن أبى يحيى

حاله

من أهل الكتاب المؤتمن . كان هذا الرجل قيما على التهذيب ورسالة ابن ابي زيد حسن الاقراء لهما وله عليهما تقييدان نبيلان قيدهما أيام قراءته اياهما على أبي الحسن الصغير حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الاندلس من فاس ولم أر فى متصدرى بلده احسن تدريسا منه كان فصيح اللسان سهل الالفاظ موفيا حقوقها وذلك لمشاركته الحضر فيما فى أيديهم من الادوات وكان مجلسه وقفا على التهذيب والرسالة وكان مع ذلك شيخا فاضلا حسن اللقاء على خلق بائنة على أخلاق اهل مصره وامتحن بصحبة السلطان فصار يستعمله في الرسائل فمر في ذلك حظ كبير من عمره ضائعا لا في راحة دنيا ولا فى نصيب آخرة ثم قال هذه سنة الله فيمن خدم الملوك ملتفتا الى مايعطونه لا الى ماياخذون من عمره وراحته ان يبوء بالصفقة الخاسرة لطف الله بمن ابتلى بذلك وخلصنا خلاصا جميلا .

ومن كتاب عائد الصلة . الشيخ الحافظ الفقيه القاضي من صدور المغرب له مشاركة فى العلم وتبحر فى الفقه كان وجيها عند الملوك صحبهم وحضر مجالسهم واستعمل فى السفارة فلقيناه بغرناطة واخذنا بها عنه اتام السراوة حسن العهد مليح المجالس أنيق المحاضرة كريم الطبع صحيح المذاهب

﴿ تصانيفه ﴾

قيد على المدونة بمجلس شيخه القاضي ابى الحسن كتابا مفيداً وضم اجوبته على المسائل فى سفر وشرح كتاب الرسالة شرحا عظيم الفائدة .

﴿ مشيخته ﴾

لازم أبا الحسن الصغير وهو كان قارىء كتب الفقه عليه وجل انتفاعه فى التفقه به وروى عن ابى زكريا بن أبى ياسين قرأ عليه كتاب الموطأ الا كتاب المكاتب وكتاب المدبر فانه سمعه بقراءة الغير وعن أبى عبد الله بن رشيد قرأ عليه الموطأ وشفاء عياض وعن أبى الحسن بن عبد الجليل السدواتى قرأ عليه الاحكام الصغرى لعبد الحق وابى الحسن بن سليمان قرأ عليه رسالة ابن ابي زيد وعن غيرهم .

﴿ وفاته ﴾

فلج بآخرة فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان فمن دونه وتوفى بعد عام ثمانية واربعين وسبعمائة

﴿ ابراهيم بن محمد بن على بن محمد بن أبى العاصى ﴾
﴿ التنوخى ﴾

أصله من جزيرة طريف ونشأ بغرناطة واشتهر

﴿ حاله ﴾

من عائد الصلة كان نسيج وحده حياء وصدقة وتخلقا ومشاركة وايثارا

رحل عند استيلاء العدو على جزيرة طريف عام احد وسبعين وستمائة متحولا الى مدينة سبتة فقرأ بها واستفاد وورد من الاندلس مدينة غرناطة وكتب في الجملة عن سلطانها وترقى معارج الرتب حالا مجالا من غير اختلاف على فضله ولا منازع في استحقاقه واقرأ فنونا من العلم بعد مهلك استاذ الجماعة ابي جعفر بن الزبير باشارة منه به ولى الخطابة والامامة بجامعها منتصف صفر عام سبعة عشر وسبعمائة وجمع بين القراءة والتدريس فكان مقرئا للقرآن مبرزا في تجويده مدرسا للعربية والفقه آخذا في الادب متكلما في التفسير ظريف الخط ثبتا محققا لما ينقله والقى الله عليه من المحبة والقبول وتعظيم الخلق مالا عهد بمثله لاحد بلغ من ذلك مبلغا عظيما حتى كان أحب الى الجمهور من اوصل أهليهم وآبائهم يتزاحمون عليه في طريقه ويتمسحون به ويسعون بين يديه ومن خلفه يتزاحم مساكينهم على بابه قد عودتهم طلاقة وجهه ومواساته لهم بقوته يفرقه عليهم متى وجده وربما اعجلوه قبل استواء خبزه فيفرقها عليهم عجيناً له في ذلك أخبار عجيبة وصار صادعا بالحق غيورا على الدين مخالفا لاهل البدع ملازما للسنة كثير الخشوع والتخلق على علو الهمة مبذول المشاركة للناس والجد في حوائجهم مبتلى بوسواس في وضوئه يتحمل الناس من اجله مضضا في تأخير الصلوات ومضايقة أوقاتها

﴿ مشيخته ﴾

قرأ ببلده على الخطيب القاضي المغربي ابي الحسن عبيد الله بن عبد العزيز القرشي المعروف بابن القارئ من أهل اشبيلية وقرأ بسبتة على استاذ المقرئين لكتاب الله ابي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيب بن زرقون القيسي الضرير نزيل سبتة والاستاذ ابي اسحاق الغافقي المربوني وقرأ على الشيخ الوزير

أبى الحكم بن منظور القيسى الاشبيلى وعلى الشيخ الراوية الحاج ابى عبد الله محمد بن محمد الكتامي التلمسانى بن الخضار وقرأ بغرناطة على الاستاذ أبى جعفر ابن الزبير واخذ عن ابى الحسن بن مستغور

﴿ شعره ﴾

كان يقرض شعرا وسطا قريباً من الانحطاط قال شيخنا الوزير ابو بكر ابن الحكيم فى كتابه المسمى بالفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة كتب اليه شيخنا وبركتنا أبو جعفر بن الزيات فى شأن شخص من أهل البيت النبوى بما نصه

رجل يدعي القرابة للبيت وان الثريا منه بمنزل
سال منى خطابكم وهو هذا واليكم فى القلوب ارفع منزل
فهبونى دعاءكم وامنحونى منه حظا ينمى الثواب ويجزل
وعليكم تحية الله مادا م امير الهدى يولى ويعزل

فاجابه

يا امامى ومن به أتغزل ذاك حادي البلاد اطيب منزل
لم اضع ما انظمتم من يدى حتى انيل الشريف بخطة وبمنزل
وحباه بكل منح جزيل من غدا يمنح الثواب ويجزل
دمتم تنشرون علما ثواب الله فيه لكم اعز واجزل
تذكرون الله ذكراً كثيرا وعليكم سكينة الله تنزل
وطلبتم منى الدعاء وانى عند نفسى من الشروط بمعزل
لكن ادعو وانتدع لى برضا الله وابدى فى فهم ذكر قد انزل
وحديث الرسول صلى عليه كل وقت ربنا الغيث ينزل

وعليكم تحيتي كل حين ما اطمأنت بمكة ام معزل

قال ومما انشدني من نظمه ايضاً في معرض الوصية للطلبة

اعمل بعلمك تؤت علما انما عدوى علوم المرء منح الاقوم

واذا الفتى قد نال علما ثم لم يعمل به فكأنما لم يعلم

وقال موطئاً على البيت الاخير

أمولاى انت الغفور الكريم ببذل النوال مع المعذره

علىّ ذنوب وتصحيفها ومن عندك الجود والمغفرة

اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف
ابن محمد بن احمد بن نصر بن قيس الانصارى
(الخزرجى أمير المؤمنين بالاندلس رحمه الله)

أوليته

تقرر عند ذكر الملوك من قومه فى اسم جده امير المسلمين ابى عبد الله الغالب بالله

من طرف العصر . فى تاريخ دولة بنى نصر . . من تصنيفنا كان رحمه الله حسن الخلق جميل الرواء حرا سليم الصدر كثير الحياء صحيح العقل ثبتاً فى المواقف عفيف الازار ناشئاً فى حجر الطهارة بعيداً عن الصبوة بريئاً من المعاقرة نشأ مشتغلا بشأنه متبنكا نعمة أبيه مختصاً بآثار السلطان جده أبى

أمه وابن عم والده منقطعا الى الصيد مصروف اللذة الى استجادة سلاحه وانتقاء مراكبه واستفراه جوارحه الى ان افضى اليه الامر وساعدته الايام وخدمه الجد وتنقل الى بيته الملك وثوي فى عقبه الذكر فبذل العدل فى رعيته واقتصد فى جبايته واجتهد فى مدافعة عدو الله وسد ثلم ثغوره فكان غرة فى قومه ودرة فى بيته وحسنة من حسنات دهره وسيرد نبذ من أحواله مما يدل على فضل جلاله

﴿ صفته ﴾

كان معتدل القد وسيم الصورة عبل اليدين أبيض اللون كثير اللحية بين السواد والصهوبة انجل أعين افوه مليح العين اقنى الانف جهير الصوت أمه الحرة الجليلة العريقة في الملوك فاطمة بنت أمير المؤمنين ابى عبد الله نخبة الملك وواسطة العقد وفخر الحرم البعيدة الشأو في العز والحرمة وصلة الرحم وذكر التراث واتصلت حياتها ملتمسة الرأى برنامجا للفوائد تاريخا للانساب الى ان توفيت فى عهد حفيدها السلطان أبى الحجاج رحمه الله وقد أنفت على تسعين من السنين فكان الحفل فى جنازتها موازيا لمنصبها ومتروكها المفضى اليه خطيره وقلت فى رثائها

نبيت على علم بغائلة الدهر ... ونعلم ان الخلق في قبضة القهر
ونركن للدنيا اغترارا بزهوها ... وحسبك من يرجو الوفاء من الغدر
ونمطل بالعزم الزمان سفاهة ... فيوم الى يوم وشهر الى شهر
وتغرى بها النفس المطامع والهوى ... ونرفض ما يبقى فيا ضيعة العمر
هو الدهر لا يبقى على حدثانه ... جديد ولا ينفك من حادث نكر
وبين الخطوب الطارقات تفاضل ... كفضل من اغتالته فى رفعة القدر

ألم تر ان المجد أقوت ربوعه ... وصوح من ادواحه كل مخضر
ولاحت على وجه العلاء كآبة ... فقطب من بعد الطلاقة والبشر

وثبت اسمها في الوفيات من الكتاب المذكور بما نصه

السلطانة الحرة الصالحة الطاهره فاطمة بنت أمير المسلمين أبى عبد الله ابن أمير المؤمنين الغالب بالله بقية نساء الملوك الحافظة لنظام الامارة رعيا للمتات وصلة للحرمة واسداء للمعروف وسترا للبيوتات واقتداء بسلفها الصالح فى نزاهة النفس وعلو الهمة ومتانة الدين وكشف الحجاب ونفاذ العزم واستشعار الصبر توفيت فى كفالة حفيدها أمير المسلمين أبى الحجاج مواصلا برها ملتمساً دعاءها مستفيداً تجربتها وتاريخها مباشراً مواراتها بمقبرة الجنان داخل الحمراء سحر يوم الاحد السابع لذى حجة عام تسع واربعين وسبعمائة

﴿ أولاده ﴾

خلف من الاولاد أربعة اكبرهم محمد ولى الامر من بعده وفرج شقيقه التالى له بالسن المنصرف عن الاندلس بعد مهلك أخيه المذكور المتقلب فى الايالات الهالك آخراً في سجن قصبة المرية عام أحد وخمسين وسبعمائة مظنوناً به الاغتيال ثم أخوه أمير المسلمين أبو الحجاج تغمده الله برحمته اقعد القوم في الملك وابعدهم أمراً في السعادة ثم اسماعيل أصغرهم سناً المبتلى زمان الشبيبة فى الثقاف المخيف مدة أخيه المستقر الآن مودعاً مرفوداً بقصر المستخلص من ظاهر شالوبانية وبنتين ثنتين من حظيته علوة عقد عليهما أخوهما أبو الحجاج من رجلين من قرابته

﴿ وزراؤه ﴾

توزر له أول أمره القائد البهمة أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الفهرى وبيت

هؤلاء القواد شهير ومكانتهم من الملوك النصريين مكينة أشرك معه في الوزارة الفقيه الوزير أبو الحسن علي بن مسعود بن علي بن مسعود المحاربي من أعيان الحضرة وذوي النباهة فجاذب رفيقه حبل الخطة ونازعه لباس الحظوة حتى ذهب باسمها ومسماها وهلك القائد أبو عبد الله بن أبي الفتح فخاص له شربها وسيأتي التعريف بكل على انفراده

﴿ كتابه ﴾

كتب له لأول أمره بمالقة ثم بطريقه الى غرناطة وأياماً يسيرة بها الفقيه الكاتب أبو جعفر بن صفوان المتقدم ذكره كاتب لدولة قبل شيخنا أبو الحسن بن الجياب فاضل الخطة وباري القدس واقتصر عليه الى آخر أيامه

﴿ قضاته ﴾

استقضى أخا وزيره الشيخ الفقيه أبا بكر بن يحيي بن مسعود بن علي رجل الجزالة وفصل الحكم فاشتد في اقامة الحكم وغلظ بالشرع واستهان بالجاه فخيفت سطوته واستمر قاضياً الى آخر أيامه

﴿ رئيس جنده الغربي ﴾

الشيخ البهمة لباب قومه وكبير بيته أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء ادريس ابن عبد الله بن عبد الحق مشاركاله في النعمة ضاربا بسهم في المحنة كثير التحني والدولة الى ان هلك المخلوع وخلا الجو فكان منه بعض الاقصار

﴿ الملوك على عهده ﴾

وأولى بعدوة المغرب كان على عهده من ملوك المغرب السلطان الشهير جواد الملوك الرحب الجفان الكثير الامل حدل العافية ومحالف الترفية مفخم النعيم السعيد على خاصة وعامة أبو سعيد عثمان بن السلطان

الكبير المجاهد المرابط ابي يوسف ابن عبد الحق وجرت بينه وبينه المراسلات واتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه وصدرا من ايام ولده ابي عبد الله حسبما مر عند ذكره

وبمدينة تلمسان وطن القبلة الامير ابو حمو موسى ابن عثمان بن يغمراسن بن زيان ثم توفى قتيلا على عهده بأمر ولده سادس جمادى الثانية من عام ثمانية عشر وسبعمائة وولى الامر قاتله ولده المذكور واستقرت ايام ولده المذكور الوالى بعده الى ان هلك فى صدر أيام ابي الحجاج وجرت بينه وبين الامير مراسلات وهدايا

وبمدينة تونس الشيخ الملقب بأمير المسلمين ابو يحي زكريا بن أبي حفص المدعو باللحياني الواثب بها على الامير أبي البقاء خالد بن ابى زكريا بن ابي حفص وهو كبير الا أن أبا حفص اكبر سناً وقدراً وقد تملك تونس تاسع جمادى الآخرة من عام ظهر له من اضطراب بها احد عشر وسبعمائة وتم له الامر واعتقل اباالبقاء بعد خلعه ثم اغتاله فى شوال من عام ثلاثة عشر وسبعمائة ثم رحل عن تونس لما ظهر له من اضطراب أمره بها وتوجه الى طرابلس في وسط عام خمسة عشر واستناب صهره الشيخ أبا عبد الله بن ابي عمر ولم يعد بعد اليها ثم اضطرب أمر افريقية وتناوبه عدة من الملوك الحفصيين منهم الامير ابو عبد الله بن ابي عمر المذكور وابو عبد الله بن اللحياني والسلطان ابو بكر ابن الامير ابى زكريا بن الامير ابي اسحق لبنة تمامهم وآخر رجالهم واستمرت ايامه الي ايام ولده الامير بالاندلس معظم ايام ولديه رحم الله الجميع

ومن ملوك الروم بقشتالة كان على عهده مقروناً بالعهد القريب من ولايته

الطاغية هردانه بن شانجة بن الهنشة بن هراندة المجتمع له ملك قشتالة وليون وهو المتغلب على اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان بن الهنشة الذي جرت له وعليه هزيمة الاراك والعقاب بن شانجة المسمى أرشدون وهو الذي افرد صهره زوج بنته بملك برطال الى اجداد يخرجنا تقصي ذكرهم عن الغرض ٠ ومن ملوك أرغون بشرق الاندلس الطاغية جامس بن بطرة بن جامس الذى تغلب على بلنسية بن بطرة بن الهنشة الى اجداد عدة كذلك ثم هلك فى أخريات ايامه فولى ملك رغون بعده الهنشة بن جامس الى آخر أيامه

وببرطال الهنشة بن يومس بن الهنشة بن شانجة بن الهنشه بن شانجة ابن الهونشة ويسمي أولاً دوقاد

﴿ ذكر تصيير الامر اليه ﴾

لما ولى الامر بالاندلس حرسها الله السلطان ابو الجيوش نصر ابن السلطان ابي عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله ابي عبد الله بن نصر يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة بالهجوم على اخيه عبد الله الارمد المقعد الامر في كن بيته واغتيال ابن الحكيم وزيره ببابه والاشادة بخلعه حسبما يأتي فى موضعه استقر الامر على ضعف اخيه وسارع دخلته فساءت السيرة بمنافسة الخاصة وكان الرئيس الكبير عميد القرابة وعلم الدولة ابو سعيد فرج بن عم السلطان المخلوع واخيه الوالى بعده راسخاً قدمه وعرفه بمثوبة الموارث ولنظره عن أبيه المسوغ عن جده مالقة وما اليها ولنظره مدينة سبتة المضافة الى ايالة المخلوع عن عهد قريب قدافرد بها ولده المترجم وجميعهم تحت طاعته فى زمن انقياد بيوع الدولة بل مدة سرورها لما شاء عز وجل من احتوائهم فى حبل هذا الدائل يتعقبون على

الرئيس الكبير أموراً تثيرا احنة الصدور وتستدعى رفض الطاعة وتحتوي على مظنات جملة واحترسوا صافيات منافعه واوعزوا الى ولاة الاعمال بالتضييق على رجاله سنة بسنة عن نظره ولما بادر الى الحضرة لاعطاء صفقة البيعة وتهنئة السلطان نصر عن روحه وابن عمه على عادته داخله بعض ارباب الامر محذراً ومشيراً بالامتناع ببلده والدعاء لنفسه ووعده بما فى وسعه فاستعجل الانصراف الى بلده ولم تمض الا برهة واشتعلت نار الفتنة وهاجت مراجل الحفيظة فتلاحق به ولده واظهر الانفراد والاستبداد فى سابع عشر رمضان من هذا العام واقام ولده اسماعيل برسم الملك والسلطان ورتب له قباب الملك ودون ديوان الملك بجيشه ونازل حضرة تنتيرة وناصبها القتال فتملكها ودخلت المرية في طاعته وتحرك الى باش فنازلها ونصب عليها المجانيق فدانت فضخمت الدعوة وتمكنت الجباية والتف لديه من مساعير الحروب ومن اجاب وتحرك الى غرناطة فى اول شهر محرم عام اثني عشر وسبعمائة ونزل بقرية العطشا وبرز السلطان نصر فى جيش خشن مستجمع العدة وافر الرحيل فكان اللقاء ثالث عشر الشهر فظهر اقل الفئتين وجرت الهزيمة على الجيش الغرناطى وكبا بالسلطان نصر فرسه فى مجرى سقى بعد الفدن فنجا بعد اللأى ودخل البلد مفلولا وانصرف الجيش المالقي ظاهراً الى بلده وطال بالرئيس وولده الامر وضرستهما الفتنة وعظم احتياجه الى المال وكادت تفضحه المطاولة وزاحمه الملك بمكلف ضخم فاقتضى ذلك اذعانه الي الصلح واصغاؤه الى المهادنة على سبيله من المقام ببلده مسلما للسلطان في جبايته وطاوعه في رئاسته وارزاق جنده فتم ذلك في ربيع الاول الاول من العام المذكور ثم لقحت فتنة في العام بعد فعادت جذعة وكانت

ثورة الاشياخ في غرناطة في رمضان من العام المذكور هاتفين بخلع السلطان وطاعة مخلوعهم وطالبين منه اسلام وزيره جذل الروم المبهم على الاسلام ابى عبد الله بن الحاج ثم لحق زعماؤهم بمالقة عند اختلال ماأبرموه فكانت الحركة الثانية لغرناطة بعد أمور اختصرتها من استبداده بأمره والانحطاط فى القبض على ابيه الى هوى جنده والتصميم فى طلب حقه فاتصل سيره واحتل بلوشة سرار شوال فتملكها ورحل قافلا الى وطنه طريد كلب الشتاء وافر الخزانة واقتضى الرأى الفائل ممن له النظر الخاص من زعيم شيوخ جندها اتها ماله بالصناعية فسجنه ثم بدا له في امره فسرحه بعد استدعاء يمينه فوغرت صدور حاشيته وتبعهم من كان على مثل رأيهم وهو شوكة حادة فصرفوا الوجوه الى السلطان المقبل الحظ المحبوب اليه هوى الملك فما راعه ثانياً من عنانه باحواز وجدونة الا تثويب داعيهم فكر الي المدينة وبرز اليه جيشها ملتفا على عبد الحق بن عثمان فابلى وصدق الحملة فكادت تكون الدائرة ولولا ثبوت السلطان لما استقبلت باسهم الحملة فولوا منهزمين وتبعهم الى سور المدينة وقد خفت اللفيق والغوغاء الناعقون بالخلعان الشرهون الى تبديل الدعوات وتسنم المآذن والمنارات والربا وبرز أهل ربض البيازين الهافون الى مثل هذه البوارق الى شرف ربوتهم كل يشير مستدعيا اعلاناً بسوء الجوار وملل الايالات والانحطاط بعد التلون والتقلب وسآمة العافيه شنشنة معروفة . وخليقة فى الخلق مألوفة . وبودر غلق باب البيرة ففض قفله ودخلت المدينة وجاء السلطان الى معقل الحمراء باهله وذخيرته وخاصته وبرز السلطان ابو الوليد بالقصبة القدماء بجاهها بالدار الكبري المنسوبة لابن المول ينفذ الصكوك ويدفع العفو ويؤلف

الشارد وضعفت بصائر المحصورين وفشلوا على وجود الطعمة ووفور المال وتمكن المنعة فالتمسوا لهم ولسلطانهم عهداً نزلوا به منتقلين الي مدينة وادى آش فى سبيل العوض بمال معروف وذخيرة موصوفة وتم كذلك وخرج السلطان رحمه الله مخلوعا سابه القرار . جانيا على ملكه الا خابيث الاعمار . فى ليلة الثامن والعشرين من شوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة واستقر بها موادعاً مرة ومحاربا أخرى الى أن هلك حسبما يأتي ذكره وخلا للسلطان الجو وصرفت اليه المقادة وأطاعه القاصي والدانى ولم يختلف عليه اثنان والبقا مختص بالله وحده .

﴿ مناقبه ﴾

اشتد رحمه الله على أهل البدع وقصر الخوض على من تفطر اليه الملة ولقد ذكر بين يديه أهل البيت فبذل فى فدية بعضهم ما يعز بذله ونقل منهم بعضاً من حروب جيشه فزعموا انه رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فشكر له ذلك واشتد فى اقامة الحدود واراقة المسكرات وحظر تجلي القينات للرجال في الولائم وقصر طربهن على اجناسهن من الناس وأخذ لليهود الذمة بالتزام سيمة تميزهم واشارة تشهرهم وليوفي حقهم من المعاملة التى أمر بها الشرع فى الخطاب والطرق وهو شواشي صفر .

ولقد حدث من يخف حديثه من الشيوخ أولى المجانة والدعابة قال كنا عاكفين على راح وبرأسى شاشية ملف حمراء فحاول أصحابى إنامتي حتى امكن ذلك وبادروا الى رقاع من ثوب أصفر فصنعوا منها شاشية ووضعوها في رأسى مكان شاشيتي وأيقظوني فقمت لشأني وقد خبأوا ثمنا لشراء بقل وفاكهة وجهزوني لشرائه فخرجت حتي اتيت دكان السوق فساومته فلما نظر الىّ قال

لصاحبه جزي الله هذا الامير خيراً والله لقد كنت أبادر هذا اللعين بالسلام عند لقائه أظنه مسلما وبصق عليَ فهممت ان اوقع به ثم فطنت للحلية فنزعتها وبادرت فأوسعتهم ذما وعظم خجلي وسبقني اليهم عين لهم علي فكان منهم الضحك عند دخولي ومناقبه كثيرة

﴿ جهاده وبعض الاحداث فى مدته ﴾

والتاثت الامور في مدته فجرت على جيشه بمظاهرة جيش المخلوع بجيش الروم الهزيمة الشنيعة بوادى فرتونة اوقع بهم الطاغية بطرة كافل ملك الروم المملك صغيرا على عهد ابيه وعمه الذاب عنه ففشا فى الاعلام القتل وذلك فى صفر من عام ستة عشر وسبعمائة وظهر العدو بها على حصن منتماس وحصن بجيج وحصن طشكر وثغرروط ثم صرفت المطامع عزمه الى الحضرة فقصد مرجها وكف الله عاديته وقمعه ونصر الاسلام عليه ودالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمسرج من ظاهر غرناطة على بريد منها واستولى على محلاته النهب وعلى فرسانه ورجاله القتل وعظم الفتح وبهر الصنع وطار الذكر وثاب السعد وكانت الوقيعة سادس جمادي الاولى من عام سبعة عشر وسبعمائة وفى ذلك يقول كاتبه شيخنا أبو الحسن ابن الجياب .

الحمد حق الحمد للرحمن ... كافى العدو وناصر الايمان

ومكيف الصنع الكريم ودافع الـ ... خطب العظيم وواهب الاحسان

فى كل أمر للمهيمن حكمة ... أعيت على الافكار والاذهان

واستقر ملكهم القتيل بأيدى المسلمين بعد فرارهم فجعل فى تابوت خشب ونصب على سور المنازل من الحمراء بيسار الداخل بباب يعقوب من ابوابها اذاعة للشهرة وتثبيتا لتخليد الفخر

ومن الغريب أنى فى هذه الايام بعد خمسين سنة تماما تفقدت ذلك المكان فى بعض ماأباشره ايام نيابتى عن السلطان بدار ملكه على عادتى فالفيته قد علا عليه كوم من الحجارة برجم الصبيان فظهر لى تجديد الاشادة به والاستفتاح بوقوع مثله ولما كشف عن الرمة لتنقل الى وعاء ثان الفى ببعض القطن العريض منها سنان مرهب ثبت فى العظم انتزع منه وقد غالبتني الرقه والاجهاش وقلت اللهم ادخل رضوانك لمن وضع فى هذه الرمة الطاغية سنان جهادك الى اليوم واثبه وارفع درجته انك أهل لذلك .

« رجع » واستقامت الايام وهلك المخلوع وصفا الجو واتحدت الكلمة وامكن الجهاد فتحرك في شهر رجب من عام أربعة وعشرين وسبعمائة واعمل القصد الى بلاد العدو ونازل حصن اشكر الشجا المعترض فى حلق بسطة فأخذ بمخنقه ونشر الحرب عليه ورمى بالآلة العظمي المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق البرج المنيع من معقله فاندفمت يتطاير شررها واستقرت بين محصوريه فعاثت عيات الصواعق السماوية فألقى الله الرعب فى قلوبهم واتوا بايديهم ونزلوا قسرا على حكمه فى الرابع والعشرين من الشهر وأقام بظاهره فصيره دار جهاد وعمل في خندقه بيده وانصرف فكانت غزاة جمة البركة عظمت بها على الشرق الجدوى وأنشد الشعراء فى هذه الوجهة قصائد اشادة بفضلها واشهارا من ذكرها فمن ذلك عن كاتب سره قوله

أما مداك فغاية لم تلحق ... أعيت على غر الجياد السبق

ورفع اليه شيخنا الحكيم أبو زكريا بن هذيل قصيدة أولها

يحث القباب الحمر والاسد الورد ... كتائب سكان السماء لها جند

أنشدنى منها فى وصف النفط قوله

وظنوا بان الصعق والرعد في السما ❊ فخاق بهم من دونها الصعق والرعد
غرائب أشكال سما هرس بها ❊ مهندة تأت الجبال وتنهد

وفي العاشر لشهر رجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة تحرك للغزو وبعد أخذ الاهبة والاستكثار والاجتهاد للمطوعة وقصد مدينة مرتنش العظيمة الطيبة البقعة فاضطرب بها المحلات وانعقد اجماع الناس فصوب الحشود ووجهها الى بابها من بحر الكروم الملتفات وأدواح الاشجار فامعنوا فى افسادها وبرز حاميتها فناشب الناس القتال فحميت النفوس وأريد منع الناس فأعيا أمرهم وهال منهم البحر فتعلقوا بالاسوار وقيل للسلطان بادر الركوب فقد دخل الربض فركب ووقف بأزائها فدخل البلد عنوة واعتصم أهلها بالقصبة فدخلت أيضاً عنوة وانطلقت أيدي الغوغاء على من بها من ذكر وأنثى كبيراً أو صغيراً فساءت القتلة وقبحت الاحدوثة وقفل الى غرناطة بنصر لا كفاء له فكان دخوله من هذه الغزوة فى الرابع والعشرين لرجب المذكور

❊ وفاته ❊

ولما انفصل من مرتنش نقم على أحد الرؤساء من قرابته وهو ابن عمه محمد بن اسماعيل المعروف بصاحب الجزيرة أمراً تقرعه عليه وبالغ فى الاهمال له وتوعده بما أثار حفيظته فأقبل عليه بالفتكة الشنعاء التى ارتكبها منه بباب قصره بين عبيده وأرباب دولته آمن ما كان سربا وأعز سلطانا وجنداً وذلك يوم الاثنين ثالث يوم دخوله من مرتنش بعد ان عاهد فى الامر جملة من القرابة والخدم فوثب به وهو مجتاز بين سماطين من ناسه الى مجلس كان يجلس فيه للناس فاعتنقه وانتضى خنجراً كان ملصقاً فى ذراعه فاصابه بجراحات ثلاثة أحدها من عنقه باعلى ترقوته فخر صعقاً فصاح بكر وزيره فملته

سيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك ووقعت الرجة وسلت السيوف واشتغل كل بما يليه واستخلص السلطان من يديه وحيل بينه وبينه حين تشاغل الناس بالوزير ورفع السلطان وظن انه قد أفلت جريحاً فوقع البهت وبادروا الفرار فسدت المذاهب فقتلوا حيث وجدوا وأخذت الظنة قوما من أبريائهم فامتحنوا ونهب الغوغاء دورهم وعلقت بالجدران أشلاؤهم وكان يوما عظيما وموقفاً صعبا واحتمل السلطان الى بعض دور قصره وبه صبابة روح أشبه شيء بالعدم للزوق طيّ العمامة بفم شريانه المبتور ففاض لحينه بنفس زوال العمامة رحمه الله وكان من أخذ البيعة لولده الامير أبي عبدالله من بعده ماهو معروف فى موضعه ودفن غلس ليلة الثلاثاء ثاني يوم وفاته بروض الجنة من قصره الى جانب جده وتنوهي الاحتفال بقبره نقشاً وتحبيرا واحكاما وحلياً وتمويهاً يشق على الوصف وكتب بازاء رأسه فى لوح من الرخام مانصه من كلام شيخنا بعد سطر الاستفتاح .

هذا قبر السلطان الشهير فتاح الامصار . وناصر ملة المصطفى المختار . ومحيي سبيل آبائه الانصار . الامام العادل . الهمام الباسل . صاحب الحرب والمحراب . الطاهر الاثواب والانساب . أسعد الملوك دولة . وأمضاهم فى ذات الله صولة . سيف الجهاد . ونور البلاد . ذى الحسام المسلول فى نصرة الايمان . والفؤاد المعمور بخشية الرحمن . المجاهد فى سبيل الله . المنصور بفضل الله . أمير المسلمين أبى الوليد ابن الهمام الأعلى الطاهر الذات والنجار . الكريم المآثر والآثار . كبير الامامة النصرية . وعماد الدولة الغالبية . المقدس المرحوم أبى سعيد فرج بن علم الاعلام . وحامى حمى الاسلام . صنو الامام الغالب . وظهيره العلى المراتب . المقدس المرحوم أبي الوليد اسماعيل بن نصر . قدس الله روحه الطيب .

وأفاض عليه من رحمته الصيب. ونفعه بالجهاد والشهاده. وحياه بالحسنى والزيادة. جاهد فى الله حق الجهاد. وصنع الله له في فتح البلاد. وقتل من كبار الاعداد. ما يجده مؤخراً ليوم التناد. الى أن قضى الله بحضور أجله. فختم عمره بخير عمله. وقبضه الى ما أعد له من كرامته وثوابه. وغبار الجهاد طيّ أثوابه. فاستشهد رحمه الله شهادة أثبتت له فى الشهداء من الملوك قدماً. ورفعت له في السعادة علما

ولد رحمه الله ورضى عنه في الساعة المباركة بين يدى الصبح من يوم الجمعة سابع عشر شوال عام سبعة وسبعين وستمائة وبويع يوم الخميس السابع والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة واستشهد فى يوم الاثنين السادس والعشرين لشهر رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة فسبحان الملك الحق الباقى بعد فناء الخلق. وبعده من جهة اللوح الأخير

تخص قبرك يا خير السلاطين تحيةً كالصبا مرّت بدارين

قبر به من بني نصر امام هدى عالى المراتب في الدنيا وفى الدين

أبو الوليد وما أدرك من ملك مستنصر واثق بالله مأمون

سلطان عدل وبأس غالب وندى وفضل تقوى وأخلاق ميامين

لله ما قد طواه الموت من شرف وسر مجد بهذا اللحد مدفون

ومن لسان بذكر الله منطلق ومن فؤاد بحب الله مسكون

أما الجهاد فقد أحيي معالمه وقام منه بمفروض ومسنون

فكم فتوح له تزهو المنابر من عجب بهن وأوراق الدواوين

مجاهد نال من فضل الشهادة ما يجرى عليه بأجر غير ممنون

قضى كعثمان فى الشهر الحرام ضحى وفاة مستشهد بالدار مطعون

في عارضيه غبار الغزو تمسحه ❊ في جنة الخلد أيدي حورها العين
يسقى بها عين تسنيم وقاتله ❊ مردد بين زقوم وغسلين
تبكى البلاد عليه والعباد معاً ❊ فالخلق ما بين أحزان أفانين
لكنه حكم رب لا مردّ له ❊ محتم الجزم بين الكاف والنون
ورحمة الله رب العالمين على ❊ سلطان عدل بهذا القبر مدفون

﴿ بعض مارثي به نخيمة المسلمين ﴾

لما ثكلوا من جهاده وعزمه وبلوه من سعده وعز نصره فكثرت فيه المراثي وتراهنت في شجوه القرائح . وبكاه الغادى والرائح . فمن المراثى التى أنشدت على قبره قول كاتبه أبى الحسن بن الجيات

أيا عبرة العين امزج الدمع بالدم ❊ ويازفرة الحزن احكمى وتحكمي
وياقلب ذب وجداً وغماً ولوعة ❊ فان الاسى فرض على كل مسلم
ويا سلوة الايام لا كنت فابعدى ❊ الى حيث القت رحلها أم قشعم
وصح ياأ ناة الصبر سحقاً تأخرى ❊ وقل لشكاة الحزن أهلا تقدمى
ولم لا وشمس الملك والمجد والهدي ❊ ومفتاح أبواب الندى والتكرم
ثوى بين أطباق الثرى رهن غربة ❊ وحيداً أصابته الليالى بأسهم
على مالك الاسلام فاسمح بزفرة ❊ تساقط درا بين فذ وتوأم
على عالم الاعلام والقمر الذى ❊ تجلى بوجه العصر غرة أدهم
على واحد الاملاك غير منازع ❊ اصالة أعراق وفضل تقدم
ومن مثل اسماعيل نوراً لمهتد ❊ وبشرى لمكروب وعفو المجرم
ومن مثل اسماعيل للباس والندى ❊ لاصراخ مذعور واغناء معدم
ومن مثل اسماعيل للحرب يجتنى ❊ به الفتح من غرس القنا المتحطم

ومن مثل اسماعيل سهم سعادة — أصاب به الاسلام شاكلة الدم
شهيد سعيد صبحته شهادة — تبوأ منها فى الخلود التنعم
أتت وغبار الغزو طى ثيابه — ظهير أمان من دخان جهنم
فتبا لدار لا يدوم نعيمها — فما عرسها الا طليعة مأتم
ولا أنسها الا رهين بوحشة — ولا شهدها الا مشوب بعلقم
فيامن يرى الدنيا مجاجة نحلة — الا فاعتبرها فهى بنت لأرقم
فمن شام منها اليوم برق تبسم — ففي الغد تلقاه بوجه محطم
فضاحكها باك وجذلانها شج — وطالعها هاو ومبصرها عمي
وسراؤها بؤس وضراؤها معاً — فكلتاهما طيف الخيال المسلم
سطت بملوك الارض من بعد آدم — تبدد منهم كل شمل منظم
فكم من قصير قصرت شأو عمره — فخر صريعاً لليدين وللفم
وكم كسرت كسرى وفضت جيوشه — فلم تحمه منها كتائب رستم
ولو انها ترثى امام هداية — لاعفت علينا من حسام ابن ملجم
وما قتلت عثمان فى جوف داره — فقدس من مستسلم ومسلم
وما مكنت فيروز من عمر الرضى — فهدت من الاسلام أرفع معلم

الى آخرها . وتضمن اجمال ما ذكر من ذلك التاريخ المسمي بقطع السلوك المنظوم رجزا من تأليفى بما نصه

وعند ما خيف انتشار الملك — ووزر الروم وزير الملك
تدارك الامر الامام الطاهر — فعالج الداء طبيب ماهر
وهو أبو الوليد اسماعيل — والشمس لا يفقدها دليل
ابن الرئيس الماجد الهمام — فرد العلا وعلم الاعلام

وجده صنو الامام الغالب مناقب كالشهب الثواقب
فقاد من مالقة الجنودا ونشر الاعلام والبنودا
وعاد نصر بعدے حمرائه أتى وأمر الله من ورائه
نخلع الامر وألقى باليد من بعد عهد موثق مؤكد
وسار فى الليل الى وادى لاشا والملك لله يعز من يشا
ولم يزل بها الى ان باتا وطاف الدنيا به بتاتا
واتسق الامر وقر الملك وربما جر الحياة الهلك

ومن الرجز المذكور فى وصف جهاده ومقتله

وكان يوم المرج فى دولته ففرق الاعداء من صولته
وفتح المعاقل المنيمة وابتهجت بعدله الشريعة
وانتبه الدهر له من نومه على يدى طائفة من قومه
بكى عليه الحرب والمحراب وندبته الضمّر العراب

اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر

السلطان الذى احتال على أخيه المتوثب على ملكه يكني أبا الوليد

حاله

كان صبيا كما اجتمع وجهة بادنا دمث الخلق لين الجانب شديد البياض كثيف الحاشية متصلا بالجفوة لطول الحجبة وبعد التمرن والحنكة

غرا فاقداً لحسن الادب عريقة الفاظه فى العجمة تصير الامر الى أخيه السلطان خيرتهم ولباب بيتهم يوم قتل أبوهما وله مزية السن والرجاحة والسكني بمحل وفاة الاب فابقي عليه واسكنه بعض القصور لصقطه ولم يضايق امه فيما استأثرت به من بيت المال اذ كان اقليده فى يدها وبيضاؤها وصفراؤها فى حكمها ورفه متبوأه واستدعى له ولاخيه المعلم الذى كان السبب فى افاتة ارماقهما واعدام حياتهما الشيخ السفلة محمد البطروحي البائس قرد ذلك السرب فاستمرت أيام احتجابه وانتظاره على قصره الى رمضان من عام ستين وسبعمائة وحرك سماسرة الفتنة له ولأمه جواز الطمع فى الملك وذنوا لها حتى رقصت على أعقابهم وخفت الى مواعدهم وشمروا الى خلاص الامر واحام الوثبة صهره الرئيس أبو هود حلف الشوم زوج اخته محمد بن اسماعيل الشهير الكائنة المذكور فى موضعه من حرف الميم فسيرت امه له المال فبثه في الدعرة والشرار حتى تم غرضه واقتحم القلعة من بعض اسوارها البالية وقد هدم منها شئ في سبيل اصلاحه ليلة الاربعاء الثامن والعشرين لرمضان من عام ستين وسبعمائة والسلطان ليلئذ غير حال بها فلؤوها لجبا ولغطا وصراخا وهولا وتنوروا فى جملة تناهز المائة وانضاف اليهم اخوان رأيهم من حرسها وسكانها فابلس الناس وسقط فى أيديهم واهدى الليل فتكة هائلة وهماء شنيعة فاقتصر كل على النظر لنفسه وانقسموا فرقتين قصدت احداهما دار كبير الدولة وقيوم التفويض وشيخ رجال الملك رضوان المستبد باحالة كورتها الشيخ الذهول معزوز القدر ورائب النكسة وممود الاقالة وجرار رسن الاطواد وطود الامل الماشي على خد الدنيا المغضوض البصر عن النظر المستهين بكل سبة وحية تسمى المعول على نظره وقوة سمده واجابة دعوته مع كونه نسيج وحده فى عفافه

وديانته ورضى الناس به وسقوط منافستهم من أجله وايوائهم الى لفظه وبساط معاملته وصحة عقده فما لجو بابه طويلا وتولجوا داره وقتلوه بين أهله وولده. وقصدت الاخرى دار الامير المترجم به وممهاصهره فاخرجوه وأركبوه على فرس مرتعد الفرائص منتقع اللون مختلط القول تحف به داياته بين مولولة وتافلة ومعوذة قد جعلوا له سيفا مصلتا على سبيل اللواعب بالنصول والرواقص فى مدارج اللهو واستخرجت طبول الملك. فقرعت وقيدت الخيل من مرابطها فركبت. وقصدت الخزائن السلاحية ففرقت. وتم الامر وحل من الريب على دار الامارة القصد وخرجت الكتب الى البلاد والقواعد فالقت باليد امهاتها لقطع من بها من اولى الامانة بتمام الامر وهلاك السلطان فتم له الامر وبادر أخوه السلطان لظهر سابق كان مرتبطا عنده بمتجرله من الجنة لصق القلعة فاستأجر الليل ورافق الحزم فاستقر بوادى آش وكان أملك بها ونازلته المحلات واخذ بمخنقه الحصاص واستنفر لمنازلته الناس وأعملت الحيل وتأذن الله بثبوت قدمه وانتقاله الى ملك المغرب صبح عيد النحر من العام المذكور الى أن أعاد الله اليه أمره ورد عليه حقه وتولى بعد اليأس جبره حسبما يذكر فى موضعه انشاء الله تعالى وخلا الجو لهذا الامير المضعوف واستولى على أريكة الملك الاغمار وأولو البطالة وأولياء صهره الرئيس خاطبها له ابتداء ناقلها الى نفسه انتهاء وحامله الى غائلة درجا والى إعاقته سلما وهو ماهو من غش الحبيب وسوء العقد ودخل السريرة واستبطان المكروه فاغرى منه بالعهد نفسا مطاوعة للشهوة متبرمة بالامتحان والخلوة برية من نور العلم وتهذيب الحكمة ناشئة بين أخابيث القسوة . جانية امانى الشهوة والمخالفة مضادة للفلاح حالة من سبيل النجاة بمحل اغتراب عن النصحاء وانتباذ عن مقاعد

الاحرار فجرى طلق الجموح فى التخلق حتى كبا لفيه ويديه وأعان نسمة السوء الرئيس على نفسه وقد كان اصطنع الرجال واستركب اولى البسالة واساليف الدعرة واختص فى سبيل خدمته والذب عنه بالاوشاب والمساعين يشركهم فى الاكلة ويصافيهم النعمة وأظلم مابينهما فحذر كل جانب اخيه الا ان المهين كان أضعف من استئثار بخطة المعالجة واهتداء الى سبيل الحزم • وفي عشية يوم الاربعاء من شهر شعبان شارفه من مكمن غدره الرحب بجوار قصره وارتبط به الخيل واستكثر من الحاشية واخفى المساعير وداخل الموروى المشؤم على الدولة فبادر رجاله سد الابواب وانخرط فى جملة اوباشه من باب السلطان من الرجال لنظر مماثله فى العنا وعونه على الهول الموروى فاحاط به وقد بادر الاعتصام بالمصنع ثانى الصرح المنسوب الى هامان سموا واقفالا فى السمك وسمة الذرع وبعد مارقى صرخ بالناس يناشدهم الذمام فخف اليه منهم خلق كثير وتراكموا بالطريق تحته وتولى استنزاله مملوك ابيه العاج المخذول عباد وقد تحصل فى قبضة الغادر ففتل له فى الغارب والذروة ووعده الحياة فنزل عن امان فسحة الغدر الصراح• والوفاء المستباح • للحين امر به الى المطبق فقيد مختبلا كثير الضراعة الى الارى لصق قصره وتعاورته السيوف والحق به صغيره قيس استخرج من بعض الخزائن وقد جهدت امه فى اخفائه فمضى لسبيله وطرح راسه على الرعاع المجيبين لندائه فانفضوا لحينه وبقى مطروحا وارى بمجلس دابة من دواب الظهر الى يوم بعده فوورى هو واخوه بمقبرة من مدفن ابيهم فكان من أمرهما عبرة وقد استوفينا ذلك فى الكتاب المسمى بنفاضة الجراب من تآليفنا

﴿ وزراء دولته ﴾

قدم للوزارة عشية يوم ولايته محمد بن ابراهيم بن أبى الفتح الفهري بطالع الشوم وبقية النحس ،عهدى بالطبيب الاسرائيلى الحرى العظيم المهارة فى فن النجوم ابراهيم بن زرزار يتطاير بتلك الولاية بكون النحس الاعظم فى درجة حالها وانه انفرد بنحز اديمها الجهال الممدودن فى البهم والهمج الذين لا يعبأ الله بهم فكان الخُبر وفق الخبر فلم ير فى الاندلس وزارة اثقل وطأة ولا اخبث عهدا منها ثم كان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين[1] من رجل حبركي كمدى اللون تنطف سحنته مرة وسُمًّا غائر العين مطأطأ الرأس بعيد الغاية فى الحقد والطمع وعيّ المنطق وجمود الكف ممدن من معادن الجهل مثل فى الخيانة تناول الامر مزاحما فيه بالرئيس المتواثب وابن عم نفسه الغادر الضخم الجرارة بالوعث المهين الشين وثور النقل وثعبان الفواكه وصاعقة الاخونة[2] ووكيل الدولة المنحط عن خلالهم بالابوة والنشأة فجرت امورها أسوأ مجاريها الى ان كان ما أذن الله به من مداخلة الرئيس الغادر على قتل الامير المسكين المهين الذى قلده أبوه الرتبة ثم اخذه الاخذة الرابية بيد من أمده في البغي وظاهره على الخزى فجعله نكالا لما بين يديه وما خلفه وموعظة للمتقين حسبما يأتي فى اسمه بحول الله تعالى

﴿ كتابه ﴾

واستعمل فى الكتابة صاحبنا الرجل الاخرق الطوال الاهوج البرئ من الخلال الحميدة الا ما كان من وسط الخط وسوق السجع والدرك الاسفل

(١) من رجل حبركى الخ هكذا بالاصل اهـ (٢) جمع خوان اهـ

من النظام عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربي الآتى ذكره وهو الذى افرده الله بالغاية البعيدة من مجال سوء العهد وقلة لوفاء بالوعد . وتولى له القضا ابو جعفر احمد بن ابى القاسم بن جزى اياما ثم شهر به قوم من الفقهاء منافسة ووسموه بما اوجب صرفه وقدم للقضاء الشيخ المسن الطويل السباحة في بحر الاحكام المفري الودجين والحلقوم بسكين القضاء المنبوز بالموبقات فيه تجاوز الله عنه سامون بن على بن سلمون . وشيخ الغزاة على عهده يحيي بن عمر بن عبد الله بن عبد الحق شيخ الغزاة لاخيه اصبح يوم الكائنة فى قواده ونصح له فأمر له وضاعف بره .

﴿ مولده ﴾

يوم الاثنين الثانى والعشرين لربيع الاول من عام اربعين وسبعمائة

﴿ وفاته ﴾

حسبما تقرر آنفا في يوم الاربعاء لشعبان من عام احدوستين وسبعمائة

﴿ أبو بكر بن ابراهيم الامير أبو يحيي المسبوقى الصحراوى ﴾

من أمراء المرابطين صهر على بن يوسف بن تاشفين زوج أخته ابو ولده منها يحيي المشهور الكرم

﴿ أوليته ﴾

معروفة تستقر عند ذكر ملوكهم

﴿ حاله ﴾

كان مثلا فى الكرم راية في الجود رئيس اجواد الاسلام والجاهلية الى الغاية في الحياء والشجاعة والتبريز فى ميدان الفضائل استوزر الوزير الحكيم الشهير أبا بكر بن الضائع واختصه فتجملت دولته ونبه قدره وأخباره معه شهيرة

﴿ ولايته ﴾

ولى غرناطة سنة خمسمائة ثم انتقل منها الى سرقسطة ثم دخلها عند خروج المستعين بن هود الى روطة فأقام بها مراسم الملك وانهمك فى اللذات وعكف على المعاقرة وكان يجعل التاج بين ندمائه ويتزيى بزي الملك الى أن هلك بها تحت مضايق طاغية الروم المستولى عليها بعد خروجه من الصحراء

قال المؤرخ كان أبو بكر هذا رئيساً على بعض القبائل في الصحراء وكان ابن عمه منفرداً بالتدبير فاتفق يوماً ان دخل على ابن عمه في خبائه وزوج ابن عمه تمشط شعرها في موضع قريب من الخباء فاشتغلت نفس أبي بكر بالمرأة لحسنها وجمالها فحين دخل قال لابن عمه فلانة تريد الوصول اليك وانما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه فنطق باسم المرأة لشغل باله بها فقال له ابن عمه بعد طول صمت وفكرة وقد انكر ذلك عهدى بهذا الشخص لايستأذن علينا فرجع اليه عقله وثاب لبه وعلم قدر ما من القبيح وقع فيه فخرج من ذلك المجلس وركب جمله وهان عليه مفارقة وطنه من أجل العار واستصحب نفراً قليلا من أصحابه على حال استعجال ورحل ليلا ونهاراً حتى وصل سلجماسة أول عمالات على بن يوسف بن عمه واتصل به قدومه فأوجب حقه وعرف قدره وعقد له على أخته وولاه على سرقسطة دار

ملك بني هود بشرق الاندلس بعد ولايته غرناطة

﴿ نبذة من أخباره في الكرم ﴾

قالوا لما وصل الى ظاهر سلجماسة مجهول الوفادة خافى الامر نزل بظل نخلة بظاهرها لا يعرف أحداً ولا يقصده فجاء في ذلك الموضع رجل حداد فقراه بعنز كان عنده وتعرف له وأبو بكر يستغرب أمره فلما فرغوا من أكلهم قال للحداد ألا تصحبنا لموضع أملنا وتكون احد اخواننا حتى تحمد لقاءنا فأجابه وصحبه الحداد وخدمه فلما قربوا من مراكش استأذن أبو بكر على عليّ بن يوسف بن تاشفين وأعلمه بنفسه فأخرج له على بن يوسف فرساً من عتاق خيله وكسوة من ثيابه والف دينار فأمر ابو بكر بدفعها للحداد فبهت الحداد وانصرف الرسول موجهاً الى مرسله فاخبره بما عاين من كرمه وفعله فأعاده اليه فى الحين والساعة بفرس آخر وكسى كثيرة وآلاف من المال فلما دخل مراكش ولقى على بن يوسف وأنزله انزل الحداد مع نفسه فى بيت واحد وشاركه فى الاموال التي توجه بها وانصرف يجر وراءه دنيا عريضة ولما ملك سرقسطة اختص الوزير الحكيم ابا بكر بن الضائع ولطف منه محله

ذكر انه غاب يوماً عنه وعن حضور مجلسه بسرقسطة ثم بكّر من الغد فلما دخل قال له أين غبت ياحكيم عنا فقال يامولاى اصابتنى السوداء واغتممت فأشار الى الفتى الذى كان يقف على رأسه وخاطبه بلسان عجمى فاحضر طبقاً مملوأ مثاقيل وعليه نوادر ياسمين فدفعه كله اليه فقال ابن باجة يامولاي لم يعرف جالينوس هذا الطب فضحك

وذكر انه أنشده شعراً في مدحه وقد قعد للشراب فاستفزه الطرب

وحلف أن لايمشي الا من فوق المال الى منزله فى طريقه فالتمس الخدام برنسه بان كانوا يطرحون من المال شيئاً له خطر على أوعيته حتى يغمرها فيمشي خطواً الى أن وصل الى منزله وحسد الحكيم أصحابه ولم يقدروا على مطالبته واتفق ان سار الامير ابو بكر وامر أصحابه بالتأهب والاستمداد فاستمد ابن باجة واتخذ الاقبية والاخبية واستفره الجياد من بغال الحمولة فكانت له منها سبعة صفر الالوان حمل عليها الثياب والفرش والمال فلما نزل الامير بمقبرة مرت عليه البغال المذكورة في أجمل الهيئآت فقال لجلسائه لمن هذه البغال ومن يكون له من رجالنا هذا فأصابوا الغرة فقالوا هى للحكيم بن الضائع صاحب سرقسطة وليعلم مولانا ان في وسط كل حمل منها الف دينار ذهبا سوى المتاع والعدة فاستحسن ذلك وقال أهذا حق قالوا نعم فدعا الخازن على المال وقال له ادفع لابن باجة خمسة آلاف دينار ليكمل له ذلك اثنى عشر الفا فقد سمته غير ما مرة يتمنى ان يكون له ذلك ثم بعث عنه فى الحين وقال له ياحكيم ماهذا الاستعداد فقال له يامولاى كل ذلك من هباتكم واعطياتكم وقد علمت ان اظهار ذلك يسركم فسر بذلك واخباره رحمه الله كثيرة :

﴿ محنته ﴾

قالوا ولما ولى غرناطة سنة خمسمائة ثاربها وانبرى على قومه لامر رابه فانتبذ عنه اهله وناصبوه الحرب حتي استنزلوه عنوة وقبضوا عليه ووجهوه الى على بن يوسف فآثر الابقاء عليه وعفاعنه واستعمله بسرقسطة كذا ذكره الملاحى وأشار اليه . وعندى أن الامر ليس كذلك وان الذى جرى له ذلك ابو بكر بن على بن يوسف بن تاشفين فليحقق

﴿ وفاته ﴾

توفى بسرقسطة فى سنة عشر وخمسمائة بعد أن ضاق ذرعه بطاغية الروم الذى اناخ عليها بكلكله وعند ما تقرر خبر وفاته واتصلت بالامير أبى اسحاق ابراهيم بن تاشفين وهو يومئذ والى مرسية بادر الى سرقسطة فضبطها ونظر فى سائر أمورها ثم صدر الى مرسية ·

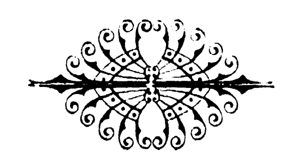
﴿ رثاؤه ﴾

ورثاه الحكيم ابو بكر بن الصائغ بمراث اشتهر منها قوله ·

سلام والمام ووسمى مزنة ... على الجدث الثانى الذى لا ازوره
أحق أبو بكر تقضى فلا ترى ... ترد جماهير الوفود ستوره
لئن أنست تلك اللحود بلحده ... لقد أوحشت اقطاره وقصوره

ومن ذلك ·

ايها الملك المفدى لعمرى ... نمى المجد ناعيك يوم قمنا فنحنا
كم تقارعت بالخطوب الى ان ... غادرتك الخطوب فى الترب رهنا
غير انى اذا ذكرتك والدهـ ... ـر اخال اليقين فى ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء فقيل الـ ... ـحشر قلنا صبرا اليه وحزنا



ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

ابن على أمير المؤمنين الملقب بالمأمون

(مأمون الموحدين)

أوليته

جده عبد المؤمن جذع الشجرة وينبوع الجداول هو ابن على بن علوى ابن يعلى بن موار بن نصر بن على بن عامر بن موسى بن عون الله بن يحيي ابن ورجانع بن سطور بن تنور بن هطهاط بن هودج بن قيس بن غيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكان طالباً بربريا ضعيفا خرج مع عمه يؤم الشرق وكان رآى رؤيا هائته تدل على الملك اذ كانت صحفة من طعام على ركبتيه يا كل منها الناس وكانت امه رأت وهي حامل نارا خرجت منها أحرقت المشرق والمغرب فكانت فى نفسه حركة لاجل هذه الرؤيا فلما حل بسلجماسة سمع بها عن المهدى وكان بها رجل يعرف بابي عبد الله السوسي وصف له بالعلم فتشوف الى لقائه ليرى ماعنده فى تأويل رؤياه فانصرف اليه مع بعض الطلبة فاتي رجلا قد وسمه على مايزعم الناس حدثان من ابي حامد الغزالى وعلقت به دعوة منه فى اذهاب ملك اهل اللثام لحرق كتابه على ايديهم فهو مغرى بالخروج عليهم مهيأ فى علم الغيب الى تخريب دعوتهم فوافق شن طبقة « وما اجتمع الدا آن الا ليقتلا » والله غالب على أمره فاجلسه وسأله عن اسمه وبلده وسنه ونسبه بالتعريف وامره ان يخفي من

امره وعبر له الرؤيا بانه يملك الارض فاهتزت الآمال وتعاضدت ونفذت مشيئة الله بان دالت الدولة وهلك محمد بن تومرت المهدى وافضى الامر لعبد المؤمن واستولى على اللمتونيين فاباد خضراءهم واستأصل شأفتهم واستولى على ملك المغرب فأقام به رسما عظيما وأمرا جسيما اورثه بنيه من بعده والله يؤتى ملكه من يشاء اه

﴿ حاله ﴾

كان رحمه الله شهما شجاعا جريئا بعيد الهمة نافذ العزيمة . قوى الشكيمة . ابيا كاتبا أديبا فصيحا بليغا ابيا جوادا حازما وذكره ابن عسكر المالقى فى تاريخ بلده قال دخل مالقة من قبل أخيه فوصلها فى الحادى عشر من محرم وهو شاب حدث فكان منه من نباهة القدر وجلالة النفس وابهة الملك مايعجز عنه كثير من الملوك ولحين وصوله عقد مجلس مذاكرة استظهر له نبهاء الطلبة وكان الشيخ على بن عبد الحميد يحضره وكان يبدو منه مع حداثة سنه من الذكاء والنبل والتفطن ما كان يبهت الحاضرين وكانوا ينظرون منه الى بدرىّ الحسن وأسدىّ الهيبة وكهلىّ الوقار والتؤدة واشتغل بما يشتغل به الملوك من تفخيم البناء كبنيان رياض السيد الذى على ضفة الوادى بمالقة المعروف باسمه لله ورسوله وكان عرفاء البنائين لايتصرفون الا بنظره واستمرت ولايته مفخم الامر عظيم الولاية الى ان انتقل منها الى قرطبة ثم انتقل الى اشبيلية وبها بويع بالخلافة .

﴿ تصير الامر اليه وجوازه الى العدوة ﴾

قام على أخيه العدل بين يدى مقلمة بمالأة أخيه السيد أبي زيد أمير بلنسية وتحريكه اياه فتم له ذلك وعقدت له البيعة بمراكش والاندلس ثم ان

الموحدين فى مراكش بدالهم فى أمره وعدلوا عنه الى ابن عمه أبي زكريا بن الناصر واتصل به خبرهم وما أراد وامن خامه فهاجت نفسه ووقدت جمرته واستمد لاخذ ثاره ورحل من اشبيلية واستصحب جمعا من فرسان الروم وأجاز البحر سنة ست وعشرين وستمائة قاصدا مراكش وبرز ابن عمه الى مدافعته والتقى الجمعان فكانت الهزيمة على يحيى بن الناصر وفر الى الجبل واستولى القتل على جيشه ودخل المأمون مراكش فامر بتقليد شرفاتها بالرؤس فعمتها على اتساع الساحة واستحضر الناكثين لبيعته وبيعة أخيه وهم كبار الدولة واستفتى قاضيه بما رأى منه واستحضر خطوطهم وبيعاتهم فافتى بقتلهم فقتل جماعتهم وهم نحو مائة رجل واتصل البحث عمن أفات منهم وصرف عزمه الى محو آثار دولة الموحدين وتغيير رسمها فازال اسم مهديها من الخطبة والسكة والمآذن وقطع النداء عند الصلاة بتازات الاسلام[1] وكذلك منسوب رب وبادرى وغير ذلك مما جري عليه عمل الموحدين وأجمل في ذلك رسالة حسنة من انشائه يأتى ذكرها وعند انصرافه من الاندلس خلا للامير أبى عبد الله بن هود الجو بعد وقائع خات بينهما وانتهز النصارى الفتنة فعظمت الفتنة وجلت المحنة .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

لم يصح عندى انه دخل غرناطة مع غلبة الظن القريب من العلم بذلك الا طريقه الى مدافعة المتوكل بن هود بجهة مرسية فانه تحرك لمعالجة أمره في جيش اشبيلية باستدعاء أخيه السيد أبي زيد الى بلنسية بعد هزائم جرت

(١) قوله بتازات الي قوله بادرى كذا بالاصول وهى الفاظ بربرية كما نص عليه ابن خلدون اه

بصقع الشرق لابن هود فتحرك المأمون اليه واحتل غرناطة فى رمضان من عام خمسة وعشرين وستمائة وانفذ منها كتابه الى أخيه يقوى بصيرته ويعلمه بنفوذه اليه والتف عليه جيش غرناطة وما والاها واتصل سيره الى الشرق فبرز ابن هود الى لقائه فكان اللقاء بخارج لورقة فانهزم ابن هود وفر الى مرسية وعساكر الموحدين فى عقبه واستقصاؤه مثل هذا يخرج عن الغرض وخاطب لاول أمره واخذ الناس ببيعته من باقطار الاندلس صادعا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحض على الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقة والنهى عن شرب الخمر والمسكرات والتحريض على الرماية .

فمن كتابه . الحمد لله الذى جعل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين . وأمر بالعدل والاحسان ارشادا الى الحق المبين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الكريم المبعوث بالشريعة التى طهرت الجيوب من الادران . واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الابدان . طوراً بالشدة وتارة باللين . القائل ولا عدول عن قوله . ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه . تنبيها على ترك الشك لليقين . وعلى آله الاعلام رايات الاسلام المتلقين رايات الاسلام باليمين . الذين مكنهم الله فى الارض وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وفاء بالواجب لذلك التمكين .

ومن فصل . واذا كنا نوفى الامة تمهيد دنياها . ونعنى بحماية أقصاها وأدناها . فالدين أهم وأولى . والتهمم باقامة الشريعة وإحياء شعائرها احق ان يقدم وأحرى . وعلينا أن نأخذ بما أمر به الشارع وندع . ونتبع السنن المشروعة ونذر البدع . ولها أن لا ندخر عنها نصيحة . ولا نمنعها اداة من

الادواء مريحه . ولنا عليها ان تطيع وتسمع

ومن فصل . واول ماينتاله به الامر النافذ الصلاة لاوقاتها . والاداء لها عند ذلك على اكمل هيئاتها . وشهودها اظهاراً لشرائع الايمان فى جماعاتها فقد قال عليه الصلاة والسلام احب الاعمال الى الله الصلاة لاوقاتها . وقال اول ماينظر فيه من أعمال العبد الصلاة . وقال عمر إن أهم اموركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . وقال لاحظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة وهى الركن الاعظم من أركان الايمان . والسر الأوثق من أعمال الانسان . والمواظبة على حضورها فى المساجد . وإيثار الصلاة فى الجماعة لما لها من المزية على صلاة الواحد . لايضيعها المفلحون ولا يحافظ عليها الا المؤمنون . قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقوم فى الصف . وشهود الصبح والعشاء الاخرة شاهد بمحض الايمان . ولقد جاء . حضور الصبح فى جماعة يعدل قيام ليلة وحسبكم بهذا الرجحان . ومن الواجب ان يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين . ويأخذ بها فى جميع الامصار الصغير والكبير من المسلمين . ويكفى فى الزامها قوله عليه الصلاة والسلام مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين . وهى طويله في معان متعددة

﴿ نثره ونظمه ﴾

ولما غير رسوم الموحدين واوقع بارباب دولتهم حين النكث وبيعتى أخيه وعمه كتب الى الاقطار عن نفسه ولم يكمل انشاءه لرسالة بديعة اشتملت على فصول كثيرة تنظر فى كتاب المغرب والبيان المعرب وغير ذلك وكتب بخطه

الى أهل اندوجر الى الجماعة والكافة من أهل فلانة وقاهم الله عثرات الألسنة . وارشدهم الى محو السيئة بالحسنة . أما بعد فانه قد وصل من قبلكم كتابكم الذي جرد لكم أسهم الانتقاد . ورماكم من الاشهاد . بالداهية السؤاد اتعتذرون من المجال بضعف الحال وقلة الرجال . اذا تلحقكم بربات الحجال . كانا لا نعرف مناحي أقوالكم . وسوء منقلبكم واحوالكم . لاجرم انكم سمعتم بالعدو قصده الله . وقصده الي ذلك الموضع عصمه الله . فطاشت قلوبكم خورا . وعاد صفوكم كدرا . وشممتم ريح الموت ورداوصدرا . وظننتم انه احيط بكم من كل جانب . والفضاء قد غص بالتفاف واصطفاف المناكب ورأيتم غير شئ فتخيلتموه طلائع الكتائب . تباً لهمتكم المنحطة . وشيمتكم الراضية بادون خطة . أحين ندبتم الى حماية اخوانكم . والذب عن كلمة ايمانكم . نسقتم الاقوال وهي مكذوبة . ولفقتم الاعذار وهي بالباطل مشوبة . لقد آن لكم ان تتبدلوا حمل الخرصان (١) . الى مغازل النسوان . وما لكم ولصهوات الخيول . وانما على الغانيات جر الذيول . أتظهرون العناد تحريضاً بل تصريحا وتلويحا . وتظنون ان لانجمع لكم شتا ولا ندنى منكم نزوحا . اين المفر وأمر الله يدرككم . وطلبنا الحثيث لا يترككم . فازيلوا النزعة النفاقية من خواطركم ولا يغرنكم الامهال ايها الجهال .

وقال عند الايقاع بالاشياخ اولى الفساد على الدول وصلبهم فى الاشجار والاسوار . مما كلف السلمى بحفظها واستظرافها .

أهل الحرابة والفساد من الورى يعزون فى التشبيه للذكار (٢)

---

(١) يظهر انه جمع خرص بالضم ويراد به الرماح اللطيفة اوالاسنة اه (٢) الذكارة كرمانة حمال النخل قاموس

فغساده فيه الصلاح لغيره ... بالقطع والتعليق فى الاشجار
ذ كارهم ذ كر اذا ما أبصروا ... فوق الجذوع وفى ذرى الاعوار
لوعم عفـو الله سائر خلقه ... ما كان اكثرهم من أهل النار

﴿ توقيعه ﴾

قال ابن عسكر وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة فمنها ان امرأة رفعت رقعتها بواحد من الاجناد ممن نزل دارها وصدر لها أمر ينكر فوقع على رقعتها يخرج هذا النازل . ولا يعوض بشئ من المنازل . وغير ذلك مما اختصرناه .

﴿ بنوه ﴾

ابو محمد عبد الواحد ولى عهده وأمير المؤمنين بعد وفاته الملقب بالرشيد وعبد العزيز وحان وابو الحسن على الملقب بالسعيد الوالى بعد أخيه الرشيد .

﴿ بناته ﴾

صفية ونجمة وعائشة وفتحونة وأمهات الجميع روميات وسريات مغربيات

﴿ وزراؤه ﴾

وزر له الشيخ ابوزكريا بن ابى العمرى وغيره

﴿ كتابه ﴾

كتب له جملة من مشاهير الكتاب منهم أبوزكريا الفازازى وأبوالمطرف ابن عميرة وابو الحسن الرعينى وابو عبد الله بن عياش وابوالعباس بن عمران وغيرهم وما منهم الا شهير كبير

﴿ وفاته ﴾

توفى رحمه الله بوادى أم الربيع وقد طوى المراحل من ظاهر سبتة مقلعا عن حصارها مبادرا الى مراكش وقد اتصل به دخول يحيى بن الناصر

اياها فاعمل السير وقد اشتد حنقه على اهلها واقسم ان يبيح حماها للروم ويذهب اسمها ومسماها فهلك عند دنوه منها فجأة فكانت عند أهل مراكش من غرر الفرج بعد الشدة وكتمت زوجته حبابة الرومية ام الرشيد ذلك الاعن الافراد من قواد النصارى وبعض الاشياخ واتفق القول على مبايعة ابنها المذكور بيعة خاصة ثانى يوم وفاته ثم حمل فى هودج وأشيع أنه مريض ورجعت الجيوش على تعبية وبرز يحيى بن الناصر من مراكش الى لقائه والتقى الجمعان فانهزم يحيى واستولى الرشيد عليه ودخل مراكش فاستقام الامر وكانت وفاة المأمون ابى العلا رحمه الله ليلة الخامس عشر لمحرم عام ثلاثين وستمائة .

وجرى ذكر المأمون والمهدى وأوليتهم فى الرجز المتضمن ذكر الدول المسلمة من نظمى بما نصه بعد ذكر الدولة اللمتونية .

ونجم المهدى وهو الداهيه ... فاصبحت تلك المبانى واهيه
واحكم الامر له وانجمعا ... فى خبر نذكر منه لمعا
لم يأل فيها ان دعا لنفسه ... وكان فى الحزم فريد جنسه
اغرب فى ناموسه ومذهبه ... وفى الذى قد سطروا من نسبه
وعنده سياسه وعلم ... وجرأة وكرم وحزم
ووافقت ايامه فى الناس ... لدولة المسترشد العباسى
ثم انقضت ايامه المنيفه ... وكان عبد المؤمن الخليفه
فضاء لون سعده ووضحا ... ولاح مثل الشمس فى وقت الضحى
ثم تلمسان وفاسا فتحا ... وملك أصحاب اللثام قد محا

ولما انتهى القول للمأمون المترجم به بعد ذكر من يلى عبد المؤمن

جده قلت .

ثم تولى أمرهم ابو العـلا فسلط البيض على بيض الطلا
وهو الذى اركب جيش الروم وجـد في ازالة الرسـوم

اسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى

ابن بكر بن عفان الابدى

هذا هو جد سعيد بن جودى بن سواده بن جودى بن اسباط أمير المغرب وقدرهم بهذه المدينة شهير

حاله

كان من أهل العلم والفقه والدين المتين والورع الشديد والصلاح الشهير

نباهته

ولاه الامير عبد الرحمن قضاء البيرة حين بلغه زهـده وورعه وانه لم يشرك اخوته فى شئ من ميراث أبيـه اذ كان لم يحضر الفتح فبرأبه اليهم وابتاع موئلا بوطنه انيط به ماء وانفرد به للعبادة والتبتل فاستقدمه هشام فركب حماره وقدم عليه في هيئة رثة بذلة فتوسم فيه الخير وقدمه ووسع له فى الرزق ووهب له ضياعاً كثيرة تعرف اليوم باسمه وتوفى هشام وهو قاض بالبيرة فاقره ابنه الحكم ثم ولاه شرطته الى أن توفى اسباط .

قلت انظر حال الشرطة عند الخلفاء من كان يختار لها لولايتها

﴿ اسلم بن عبد العزيز بن هشام بن عبد الله بن خالد بن حسين ﴾
﴿ ابن جعفر بن اسلم بن أبان مولى عثمان بن عفان رضى الله ﴾
(عنه وارضاه بمنه وكرمه يكنى أبا الجعد)

﴿ أوليته ﴾

من أهل الشرف بالاندلس اصلهم من لوشة فتية غرناطة وموضعهم بها معروف والى جدهم ينسب جبل أبى خالد المطل عليها وكان لهم ظهور هنالك وفيهم أعلام وفضلاء .

﴿ حاله ﴾

كان أسلم من خيار أهل البيرة شريف البيت كريم الابوة من كبار أهل العلم وكانت فيه دعابة لم ينسب اليه قط بسببها خزية فى دين ولا زلة قال أبو الفضل عياض كان أسلم من خيار أهل البيرة رفيع الدرجة في العلم وعلو الهمة في الادراك والرواية والديانة والصحبة وبعد الرحلة في طلب العلم معروف النصيحة والاخلاص للامراء

﴿ مشيخته ﴾

لقى بمصر المدنى ومحمد بن عبد الحكم ويونس والربيع بن سليمان المؤذن واحمد بن عبد الرحيم البرقى وسمع من على بن عبدالعزيز وسليمان بن عمران بالقيروان .

﴿ من روى عنه ﴾

سمع من عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن يونس ومحمد بن قاسم

وغير واحد وانصرف الى الاندلس من رحلته فنال الوجاهة العظيمة

﴿ ولايته ﴾

ولاه قاضي الجماعة بغرناطة الناصر لدين الله أول ولايته وسط سنة ثلاثمائة الى أن استعفى سنة تسع وثلاثمائة فاعفاه ثم أعاده وكان في قضائه صار ما لاهوادة عنده . قال المؤرخ كان الناصر يستخلفه في سطح القصر اذا خرج الى مغازيه

وحكي ابن حارث أن ابن معاذ وابن صالح أتيا يوماً فلما أخذا مجالسيهما نظر اليهما وقال أقواماً أنتم ملقون فأبهتهما . ودخل عليه محمد بن الوليد يوماً فكلمه فى شئ فقال أسلم سمعنا وعصينا فقال بن الوليد ونحن قلنا واحتسبنا وأتاه في بعض مجالسه شهود بعضهم من أهل المدينة بقرطبة وبعضهم من شلار من الربض الشرقى يشهدون فى ترشيد امرأة من الربض الغربى فلما أخذوا مجالسهم فتح باب الخوخة التي فى المجلس الذى يجلس بدهليزه . ونادي من بخارجه فاجتمعوا اسمعوا عجبا لله در الشاعر حيث يقول .

راحت مشرقة ورحت مغرباً　　شتان بين مشرّق ومغرّب

هؤلاء من أهل مدينة شلار يشهدون في ترشيد امرأة من سكان آخر بلاط مغيث ثم سكت فدهش القوم وتسللوا . وبلغه عن بعض الشهود المتهمين انه أرشى فى شهادته ببساط فلما أتى ليؤديها ودخل على أسلم جعل يخلع نعليه عند المشى على بساط القاضى فناداه أبا فلان البساط الله الله فتنبه بان أمره عند القاضي ولم يجسر على أداء الشهادة .

وخاصم فقيه عند أسلم رجلا في خادم أعربها وجاء بشاهد أتي به من اشبيلية فقال ياقاضى هذا شاهدي فاسمع منه فصعّد اسلم فى الشاهد وصوب

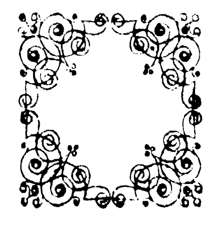
وقال محتسب أو مكتسب اصلحك الله فقال الشاهد أحسن الظن أيها القاضي فليس هذا اليك هـذا الى الله المطلع على مافي القلوب ولم نقعد هـذا المقعد لتسأل عن هذا وشبهه وانما عليك الظاهر وتكل الباطن الى الله فان شئت فاسمع الشهادة كما يلزمنى أداؤها فاقبلها أو اضرب بها الحائط . وفى رواية أخرى وليس لك أن تكشف الستر المسدل بينك وبينى فان هذا التفسير للشهود يوقف عن الشهادة عندك ويعرض لاهانتك وفى ذلك من ضياع الحقوق مالا يخفي فأخجل أسلم كلامه وقال لهلك ماقلت فأدشهادتك يرحمك الله قال فأين الخادم تحضر حتي أشهد على عينها فقال وفقيه أيضاً هاتوا الخادم فجاءت من عند الامين فلما مثلت بين يديه نظر منها مليا ثم قال أعرف هذه الخادم ملكا لهذا الرجل لا اعرف ملكه زال عنها بوجه من الوجوه الى حين شهادتى هذه سلام على القاضي ثم خرج فبقى أسلم متعجبا منه

﴿ محنته ﴾

كف بصره في أخريات أيامه فطاب لاجل ذلك الاعفاء فأعفى ولزم بيته صابراً محتسباً الى حين وفاته

﴿ مولده ﴾

سنة احدي وثلاثين ومائتين



أسد بن الفرات بن بشر بن اسد المري من أهل
(قرية الطير من اقليم البساط من قرى غرناطة)

حاله

كان عظيم القدر والشرف أصيل المعرفة والدين

مشيخته

خرج الى المشرق ولقي مالك بن أنس رضى الله عنه روى عنه سحنون ابن سعيد .

تآليفه

الف كتات المختلطة وولى القضاء بالقيروان اجمل ما كانت واكثر علماء وولاه الله غزو صقلية ففتحها وأبلى بلاء حسناً

وفاته

توفي رحمه الله وهو محاصر بسرقسطة هذا ماوقع في كتاب أبي القاسم الملاحي وذكره عياض فذكر خلافا في اسمه وفى أوليته .

أبو بكر المخزومى الاعمى المدورى

حاله

كان اعمى شديد الشر معروفاً بالهجاء مسلطاً على الاعراض سريع

الجواب ذكيّ الذهن فطناً للمعاريض سابقاً في ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعره ٠

﴿ دخوله غرناطة وذكر شئ من شعره ومهاترته مع نزهون بنت القلاعى ﴾

قال أبو الحسن بن سعيد في كتابه المسمى الطالع السعيد قدم غرناطة أيام ولاية أبي بكر بن سعيد على غرناطة ونزل قريباً منه وكان يسمع به فقال صاعقة يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رأي ان يبدأه بالتأنيس والاحسان فاستدعاه بهذه الابيات ٠

يا ثانيا للمعرّي ... في حسن نظم ونثر
وفرط ظرف ونبل ... وغوص فهم وفكر
صل ثم واصل حفيا ... بكل بر وشكر
وليس الا حديث ... كما زها عقد در
وشادن يتغنى ... على رباب وزمر
وما يسامح فيه الـ ... ـغفور من كاس خمر
وبيننا عهد حلف ... لياسر حلف كفر
فقم نجدده عهداً ... بطيب شكر ويسر
والكاس مثل رضاع ... ومن كمثلك يدري

ووجه له الوزير ابو بكر بن سعيد عبداً صغيراً قاده فلما استقر به المجلس وافعمته روائح الند والعود والازهار ٠ وهزت عطفه الاوتار ٠ قال ٠

دار السعيدي ذي أم دار رضوان ... ماتشتهي النفس فيها حاضر داني
سقت أباريقها للند سحب ندي ... تحدو برعد لاوتار وعيدان

والبرق من كل دن ساكب مطرا　　يحيي به ميت افكار وأشجان
هـذا النعيم الذى كنا نحـدثه　　ولا سـبيل له الا بآذان

فقال أبو بكر والى الآن لاسبيل له الا بآذان فقال حتى يبعث الله ولد زنى كلما انشدت هذه الابيات قال انها لأعمى فقال أما أنا فلا انطق بحرف فقال من صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعي حاضرة فقالت وترك يا استاذ قديم النعمة بجمرند وغناء وشراب فتعجب من تأتيه وتشبهه بنعيم الجنة وتقول ما كان يعلم الا بالسماع ولا يبلغ اليه بالعيان ولكن من يجئ من حصن المدور . وينشأ بين تيوس وبقر . من اين له معرفة بمجالس النعيم فلما استوفت كلامها تنحنح الاعمى فقالت له ذبحة فقال من هذه الفاعلة فقالت عجوز مقام أمك فقال كذبت ماهذا صوت عجوز انما هذه نغمة قحبة مخترقة تشم روائح ههنا على فراسخ فقال له ابوبكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعى الشاعرة الاديبة فقال سمعت بها لا اسمعها الله خيرا . ولا أراها الا أيرا . فقالت له ياشيخ سوء تناقضت . وأى خير للمرأة مثل ماذكرت . ففكر ساعة ثم قال .

على وجه نزهون من الحسن مسحة　　وان كان قد امسى من الضوء عاريا
قواصد نزهون توارك غيرها　　ومن قصد البحر استقل السواقيا

فاعملت فكرها ثم قالت .

قل للوضيع مقالا　　يتلى الى حين يحشر
من المدور أنشئـت　　والخرا منه أعطر
حيث البداوة أمست　　فى مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبا　　بكل شئ مدوّر
خلقت أعمى ولكن　　تهيم فى كل أعور

جازيت شعرا بشعر فقل لعمرى من اشعر

ان كنت فى الخلق انثى فان شعرى مذكر

فقال لها اسمى .

ألا قل لنزهونة مالها تجر من التيه أذيالها

ولو أبصرت فيشة شمرت كما عودتني سربالها

فخاف ابو بكر بن سعيد ان لا يزيد احدهما على الآخر فى هجو كلمة فقال المخزومى أكون هجاء الاندلس واكف عنها دون شئ فقال انا اشترى منك عرضها فاطلب فقال بالعبد الذى أرسلته فقادنى الى منزلك فانه لين اليد رقيق المشى فقال ابو بكر لولا كونه صغيرا كنت ابلغك به مرادك واهبه لك ففهم قصده وقال اصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتني به على نفسك فضحك ابو بكر وقال ان لم تهج نظما هجوت نثرا فقال أيها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومى بالعبد بعد ما أصلح الوزير بينه وبين نزهون اه

وقال يمدح القاضى بغرناطة ابا الحسن بن أضحى رحمهما الله .

عجبا للزمان يطلب هضمى وملاذى منه علىّ ابن أضحى

جاره قد سما على النطح عزا ليس يخشى من حادث الدهر نطحا

....

فقال له ابن اضحى هلا اقتصرت على ما انت بسبيله فكم تقع فى الناس فقال انا اعمى وهم حفر فلا ازال اقع فيها قال فأعجبنى كلامه على قبحه . وحديث مقامه بغرناطة يقتضى طولا .

﴿ وفاته ﴾

قال ابو القاسم بن خلف كان حيا بعد الاربعين وخمسمائة

﴿ أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدى ﴾

﴿ يكنى أبا القاسم عالم مشهور ﴾

﴿ حاله ﴾

كان محققا لعلم العدد والهندسة مقدما فى علم الهيئة والفلك والنجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب .

﴿ تآليفه ﴾

ألف تآليف حسانا وموضوعات مفيدة منها كتاب المدخل الى الهندسة فى تفسير كتاب اقليدس . ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات ومنها كتابه الكبير فى الهندسة تقضى فيه اجزاءها ومنها تأليف فى الآلة المعروفة بالاصطرلاب . ومنها تاريخه الذى ألفه وهو تاريخ كبير

﴿ وفاته ﴾

قال ابن جماعة فى تاريخه اخبرنى ابو مروان سليمان ابن عيسى الناشئ المهندس انه توفى بمدينة غرناطة قاعدة الامير حيوس ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين واربعمائة وهو ابن خمس وستين سنة شمسية وعده من مفاخر الاندلس .

﴿ ابو على بن هدبة من أهل غرناطة ﴾

﴿ حاله ﴾

قال ابو القاسم الملاجى فيه من أهل الدين والفضل والامانه والعدالة والمعرفه بالتكسير والاعمال السلطانية وولى المستخلص بغرناطة فثقب وأجاد النظر . قال ابن الصيرفى ولما ولى الوزير ابو على بن هدية المستخلص وباشر جلائل الامور ودقائقها بنفسه حمى المناصفين ورفع المؤن والكلف عنهم ووسع بسليف البدر عليهم وآثرهم بالنصفة بالتزام حصة بيت المال ولم يكن له حجاب ولا بواب فكان القوي والضعيف . والمشروف والشريف والكبير والصغير والرجل والمرأة شرعا سواء فى الوصول اليه والتكلم فى مجلسه فلم يهتضم له جانب ولا دحضت له حجة الى أن ارتفعت الرقبة وزالت الهيبة وأمحق نور الحطة وخص باحباس جامع بغرناطة ينظره بفضل مال كثير من غلته ونبه باجتماعه ليزيد به بلاطين فى مسقفه من شرقه وغربه فاكمل الله ذلك بسعيه وعلى يديه ورام ربع المستخلص وزاد به فى حماماته وردم حوانيته واستحدث منجاة سماها المستحدثه وغرس قضبان الجوز فى مواضع المياه وعوض بما ذهب وشمر فى جمع المال ووالي الحفر على العمل ونصح بمقتضي جهده ومنتهى وسعه ولم تمديده فى مصانعة ولا مالت الي مداخلة ولكنه لم يحمل فى حق ولا نوقش فى باطل .

﴿ أم الحسن بنت القاضي ابى جعفر الطنجالى ﴾

﴿ من أهل لوشة ﴾

نبيلة حسيبة تجود القرآن وتشارك فى فنون من الطالب من مبادئ عربية وخلف وافراد مسائل الطب وتنظم ابياتاً من الشعر وذكرتها فى خاتمة الاكليل بما نصه .

ثالثة حمدة وولادة . وفاضلة الادب والمجادة . تقلدت المحاسن من قبل ولادة . وولدت ابكار الافكار قبل سن الولادة . نشأت فى حجر ابيها لايدخر عنها تدريجاً ولا سهما حتي نهض ادراكها . وظهر فى المعرفة حراكها ودرسها الطب ففهمت اغراضه . وعلمت اسبابه واعراضه .

﴿ وفي ذكر شعرها ﴾

ولما قدم ابوها من المغرب . وحدث بخبرها المغرب . توجه بعض الصدور الى اختبارها . ومطالعة اخبارها . فاستنبل اغراضها واستحسنها . واستظرف اسنها . وسألها عن الخط وهو اكسد بضاعة جلبت . واشح درة وجليت . فانشدته من نظمها .

الخط ليس له فى العلم فائدة ... وانما هو تزيين بقرطاس

والدرس سؤلى لاأبغي به بدلا ... بقدر علم الفتى يسمو على الناس

وراجعها بعض المجان يغفر الله له

ان فرط الدرس يا أمى سحق ... وهذا هو المشور فى الناس

فخذ من الدرس شيأ نابها خطا ... حطها وبالفهم يحيي كل الناس[1]

---

(١) قوله ان فرط الدرس البيتين هكذا بالاصل ولتحرر روايتهما اه

ومن شعرها فى غرض المدح

ان قيل من فى الناس رب فضيلة حاز العلا والمجد منه أصيل
فاقول رضوان وحيد زمانه ان الزمان بمثله لبخيل

بلكين بن باديس بن حيوس بن ماكسن بن زيرى

بن مناد الصنهاجي الامير الملقب بسيف الدولة

(صاحب أمر والده والمرشح للولاية بعده)

حاله

كان زيرى بن مناد ممن ظهر في حرب أبي يزيد بافريقية واتسم هو وقومه بطاعة العبيديين امراء الشيعة فكانوا حربا لاضدادهم زناتة الموالين لاملاك المروانيين لتحقق جدهم خزر بولايته عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما صار الامر الى بني مناد بعد انتقال ملوك الشيعة الى المشرق وولى الامر باديس بن منصور بن بلكين ذهب اعمامه وأعمام أبيه الى استضعافه فلم يعطهم ذلك من نفسه ووقعت بينهم الحرب التى قتل فيها عم أبيه ماكسن ابن زيرى فرهب الباقون منهم صولة باديس وخافوا عاديته على أنفسهم على صغر سنه فخاطب شيخ بيته يومئذ زاوى بن زيرى ومعه ابناء اخيه المظفر بن أبى عامر ليجوز اليه الى الاندلس رغبة في الجهاد فالفى همة بعيدة وملكا شامخا يذهب الى استخدام الاشراف واصطناع الملوك فاذن له فى ذلك ودخل منهم

جماعة الاندلس مع أميرهم زاوى بن زيرى ومعه ابناء اخيه حباسة وحبوس وماكسن فاتزلهم المظفر واكرمهم الا انهم كابدوا مشقة من دهرهم الذى اصارهم يخدمون بابواب الملوك من أعدائهم فلما انهدمت الامامة وانقشعت عصا الجماعة سعوا فى الفتنة سعى غيرهم من سائر قبائل البربر عند تشديد أهل الاندلس للبربر وانحازوا عند ظهورهم على أهل الاندلس بملوك بنى حمود الى بلاد تضمهم فانحازت صنهاجة مع شيخهم ورئيسهم زاوى بن زيرى الى مدينة غرناطة ثم آثر زاوى العود الى وطنه فخرج عن الاندلس حسبما يتقرر فى موضعه والتف قومه على ابن اخيه حبوس بن ماكسن فى جماعة عظيمة تحمى حوزته واقام بها ملكا وغلب على ما اتصل بمدينته من الكور فتملك قبرة وجيان واتسع نظره وحمى وطنه ورعيته ممن جاوره من البربر وكان داهية شجاعا فدامت رياسته واتصل ملكه الى ان هلك فولى بعده ابنه باديس وسيأتى التعريف به وولد ابنه بلكين هذا المترجم به قد رشحه الى ملكه واخذ له بيعة قومه وأهله للأمر بعده .

قال المؤرخ ونشأ لباديس بن حبوس ولد اسمه بلكين وكان عاقلا نبيلا فرشحه للامر من بعده وسماه بسيف الدولة وقال ولى مالقة فى حياة أبيه وكان نبيلا جليلا ووقفت على كتاب بخطه نصه بعد البسملة .

هذا ما التزمه واعتقد العمل به بلكين بن باديس للوزير القاضي ابى عبد الله بن الحسن الجزامي سلمه الله اعتقد باقراره على خطة الوزارة والقضاء فى جميع كوره وان يجرى من الترفيع والاكرام له الى اقصى غاية وان يحمل على الجراية فى جميع املاكه بالكور المذكورة حاضرتها وباديتها الموروثة منها والمكتسبة القديمة الاكتساب والحديثة وما ابتاع منها من العالي رحمه

الله وغيره لايلزمها وظيف بوجه ولا يكلف منها كلفة على كل حال وان يجرى في قرابته وخوله وحاشيته وخاصته على المحافظة والبر والحرمة وأقسم على ذلك كله بلكين بن باديس بالله العظيم . والقرآن الحكيم . وأشهد الله على نفسه وعلى التزامه له وكفى بالله شهيدا وكتب بخط يده مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمان وأربعين واربعمائة والله المستعان . ولا شك ان هذا المقدار يدل على نبل ويعرف عن كفاية .

﴿ سبب وفاته ﴾

قال صاحب البيان المعرب وغيره وامضى باديس كاتب ابيه ووزيره اسماعيل ابن نغزلة اليهودي على وزراته وكتابته وسائر أعماله ورفع منزلته فوق كل منزلة وكان لولده بلكين خاصة من المسلمين يخدمونه وكان مبغضاً في اليهود فبلغه انه تكلم في ذلك لأبيه فبلغ منه كل مبلغ فدبر الحيلة فذكروا انه دخل عليه يوماً فقبل الارض بين يديه فقال له الغلام ولم ذلك فقال يرغب العبد أن تدخل داره مع من أحببت من خدامك وعبيدك فدخلها بعد ذلك فقدم له ولرجاله طعاماً وشراباً ثم جعل السم في الكاس لابن باديس فرام الانصراف فلم يقدر عليه فحمل الى قصره وقضى نحبه في يومه فبلغ الخبر الى ابيه ولم يعلم السبب فقرر اليهودي عنده ان أصحابه وبعض جواريه سموه فقتل باديس جواري ولده ومن نسائه وبني عمه وخافه سائرهم ففروا عنه وكانت وفاته سنة ست وخمسين واربعمائة وبعده قتل اليهودي في سنة تسع وخمسين



باديس بن حيوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجي كنيته ابو مناد ولقبه الحاجب

(المظفر بالله الناصر لدين الله)

اوليته

قد تقدم الالماع بذلك عند ذكر ابنه بلكين

حاله

كان رئيساً يبسا طاغية جبارا شجاعا داهية حازما جلدا شديد الشر سديد الرأى بعيد الهمة مأثور الاقدام شره السيف وارى زند الشر جماعا للمال صخمت به الدولة ونبهت الالقاب وامنت بحمايته الرعايا وطم تحت جناح سيفه العمران واتسع بطاعته المرهبة الجوانب بباسه النظر وانفسح الملك وكان ميمون الطائر مضخم الظفر مصنوعا له فى الاعداء يقنع أقياله بسلمه ولا يطمع اعداؤه فى حربه . قال ابن عساكر يكنى أبا مسعود وكان من أهل الحزم وحماية الجانب وكان يخطب ويدعو للعلويين بمالقة الى ان توفى إدريس بن حمود ملك مالقة سنة ثمان واربعين واربعمائة

وقال الفتح فى قلائده كان باديس بن حيوس ملك غرناطة عاثثًا فى فريقه . عادلا عن سنن العدل وطريقه . يجترئ على الله غير مراقب . ويجرى الى ماشاء غير ملتفت للعواقب . قد حجب سنانه لسانه . وسبقت إساءته احسانه . ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم . ولا شرب الماء الا من

قليب دم. أحزم من كاد ومكر. واجرم من راح وابتكر. وما زال متقدا في مناحيه. مفتقداً لنواحيه. لايرام بريث ولا عجل. ولا يبيت له جار الا على وجل

﴿ اخباره في وقائعه ﴾

ينظر ايقاعة بزهير العامري ومن معه في اسم زهير فقد كتب منه هنالك نبذة وايقاعه بجيش ابن عباد بمالقة عند ماطرق مالقة وتملكها واستصرخ من استمسك بقصبتها من اساودتها وغير ذلك مما هو معلوم وشهرته مغنية عن الاطالة

ومن أخباره في البربرية والقسوة قال ابن حيان عند ما استوعب الفتكة بابي نصر بن أبي السنرى امير رندة المشدى وقتله ورجوعه الى ابن عباد حكي ابو بكر الرستشاني الفقيه عن ثقة عنده من أصدق التجار حضر مدينة غرناطة حضرة باديس بن حيوس الجبار أيام حدث على ابى نصر صاحب تاكرنا ماحدث ان أميرها باديس قام بالحادثة وقعد وهاج من دم عصبيته ما قد سكن . وشق أثوابه وأعلن اعواله وهجر شرابه الذى لاصبر له عنه وجفا ملاذه واوهمته نفسه الخبيثة تمالؤ رعيته من أهل الاندلس على مثل الذى دهي ابا نصر فسولت له نفسه حمل السيف على أهل حضرته جميعاً مستحضراً لهم ركبا يبيدهم ويخلص برابره وعبيده فيريح نفسه فدبر أن يأتى ذلك عند اجتماعهم بمسجدهم الجامع لاقرب أيام الجمعة من قوة همومه وشاور وزيره اليهودي يوسف بن اسماعيل مدبر دولته الذى لايقطع أمرا دونه مستخلياً مستكتما بسره مصمما فى عزمه ان هو لم يوافقه عليه فنهاه عن ذلك وخطأ رأيه فيه وسأله الأناة ومحض الروية وقال له هبك وصلت الى ارادتك ممن

بحضرتك على مافى استباحتهم من الخطر فاني تقدر على الاحاطة بجميعهم من أهل حضرتك وبسائط أعمالك اتراهم يطمئنون الى الذهول عن مصائبهم والاستقرار فى مواضعهم ما أراهم الا سيوفا ينتظمون عليك فى جموع يغرقونك فى لججها انت وجندك فرد نصيحته وأخذ الكتمان عليه وتقدم الى عارضه باعراض الجند فى السلاح والتعبية لركوبه يوم الفتكة يوم تلك الجمعة فارتج البلد ٠ وذكر ان اليهودى دس نسوانا الى معارف لهن من زعماء المسلمين بغرناطة ينهاهم عن حضور المسجد يومهم ويامرهم باخفاء انفسهم وفشا الخبر فتخلف الناس عن شهود الجمعة ولم يأته الا نفر من عامتهم اقتدوا بمن أتاه من مشيخة البربر واغفال القادمين وجاء الى باديس الخبر والجيش فى السلاح حوالى قصره فساءه وفتّ فى عضده ولم يشك فى فشو سيره واحضر وزيره وقلده البوح بسره فانكر ما أقر به وقال ومن اين ينكر على الناس الخبر وانت قد استركبت جندك وجميع جيشك فى التعبية لا لسفر ذكرته ٠ ولا لعدو وثب عليك فمن هنالك حدس القوم على انك تريدهم وقد أجمل الله لك الصنع فى نفارهم ووقاك شرهم فأعد نظرك ياسيدى فسوف تحمد عاقبة رأيي وغبطة نصحى ونصر وزيره شيخ من مشايخ صنهاجة فانعطف لذلك بعد لأى وشرح الله صدره ٠ ويجرى التعريف بشئ من أمور وزيره

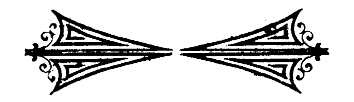
قال ابن عذارى المراكشى فى كتابه المسمى بالبيان المعرب امضى باديس كاتب ابيه ووزيره ابن نغزلة اليهودى وعمالا متصرفين من أهل ملته فاكتسبوا الجاه فى أيامه واستطالوا على المسلمين ٠ قال ابن حيان وكان هذا اللعين فى ذاته على ما زوى الله عنه من هدايته من أكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكاء وأمانة وركانة ودهاء ومكرا وملكا لنفسه وبسطا لخلقه ومعرفة

بزمانه ومداراة لعدوه واستسلالا لحقودهم بجلده من رجل كتب بالقلمين واعتنى بالمعلمين وتشقف باللسان العربي ونظر فيه وقرأ كتبه وطالع أصوله فانطلقت يده ولسانه وصار يكتب عنه وعن صاحبه بالعربي فيما احتاج اليه من فصول التحميد لله تعالى والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والتزكية لدين الاسلام وذكر فضائله مايريده ولا يقصر فيما ينشئه عن أواسط كتاب الاسلام وجمع لذلك السجيح في علوم الاوائل الرياضية وتقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النجومية ويشارك فى الهندسة والمنطق ويعرف فى الجدل كل مسؤل عنه على غاية قليل الكلام مع ذكائه ماقتا للاسباب دائم التفكر جماعا للكتب هلك فى العشر الثانى لمحرم سنة تسع وخمسين واربعمائة فحمل اليهود نعشه ونكسوا لها أعناقهم خاضعين. وتفاقدوه جازعين . وبكوه معلنين . وكان قد حمل ولده يوسف المكنى بأبي حسين على مطالعة الكتب وجمع اليه المعلمين والادباء من كل ناحية يعلمونه ويدارسونه وأعلقه بصناعة الكتابة ورشحه لاول حركته لكتابة ابن مخدومه بلكين برتبة المترشح لمكانه تمهيداً لقواعد خدمته فلما هلك اسماعيل فى هذا الوقت ادناه باديس اليه وأظهر الاغتباط به والاستماضة بخدمته عن أبيه

﴿ ذكر مقتل اليهودى يوسف بن اسماعيل بن نغزلة الاسرائيلى ﴾

قال صاحب البيان وترك ابنا له يسمى يوسف لم يعرف ذل اليهودية ولا قدر الذمة وكان جميل الوجه حاد النظر فأخذ فى الاجتهاد فى الاحوال

وجمع المال واستخراج الاموال . واستعمال اليهود على الاعمال . فزادت منزلته عند أميره وكانت له عليه عيون فى قصره من نساء وفتيان يشملهم بالاحسان فلا يكاد انسان يتنفس الا وهو يعلم ذلك . ووقع ما تقدم ذكره فى ذكر بلكين من اتهامه بسمه وتولية التهمة به عند أبيه للكثير من جواريه وخدمه وفتك هذا بقريب له تلوٍ له فى الخدمة والوجاهة يدعى بالقائد شعر منه بمزاحمته اياه فتكة شهيرة واستهدف للناس فشغلت به ألسنتهم وملئت غيظاً عليه صدورهم وذاعت قصيدة الزاهد أبي اسحق الالبيرى فى الاغراء بهم واتفق ان غزت غرناطة بعوث صمادحية يقال انها باستدعائه ليصير الامر الصنهاجي الى مجهزها الامير بمدينة المرية وباديس فى هذه الحال منغمس فى بطالته عاكف على شرابه ونمى هذا الامر الى رهطه من صنهاجة فدخلوا الى دار اليهودى مع العامة ودخلوا عليه فاختفى زعموا فى بيت فحم وسود وجهه يروم التنكر فقتلوه لما عرفوه وصلبوه على باب مدينة غرناطة وقتل من اليهود في يومه مقتلة عظيمة ونهبت دورهم وذلك سنة تسع وخمسين واربعمائة وقبره اليوم وقبر أبيه يعرف أصلا من اليهود ينقلونه بتواتر عندهم امام باب البيرة على غلوة يعترض الطريق على لحده حجارة كدان جافية الجرم ومكانه من الترفه والترف والظرف والادب معروف وانما أتينا ببعض أخباره لكونه ممن لا يمنع ذكره فى أعلام الادباء والافراد الا نحلته



مكان باديس من الذكاء وتولهه

بالقضايا الآتية

قال ابن الصيرفي حدثني أبو الفضل جعفر الفتى وكان له صدق وفي نفسه عزة وشهامة وكرم وأثنى عليه وعرف به حسبما يأتي في اسم جعفر المذكور قال خاض باديس مع أصحابه في المجلس العلي من دار الشراب بقصره واصطفت الصقالب والعبيد بالبرطل المتصل به لتخدم ارادته فورد عليه نبأ قام لتعرفه عن مجلسه ثم عاد الى موضعه وقد تجهم وجهه وخبثت نفسه نخاف ندماؤه على انفسهم وتخيلوا وقوع الشر بهم ثم قال أعلمتم ماحدث قالوا لا والله لانطلع على خبر قال دخل المرابط الدمنة فسرى عن القوم وانطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصره وفسحة عمره ودوام دولته ثم وجموا لوجومه فلما تكدر صفوهم قال أقبلوا على شأنكم ما نحن وذاك اليوم خمر وغدا أمر بيننا وبينه امداد الفجوات ونشوز الجبال وأمواج البحار ولكن لابد له أن يتملك بلدي ويقعد منه مقعدي وهذا أمر لا يلحقه أحد منا وانما يشقي احفادنا قال جعفر فلما دخل الامير القصر عند خلعه حفيد باديس برحبة مؤمل طاف بكل ركن ومكان منه وانا في جملته حتى انتهى الى ذلك المجلس فبسط له ماقعد عليه فتذكرت قول باديس وتعجبت منه تعجبا ظهر عليّ فالتفت الى أمير المسلمين منكرا وسألني مالي فاخبرته وصدقته وقصصت عليه قول باديس فتعجب وقام الى المسجد بمن معه فصلى فيه ركعات واقبل يترحم على قبره

﴿ وفاته ﴾

قال ابو القاسم بن خلف توفى باديس ليلة الاحد الموفي عشرين من شوال سنة خمس وستين واربعمائة ودفن بمسجد القصر . قلت وقد ذهب أثر المسجد وبقى القبر يحف به حلق له باب كل ذلك على سبيل من الخمول وحول القبر رخام الى جانب قبر الامير المجاهد أبى زكريا يحيي بن غانية المدفون فى دولة الموحدين .

وقد أدال اعتقاد الخليفة فى باديس بعد وفاته وقدم العهد بتعرف اخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للاوهام والانصياع للاضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج والشفا من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ماليس على قبر معروف الكرخى وابي يزيد البسطامى .

ومن أغرب ما وقفت عليه رقعة الى السلطان على يد رجل من أهل الخير مكتتب يؤم في مسجد القصبة القدمى من دار باديس يعرف بابن باق وهو يتوسل الى السلطان ويسأل منه الاذن في دفنه مجاورا لقبره . وعفو الله أوسع من أن يضيق على مثله ممن أسرف على نفسه وضيع حق ربه . وداره اليوم طلول تغيرت أشكالها وقسم التملك جناتها ومع ذلك فمعاهدها اليه منسوبة واخباره متداولة .

وقد ألممت فى بعض مشاهده بقولي من قصيدة غريبة الاغراض تشتمل على فنون أثبتها احماضا وفكاهة لمن يطالع هذا الكتاب وان لم يكن جلبها ضروريا فمنها

عسى خطرة بالركب ياحادى العيس　　على الهضبة الشماء من قصر باديس

بكرون بن أبي بكر بن الاشقر الحضرمي

يكنى أبا يحيي

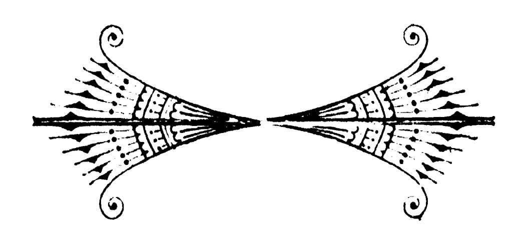
حاله

كان من ذوي الاصالة ومشائخ الجند فارسا نجـدا حازما سديد الرأى مسموع القول شديد المطلة وسيما قائدا عند الجند الاندلسى فى أيام السلطان ثانى ملوك بنى نصر من احفل ما كان الامر يجر وراءه دنيا عريضة وجبي الجيش على عهده مغانم كثيرة .

قال شيخنا ابن شيرين فى تذكرة ألفيتها بخطه كان له فى الخدمة مكان كبير وجاه عريض ثم صرفه الامر عن رسمه . وانزله الدهر عن حكمه تغمدنا الله واياه برحمته .

وفاته

فى عام اربعة عشر وسبعمائة ودفن بمقبرة قومه بباب البيرة .



بدر مولى عبد الرحمن بن معاوية الداخل

يكني أبا النصر رومى الاصل

حاله

كان شجاعا داهية حازما فاضلا معصما تقيا علما من اعلام الوفاء لازم مولاه فى أعقاب النكبة وصحبه الى المغرب الاقصى مختصا به ذابًا عنه مشتملا عليه وخطب له الامر بالاندلس فتم له بها ماهو مذكور .

قال ابو مروان فى المقتبس ان عبدالرحمن لما شرده الخوف الى قاصية المغرب وتنقل من قبائل البربر ودنا من ساحل الاندلس وكانت همته ان يستخبر من قرب فعرف ان بلادها مفترقة بفرقتى العرب المضرية واليمانية فزاد ذلك فى طماعه فادخل اليهم بدرا مولاه يتجسس عن خبرهم فأتي القوم وبلا ما عندهم فداخل اليمانيين منهم وقد عصفت ريح المضريين بظهور العباس فقال لهم ما رأيكم فى رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم فيقيم اودكم ويدرككم آمالكم فقالوا ومن لنا به فى هذه الديار فقال بدر ما ادناه منكم وانا الكفيل لكم به هذا فلان بمكان كذا وكذا يمد من نفسه قالوا فجيهلا به انا سراع الى طاعته وارسلوا بدرا بكتبهم يستدعونه فدخل اليه بأيمن طائر واجتمع عليه خلق من أنصاره قاتل بهم يوسف الفهرى فقهره لاول وقائعه وأخذ الاندلس منه واورثها عقبه

﴿ محنته ﴾

قال الراوى وكان من اكبر من أمضي عليه عبد الرحمن بن معاوية حكم سياسته وقوم به مداته مولاه بدر المعتنق منه بكل ذمة محفوظة الحائض معه كل غمرة مرهوبة وكل ذلك لم يغن عنه نقيرا لما أسلف في ادلاله عليه واكثر من الانبساط لحرمته فجمع به مركب لحامله(١) حتى اورده ألما يضيق الصدر عنه وآسف أميره ومولاه حتى كبح عنانه بعد ذلك كبحة نعى بها اوشارف حمامه لولا أن أبقى الامير على نفسه التى لم يزل مسرفا عليها قال فانتهى فى عقابه لما سخط عليه ان سلب نعمته وانتزع دوره وأملاكه واغرمه على ذلك كله اربعين الفا من صامته ونفاه الى الثغر فاقصاه عن قربه ولم يقله العثرة الى ان هلك فرجع طمع الهوادة عن جميع ثقله وخدمته وصير خبره مثلا فى الناس بعده

﴿ تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين بعد ابيه بالعدوة موالى حروب الموحدين ﴾

﴿ اوليته ﴾

فيما يختص به التعريف باولية قومه ينظر في اسم ابيه وجده ان شاء الله . قال ابن الوراق فى كتاب المقباس وغيره . وفى سنه اثنين وعشرين وخمسمائه ولى الامير على بن يوسف أمير لمتونة الشهير بالمرابط ولده الامير

---

(١) كذا بالاصل وليحرر اه

المسمى بسير عهده من بعـده وجعل له الامر في بقية حياته ورأى أن يولى ابنه تاشفين الاندلس فولاه غرناطة والمرية ثم قرطبة مضافة الى مابيده

قلت فى قولهم ان يولي الاندلس فولاه مدينة غرناطة شاهـد كبير على ما وصفنا من شرف هذه المدينة فنظر في مصالحها وظهر له بركة فى النصر على الدول وخدمه الجد الذى اسلمه وتبرأ منه فى حروبه مع الموحدين حسبما يتقرر فى موضعه فكانت له على النصارى وقائع عظيمة بعدلها الصيت وشاع الذكر حسبما يأتى فى موضعه قال فكبر ذلك على اخيه سير ولى عهـد ابيه وفاوض أباه فى ذلك وقال ان الامر الذى أهلتنى اليه لايحسن لى مع تاشفين فانه قد جمل الذكر والثناء دونى وغطى على اسمى وامال اليه جميع أهل المملكة فليس لى معه اسم ولا ذكر فارضاه بان عزله عن الاندلس وأمره بالوصول الى حضرته فرحل عن الاندلس فى أواسط سـنة أحد وثلاثين وخمسمائة ووصل مراكش وصار من جملة من يتصرف بامر اخيه سير ويقف ببابه كاحد حجابه فقضى الله وفاة الامير سير على الصورة القبيحة حسبما يذكر فى اسمه وثكله ابوه واشتد جزعه عليه وكان عظيم الايثار والارضاء لأمه قمر وهي التى تسببت فى عزل تاشفين واخماله نظرا الى ابنها فقطع المقدر أربها عن أملها بهلاكه

ولما توفي الامير سير اشارت الام المـذكوره على ابيه بتقديم ولده اسحق وكان رأما لها قد تولت تربيته عند هلاك أمه وتبنته فقال لهـا هو صغير السن لم يبلغ الحلم ولـكن اجمع الناس فى المسجد خاصة وعامة واخبرهم فان صرفوا الخيار الى فعلت ماأشرت به فجمع الناس وعرض عليهم الامر فقالوا كلهم بصوت واحد تاشفين فلم توسعه السياسة مخالفتهم فعقد له الولاية

بعد ونقش اسمه فى الدنانير والدراهم مع اسمه وقلده النظر فى الامور السلطانية فاستقر بذلك وكتب الى العدوة والاندلس وبلاد المغرب ببيعته فوصلت البياعات من كل جهة ثم رمي به جيوش الموحدين الخارجين عليه فنباجده ومرضت أيامه وكان الامر عليه لا له بخلاف ماصنع الله له بالاندلس

قال ابو مروان الوراق وكان الامير على بن يوسف بن تاشفين قد أمل فى ابنه تاشفين مالم تكن الاقدار تساعده به فتشاءم به وعزم على خلعه وصرف عهده الى اسحق ولده الاصغر ووجه الى عامله باشبيلية أن يصل اليه ليجعله شيخ ابنه الى ان اوفى خبر أقلقه ولم يهمله فازعج تاشفين الى عدوه على أهبة بتفويضه أياه وصرف المدد فى أثره لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين

﴿ ملكه ووصف حاله ﴾

فأفضي اليه ملك ابيه بتفويضه اياه فى حياته لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وكان بطلا شجاعا حسن الركبه والهيئة سالكا ناموس الشريعة مائلا الى طريقة المستقيمين وكتب المريدين قيل انه لم يشرب قط مسكرا ولا استمع الى قينة ولا اشتغل مرة بما يلهو به الملوك

﴿ الثناء عليه ﴾

قال ابن الصيرافى وكان بطلا شجاعا أحبه الناس خواصهم وعوامهم وحسنت سيرته فيهم وسد الثغور واذكى على العدو العيون وآثر الجند . ولم يكن منه الا الجد . ولم تنل منه الا حظوة بالغناء والنجدة . وبذلك حمل على الخيل وقلد الاسلحة واوسع الارزاق واستكثر من الرماة واركبهم واقام هممهم ولم ينهض الا ظهر . ولا صدر الا ظفر . ملك الملك ومهد بالحزم

وتملك نفوس الرعايا بالعدل وقلوب الجند بالنصفة ثم قال ولولا الاختصار الذى اشترطنا لاوردنا من سنى خلاله مايضيق عنه الرحب . ولا يسعه الكتب

﴿ دينه ﴾

قال المؤرخ عكف على زيارة قبر ابى وهب الزاهد بقرطبة وصاحب أهل الارادة وكان وطئ الا كناف سهل الحجاب يجالس الاعيان ويذا كرهم قال ابن الصيرافى ولما قدم غرناطة اقدم على صيام النهار وقيام الليل وتلاوة القرآن واخفاء صدقته وايثار الحق

﴿ دعابته ﴾

قالوا مر يوما بمرج القلوب من احواز قلعة يحصب فقال لزمال من عبيده كان يمازحه هذا مرجك فقال الزمال ماهو الا مرجك ومرج ابيك وأما أنا فمن أنا فضحك واعرض عنه

﴿ دخوله غرناطة ﴾

قالوا فى عام ثلاثة وعشرين وخمسمائة ولى الامير ابو محمد تاشفين بن أمير المسلمين على بن أمير المسلمين يوسف ووافاها فى السابع عشر لذى حجة فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون وعمد الى رحبة القصر فأقام بها السقائف والبيوت واتخذها لخزن السلاح ومقاعد الرجال وضرب الهام . وانشأ السقى وعمل التراس ونسج الدروع وصقل البيضات والسيوف وربط الخيل وأقام المساجد فى الثغور وبنى لنفسه مسجدا بالقصر وواصل الجلوس للنظر فى المظالمات وقراءة الرقاع ورد الجواب وكتب التوقيعات واكرام الفقهاء والطلبة وكان له فى كل جمعة يوم يتفرغ فيه للمناظرة .

﴿ وزراؤه ﴾

قال ابو بكر وقرن الله به ممن ورد معه الزبير بن عمر اللمتوني نور الزمان كرما وبسالة . وحزما واصالة . فكان كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من ولى شيئاً من أمور المسلمين فاراد الله به خيرا جعل له الله بطانة خير وجعل له وزيرا صالحا إن نسى شيئاً ذكره وان ذكره اعانه .

﴿ عماله ﴾

الوزير ابو محمد الحسين بن زيد بن ايوب بن حامد بن محمد .

﴿ كتابه ﴾

الرئيس العالم ابو عبد الله بن ابى الخصال والكاتب المؤرخ ابو بكر الصيرفي ومن أخباره خرج الامير تاشفين فى رمضان عام اربعة وعشرين وخمسمائة بجيش غرناطة ومطوعتها واتصل به جيش قرطبة الى حصن السكة من عمل طليطلة وقد اتخذه العدو ركابا لاضراره بالمسلمين وجسّم به شوكة حادة بقومس مشهور فاحدق به ونشر الحرب عليه فافتتحه عنوة وقتل من كان به واحي قائده برنك ومن معه من الفرسان وصدر الى غرناطة فبرز له الناس بروزا لم يعهد مثله . وفى شهر صفر من عام خمسة وعشرين اوقع بالعدو المضيق على اوليته . وفى ربيع الاول من عام ستة وعشرين تعرف بخروج عدو طليطلة الى قرطبة فبادر الامير تاشفين الى قرطبة ثم نهض الى العدو فى خف وترك السيفة والثقل بارجوانة وقد اجتمع بشط انتطش والوادى الاحمر واسرى الليل وواصل الركض وتلاحق بالعدو بقرية براشة فترآى الجمعان صبحا وافتضح الجيش ونشرت الرماح والرايات وهدرت الطبول وضاقت المسافة وانتبذ العدو على الغنيمة والتف الجمع وتقاصرت الرماح ووقعت

المسايفة ودارت الحرب على العدو وأخذ السيف مأخذه فأتى القتل على آخرهم وصدر الى غرناطة ظاهرا . وفى آخر هذا العام خرج العدو للنمط وقد احتفل في جيشه الى بلاد الاسلام فصبح اشبيلية يوم النصف من رجب وبرز اليه الامير ابو جعفر بن الحاج فكانت عليه الدبرة فى نفر من المسلمين استشهد جميعهم معه ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجللها نهبا وغارة فقتل عظيما وسبي عظيما وبلغ الخبر الامير تاشفين فطوى المراحل ودخل اشبيلية وقد أسرها واستؤصلت باديتها وكثر بها التأديب والتنكيل وأخذ أعقاب العدو وقد قصد ناحية بطليوس وباجة وبارزه فى ألوف عديدة من انجاد الرجال . ومشهورى الابطال فظفر بالايحصيه أحد . ولا يقع عليه عدد . وانثنى على رسل تنقل السيفة وثقته ببعد الصارخ وتجشمت بالامير تاشفين الادلاء كل ذروة وثنية واقصى به الاغذاذ الى فلات بقرب الزلاقة وهو المهيع الذى يضطر العدو اليه ولم يكن الا كلا ولا حتى اقبلت الطلائع منذرة باقباله والغنيمة فى يده قد ملأت الارض فلما ترآى الجمعان واضطربت المحلات رتبت المواكب فاخذت مصافها ولزمت الرجال مراكبها فكان فى القلب مع الامير وجوه المرابطين واصحاب الطاعات وعليه البنود الباسقات مكتتبة في ايالات وفي الساقة كبار الدولة من أبطال الاندلس عليهم حمر الرايات بالصور الهائلة وفي الجناحين أهل الثغر والارياف من أهل الجلادة عليهم الرايات المرقمات بالعذبات المجزعات وفى المقدمة مشاهير زناتة ولفيف الحشم بالرايات المصبغات والاعلام المنبقات والتقي الجمعان ونزل الصبر وحميت النفوس واشتد الضرب والضراب وكثرت الحملات فهزم الله الكافرين . واعطو ارقابهم مدبرين

فاوقع القتل واستحكم فى العدو السيف واستاصله الهلاك والاسار وكان فتحا جليلا لا كفاء له وصدر تاشفين ظافراً الى بلده فى جمادى من هذا العام . ولو ذهبنا لاستقصاء حركات الامير تاشفين لاستدعى ذلك طولا .

﴿ بعض مامدح به ﴾

فمن ذلك

أما وبيض الهند عنك خصوم ... فالروم تبذل ماظباك تروم

تمشى سيوفك فى العدا ويردها ... عن نفسه حيث الكلام رخيم

وهذه القصائد قد اشتملت على اغراضها الحماسية والملك سوق يجاب اليها ماينفق عندها

﴿ وفاته ﴾

تقدم انصرافه عن الاندلس سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وقيل سنة اثنين واستقراره بمراكش مرؤسا لاخيه سير الى ان افضى اليه الامر بعد ابيه قال واستقبل تاشفين مدافعة جيش أمير الموحدين ابى محمد عبد المؤمن بن على خليفة مهديهم ومقاومة أمر قضى الله ظهوره والدفاع عن ملك بلغ مداه وتمت ايامه كتب الله عليه التياث سعده . وفل حده . ولم تقم له قائمة الى ان هزم وتبدد عسكره ولجأ الى وهران فاحاط به الجيش وأخذه الحصار قالوا فكان من تدبيره ان يلحق ببعض السواحل وقدم تقدم به وصول بن ميمون قائد اسطوله ليرفعه الى الاندلس فخرج ليلا فى نفر من خاصته فرفهم الليل واضلهم الروع وبددتهم الاوعار فمنهم من قتل ومنهم من لحق بالقطائع البحرية وتردى بتاشفين فرسه من بعض الحافات ووجد ميتا من الغد وذلك ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وصلبه الموحدون

وتولوا الامر من بعده والبقاء لله تعالى ٠

ثابت بن محمد الجرجاني ثم الاستربادى

يكنى أبا الفتوح

حاله

قال ابن بسام كان الغالب على أدواته علم اللسان وحفظ الغريب والشعر الجاهلى والاسلامى الى المشاركة فى أنواع التعاليم والتصرف فى حمل السلاح والحذق بأنواع الجندية والنفاذ فى أنواع الفروسية فكان كاملا في خلال جمة ٠

قال أبو مروان ولم يدخل الاندلس اكمل من أبي الفتوح فى علمه وأدبه ٠ قال بن زيدون لقيته بغرناطة فأخذت عنه اخبار المشارقة وحكايات كثيرة وكان غزير الادب قوى الحفظ للغة نازعاً الى علم الاوائل من المنطق والنجوم والحكمة له بذلك قوة ظاهرة ٠

طروه على الاندلس

قال صاحب الذخيرة طرأ على الحاجب منذ صدر الفتنة للذائع من كرمه فاكرمه ابنه المرشح لمكانه فلم يزل له بهما المكان المكين الى أن تغير عليه يحيي لتغير الزمان٠ وتقلب الليالي والايام بالانسان ٠ ولحق بغرناطة بعسكر البرابرة ٠ فخلت به من أميرهم باديس الفاقرة ٠

﴿ من روى عنه ﴾

قال أبو الوليد قرأت عليه بالحضرة الحماسة في أشعار العرب يحملها عن احمد بن عبد السلام بن الحسين البصرى ولقيه ببغداد سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة عن أبي رياش احمد بن هشام بن نبيل العبسي بالبصرة سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وفى فضائله اخبار كثيرة .

﴿ محنته ووفاته ﴾

لحقته عند باديس مع ابن عمه يدير بن حباسة تهمة فى التدبير عليه والتسور على سلطانه دعتهما الى الفرار من غرناطة واللحاق باشبيلية قال أبو يحيي الوراق واشتد شوق ابى الفتوح الى أهله عند هربه مع يدير الى اشبيلية لما بلغه ان باديس قبض على زوجته وابنه وحبسهم بالمنكب عند العبدقداح صاحب عذابه وكان لها من نفسه موقع عظيم وكانت اندلسية جميلة جرواها طفلان ذكر وأنثي لم يطق عنهما صبراً وعمل على الرجوع الى باديس طمعاً في ان يصفح عنه كما عمل مع عمه أبى ريش فاستأمن الى باديس يوم نزوله على باب استجة اثر انهزام عسكر ابن عباد وفر صاحبه يدير ورمى هو بنفسه الى باديس من غير توثق بامان أو مراسلة فلما دخل عليه وسلم قال أترى بأي وجه جئتني ما أجرأك على حتفك واشد اغترارك بسحرك فرقت بين بنى ماكسن ثم جئت تخدعني كأنك لم تصنع شيئاً فلاطفه وقال اتق الله ياسيدي وارع ذمامي . وارحم غربتى وسوء منامي . ولا تلزمنى ذنب ابن عمك فمالى سبب فيه وما حملنى على الفرار معه الا الخوف على نفسي لسابق خلطته ولقد لفظتنى البلاد اليك مقراً بما لم اجنه رغبة في صفحك فافعل فعل الملوك الذين يجلون عن الحقد على مثلي من الصعاليك قال بل افعل ماتستحقه ان

شاء الله انطلق الى غرناطة فدم على حالك والق أهلك واصلح من شأنك فاطمأن الى قوله وخرج الى غرناطة وقد وكل به فارسين وصرف الكتب الى قداح بحبسه فلما شارف غرناطة قبض عليه وحلق رأسه واركب على بعير وجعل خلفه اسود ضخم يوالى صفعه وادخل البلد مشهراً ثم اودع حبساً ضيقاً ومعه رجل من اصحاب يدير أسر فى الوقعة من صنهاجة فأقاما فى الحبس معاً الى أن قفل باديس .

﴿ مقتله ﴾

قال أبو مروان في الكتاب المسمى بالتيسير واستراح باديس أياماً فى غرناطة يهيم بذكر الجرجاني ويعض انامله فيعارضه فيه ويرغب فيه أخوه بلكين ويكذب الظنون وسعى في تخليصه فارتبك باديس في أمره اياماً ثم غافص أخاه بلكين فقتله وقتاً أمن فيه معارضته لاشتغاله بشراب ولهو كانا من عادته فاحضر باديس الجرجانى الى مجلسه واقبل يشتمه ويسبه ويبكته ويقول لم تغن عنك نجومك يا كذاب ألم تعد أميرك الجاهل يعنى يدير أنه سوف يظفر بى ويملك بلدى ثلاثين سنة لم لم تمعن النظر لنفسك وتحذر ورطتك قد أباح الله لى دمك فأيقن أبو الفتوح بالموت واطرق ينظر الى الارض لا يكلمه ولا ينظر اليه فزاد ذلك فى غيظ باديس فوثب من مجلسه والسيف فى يده فخبط به الجرجانى حتى جدّ له وأمر بحز رأسه قال وقدم الصنهاجي الذي كان محبوساً معه الى السيف فاشتد جزعه وجعل يعتذر من خطيئته ويلج في ضراعته فقال له باديس أما تستحي يا ابن الفاعلة يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر ويملك نفسه عن كلامه لى واستعطافى وانت تجزع وطال ما أعددت نفسك فى اشداء الرجال لا أقال الله مقيلك فضرب عنقه

وانقضى المجلس .

ومن تمام الحكاية مما حكاه ابن حيان قال وكلم الصنهاجيون باديس في جثة صاحبهم المقتول مع أبي الفتوح قال فأمر باسلامها اليهم فخرجوا بها من فورهم الى المقبرة على نعش فأصابوا قبراً قد احتفر لميت من أهل البلد فصبوا صاحبهم الصنهاجي فيه وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة فعجب الناس من سبجهم في الاغتصاب حتي الموتى في قبورهم .

﴿ مولده ﴾

سنة خمسين وثلاثمائة

﴿ وفاته ﴾

كما ذكر ليلة السبت لاثنتين بقيتا من محرم سنة احدى وثلاثين واربعمائة . قال برهون من خدام باديس أمرني بمواراة أبي الفتوح الى جانب احمد بن عباس وزير زهير العامرى فقبراهما في تلك البقعة متجاوران وقال اجعل قبر عدو الى جانب عدوّ الي يوم القصاص فيالهما قبران جمعا ادبا لا كفاء له والبقاء لله سبحانه .

جعفر بن احمد بن علي الخزاعي من أهل غرناطة

ويعسوب الثاغية والراغية من اهل ربض البيازين يكنى ابا احمد الشهير ذكره بشرق الاندلس المعروف بكرامة الناس المقصود الحفرة المحترم التربة حتى من العدو الرائق بغير هذه الملة خرج قومه من وطنهم عند تغلب العدو

على الشرق نزلوا فى ربض البيازين جوفى المدينة وارتاشوا وتأثلوا وبنوا المسجد العتيق واقاموا رسم الارادة يرون انهم تمسكوا من طريق الشيخ ابي احمد بأثره فلا يغبون بيته ولا يقطعون اجتماعا على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة وايثار ركعات ثم ذكر ثم ترجيع ابيات فى طريق التصوف مما ينسب للحسين ابن الحلاج وامثاله يعرفونها منهم مشيخة قوالون هم فحول الاجمة وصراديك تلك القطيعة يهيجون بالابهم فلا يلبثون ان يحمى وطيسهم ويخالط صريعهم بالهمل فيرقصون رقصا غير مساوق الايقاع الموزون دون العجال الغالية منهم بافراد كلمات من بعض القول ويكر بعضهم على بعض وقد خلعوا اخشن ثيابهم ومرقعات قباطيهم ودرانيكهم فيدوم حالهم حتى يتصببوا عرقا وقوالهم يحركون فتورهم ويزمرون روحهم يخرجون بهم من قول الى آخر ويصلون الشيء بمثله فربما أخذت نوبة رقصهم بطرفى ليل التمام ولا تزال المشيخة لهم يدعونهم ويحاجون بهم الى منازلهم وربما استدعاهم السلطان الى مصره محمضا لطائف نعيمه باخشيشانهم مبديا التبرك بهم ولهم فى الشيخ أبى أحمد والد نحلتهم وشحنة قلوبهم عصبية له وتقليد اشارته ٣ وشرط فى صحة دينهم وارتكبوا فى النفور عن المزمار القصبي المسمى بالشبابة الذى رخص به فى حضور الولائم مع نفخ برعة العود الكثير من الجلة الصلحاء القدوة مرتكبا حتى ألحقوه بالكبائر الموبقة وتعذر اجتنابه جبلة وكراهة طباعة فتزوى عنده ذكره الوجوه وتقتحم عند الاتهام به الدور وتسقط فيما بينهم بفلتة سماعه اخوة الطريق وهم أهل سذاجة وسلامة اولو اقتصاد في ملابس واقتيات بادنى بلغة ولهم فى التعصب نزعة خارجية واعظمهم مابين مكتسب متسبب وبين معالج مدرة ومريع حياكة وبين أظهرهم من الذعرة

والصعاليك كثير . والطرق الى الله تعالى على عدد انفاس الخلائق جعلنا الله ممن قبل سعيه وارتضي ماعنده ويسره لليسرى .

﴿ حاله ﴾

قام هذا الرجل مقام الشيخ ابي تمام قريبه على هيئه مهاكة فسده مسده على حال فتور وغرارة حتي لان له متن الخطة وخف عليه بالمران ثقل الوظيفة فأم وخطب وقاد الجماعة من أهل الارادة وقضى فى الامور الشرعية بالربض تحت ضبط قاضي الجماعة وهو الآن بعهده على حاله حسن السجية دمث الاخلاق لين العريكة سهل الجانب مقترن الصدق والعفة ظاهر الجدة محمود الطريقة تطؤه اقدام الكاف وتطرح به المطارح القاصية مقبول على الشفاعات مستور الكفاية فى نفق الضعف متوالى شعلة الادراك فى حجر الغفلة وجه من وجوه الحضرة فى الجمهورية مرعى الجانب مخفف الوظائف مقصودا من منابى أهل طريقه بالهدايا مستدعي الى من بالجهات منهم فى كثير من الفصول ظاهر الجدوى في نفير الجهاد رحمه الله ونفع باهل الخير .

﴿ مولده ﴾

عام تسعه وسبعمائة

﴿ وفاته ﴾

يوم الاثنين التاسع والعشرين لرمضان خمسه وستين وسبعمائه



جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيدبونه الخزاعي

من اهل شرق الاندلس من نظردانية

(يكنى أبا احمد الولى الشهير)

حاله

كان احد الاعلام المنقطعين القرين فى طريق الله تعالى واولى الهداية شهير شائع الحلة كثير الاتباع بعيد الصيت توجب حقه حتى الامم الدائنة بغير دين الاسلام عند التغاب على قرية مدفنه بما يقضى منه بالعجب . قال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير عند ذكره فى الصلة . أحد الاعلام المشاهير فضلا وصلاحا قرأ ببلنسية وتفقه وكان يحفظ نصف المدونة وأقرأها ويؤثر الحديث والتفسير والفقه على غير ذلك من العلوم

مشيخته

أخذ القرآآت السبع عن المقرئ أبى الحسن بن هذيل وأبي الحسن ابن النعمة ورحل الى المشرق فلقى فى رحلته جلة أشهرهم وأكبرهم فى باب الزهد وانواع سنى الاحوال ورفيع المقامات الشيخ الجليل ولى الله تعالى ابو مدين شعيب بن الحسن المقيم ببجاية صحبه وانتفع به ورجع من عنده بعجائب دينية . ورفيع احوال ايمانية . وغلبت عليه العبادة فشهر بها حتى رحل اليه الناس للتبرك بدعائه . والتيا من برؤيته ولقائه . فظهرت بركته على القليل والكثير . وارتووا زلالا من ذلك العذب النمير . وحظه من العلم مع عمله الجليل موفور . وعلمه وعمله نور على نور . لقيت قريبه الشيخ أبا تمام غالب بن الحسين

ابن سيد بونة حين ورد غرناطة فكان يحدث عنه بعجائب

﴿ دخوله غرناطة ﴾

وذكر المعتنون باخباره بالحضرة الى طريقه انه دخل الحضرة وصلى في رابطة الربط من باب (١) واقام بها أياما فلذلك المسجد المزية عندهم الى اليوم وانتقل الكثير من أهله وأذياله عند تغلب العدو على الشرق على بلدهم الى هذه الحضرة فسكنوا بها ربض البيازين على دين وانقباض وصلاح فيحجون بكنوز من أسرره ومبشراته مضنون بها عن الناس وبالحضرة اليوم منهم بقية تقدم الالماع بذكرهم

﴿ وفاته ﴾

توفى رضى الله عنه بالموضع المعروف بزنانة فى شوال سنة أربع وعشرين وستمائة وقد نيف عن الثمانين

﴿ حسن بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الاحوص ﴾

﴿ القرشى الفهرى ﴾

نشأ بغرناطة يكنى أبا على ويعرف بابن الناظر

﴿ حاله ﴾

كان متفننا فى جملة معارف أخذ من كل علم بحظ وافر حافظاً للحديث والتفسير ذاكراً للادب واللغة والتاريخ شديد العناية بالعلم مكبا على

(١) بياض بالاصل

استفادته وافادته حسن الالقاء لطلبة العلم حريصاً على نفعهم جميل المشاركة لهم ٠ وقال الاستاذ كان من بقايا أهل الضبط والاتقان لما رواه وآخر مقرئي القرآن وممن يعتبر في الاسانيد ومعرفة الطرق والروايات متقدماً في ذلك على أهل وقته وهو أوفر من بالاندلس في ذلك القرن في العربية والقراءة أقرأ بغرناطة مدة ثم انتقل الى مالقة فاقرأ بها يسيراً ثم انقبض عن الاقراء وبقي خطيباً بمالقة نحواً من خمس وعشرين سنة ثم كر منتقلا الى غرناطة فولى قضاء المرية ثم قضاء بسطة ثم قضاء مالقة

﴿ وصمته ﴾

قال الاستاذ لانه كان فيه خلة أخلت به وحملته على إعداء ما ليس من شأنه عفا الله عنه فكان ذلك مما يزهد فيه

﴿ مشيخته ﴾

روى عن الاستاذ المقرئ أبي محمد عبد الله بن حسين الكواب أخذ عنه قراءة السبع وغير ذلك وعن أبي عليّ وأبي الحسن بن سهل بن مالك الازدي وأبي عبد الله محمد بن يحيى المعروف بالحلبي وجماعة غير هؤلاء ودخل الى شبيلية فروى بها عن الشيخ الاستاذ أبي عليّ أكثر كتاب سيبويه تفقها وغير ذلك وأخذ عن جماعة كثيرة من أهلها وقدم عليها اذ ذاك القاضي أبو القاسم بن بقي فلقيه وأخذ عنه ورحل الى بلنسية فأخذ بها عن الحاج أبي الحسن بن خيرة وابي الربيع بن سالم وسمع عليه جماعة صالحة كابي عامر بن يزيد بن أبي العطاء بن يزيد وغيرهم وبجزيرة شقر عن أبي بكر بن وضاح وبمرسية عن جماعة من أهلها ٠ وبأربونة عن أبي الحسن بن يبقي وبمالقة عن آخرين وتحصل له جماعة ينيفون على الستين

﴿ تصانيفه ﴾

منها المسلسلات والاربعون حديثا والترشيد . فى صناعة التجويد .
وبرنامج روايته وهو نبيل

﴿ شعره ﴾

كان يقرض شعراً لا يرضى لمثله ممن برز تبريزه فى المعارف

﴿ مولده ﴾

يوم الخميس الآخر من شوال سنة خمسين وستمائة

﴿ وفاته ﴾

توفى بغرناطة لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة

﴿ الحسن بن محمد بن الحسن النباهى الجذامى ﴾
﴿ من أهل مالقة يكنى أبا على ﴾

﴿ اوليته ﴾

قال القاضى المؤرخ ابو عبد الله بن ابى عسكر فيه من حسباء مالقة
واعيانها وقضاتها وهو جد بنى الحسن المالقيين وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة
لم يزلوا يرثون ذلك كابرا عن كابر ا ستقضى جده المنصور بن ابي عامر وكانت
له ولاصحابه حكاية مع المنصور .

قال القاضى بن عياض اخبرنى أبى قال اجتمعنا يوماً بمنزل لنا بجهة الناعورة
بقرطبة مع المنصور بن ابى عامر فى حداثة سنه وأوان طلبه وهو مرتج
مؤمل ومعنا ابن عمه عمر بن عبد الله بن عسقلان والكاتب ابن المرعزى

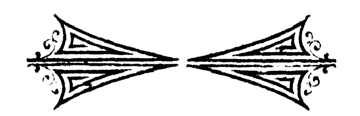
والفقيه ابو الحسن الملاخي وكانت سفرة فيها طعام فقال ابن أبى عامر من ذلك الكلام الذى كان يتكلم به لابد أن نملك الاندلس ونحن نضحك منه ومن قوله ثم قال يتمنى كل واحد منكم ماشاء علىّ أوليه فقال عمر أتمنى ان توليني المدينة نضرب ظهور الجنات . وقال ابن المرعزى وانا اشتهى القضاء في في أحكام السوق وقال ابو الحسن وانا أحب ان توليني قضاء مالقة قال موسى ابن غدرون قال لى تمن انت فشققت لحيته بيدى واضطربت به وقلت قولا قبيحاً من قول السفهاء فلما ملك ابن أبى عامر الاندلس ولى ابن عمه المدينة وولى ابن المرعزى أحكام السوق وولى أبا الحسن المالقى القضاء وبلغ كل واحد ماتمنى واخذ منى مالا عظيما افقرنى لقبح قولى . فبيت بنى الحسن شهير وسيأتي من أعلامه مافيه كفاية .

﴿ حاله ﴾

قال ابن ابن الزبير فى كتاب نزهة البصائر والابصار كان طالباً نبيلا من أهل الدين والفضل والنهي والنباهة

﴿ وفاته ﴾

توفى سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ذكره ابن بشكوال فى الصلة وعرف بولايته قضاء غرناطة وذكره ابن عسكر وتوهم فيه الملاحي فقال هو من أهل البيرة .



حسن بن محمد بن حسن القيسي

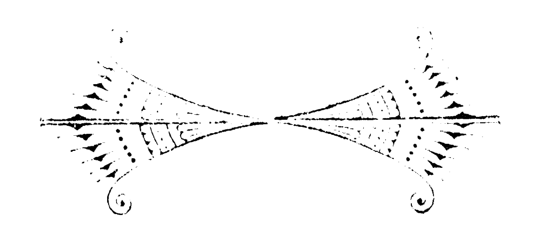
من أهل مالقة يكنى أبا علي

(ويعرف بالقلنار)

حاله

كان رحمه الله بقية شيوخ الأطباء ببلده حافظا للمسائل الطبية ذاكرا للداء فسيح التجربة طويل المزاولة متصرفا في الأمور التي ترجع إلى صناعة اليدين صيدلة واختراعا محاربا مقدورا عليه في أخرياته سادجا مخشوشنا كثير الصحة والسلامة محفوظ العقيدة قليل المصانعة بريئا من التسمت يعالج معيشته بيده في صبابة فلاحة أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن الأركشي ومعرفة أعيان النبات عن المصحفي وسرح معه وارتاد منابت العشب في صحبته فكان آخر السحارين بالأندلس وحاول عمل الترياق الفارق بالديار السلطانية عام اثنين وخمسين وسبعمائة مبرز في اختبار جزئه وحكام تركيبه [1] وقدم على اختبار مرهوب حياته قتلا وصنجا وتقريصا مما يعجب من دلالة فيه وفرسته عليه .

(١) وقدام كذا بالأصول ه



حسن بن محمد بن باصة يكنى أبا على ويعرف بالصملعل

رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم من غرناطة

(أصله من شرق الاندلس)

حاله

كان فقيها اماماً فى علم الحساب والهيئة أخذعنه الجلة والنبهاء قائما على الاطلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مع التزام السنة والوقوف عند ماحدالعلماء في ذلك مداوم النظر ذا استنباطات ومستدركات وتواليف نسيج وحده ورجمة وقته

وفاته

توفى بغرناطة عام ستة عشر وسبعمائة .

الحسن بن محمد بن على الانصاري من أهل [1]

يكنى أبا على ويعرف بابن كسري

حاله

كان متقدماً في حفظ الادب واللغة مبرزاً في علم النحو شاعراً مجيداً

(١) بياض بالاصل

ممتع المؤانسة كثير المواساة حسن الخلق والخلق كريم النفس مبرزاً في نظم الشعر فى كل فن مدح الملوك والرؤساء مؤثراً للخمول على الظهور وفي تخامله يقول شعراً ثبت فى موضعه :

﴿ مشيخته ﴾

روى عن أبي بكر بن عبد الله وابى عبد الله الكندي وابي الحكم بن هردوس وابى عبد الله بن غالب الرصافي

﴿ من روي عنه ﴾

روى عنه أبو الطاهر احمد بن على الهوارى وابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جزيرة وابراهيم بن سالم بن صالح بن سالم

﴿ نباهته وادراكه ﴾

من كتاب نزهة البصائر والابصار قال القاضي ابو عبد الله بن عسكر نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى رحمه الله مانصه

قال حدثنا الفقيه الاديب ابو على قال كنت باشبيلية وقد قصدتها لبعض الملوك فبينا أنا أسير فى بعض طرقها لقيت الشيخ أبا العباس فسلمت عليه ووقفت معه وكنت قد ذكر لى ان رجلا من الصالحين زاهداً فاضلا ينتقد من الشعر فى الزهد والرقائق بدائع تعجب وكان المغرب قد قرب فسألني ابو العباس عن مصيري فاعلمته بقصدي فرغب ان يصحبنى اليه فسرنا حتى أتيناه فرأيناه رجلا عاقلا قاعدا فى موضع قذر فسلمنا عليه فرد علينا السلام وسألناه عن قعوده في ذلك الموضع فقال اتذكر الدنيا وسيرتها فزدنا به غبطة ثم استنشدناه في ذلك الغرض من كلامه ففكر ساعة ثم انشدنا كلاماً قبيحاً تضمن من القبح والاقذاع والفواحش مالا

يحل سمعه فقمنا نلعنه وخجلت من أبي العباس ثم اعتذرت له ثم اتفق ان اجتمعنا فى مجلس الامير الذى كنت قصدته فقال أبو العباس ان أبا على قد حفظ لبعض الحاضرين شعراً فى الزهد من أعذب الكلام واحسنه فسألني الامير وطلب منى إنشاده فخجلت ثم ثاب الى عقلي فنظمت بيتين فأنشدته اياهما وهما .

أشهد أن لا اله الا الله   محمد المصطفى رسول الله

لا حول للخلق في أمورهم   ان الحول كله لله

قال فأعجب الامير ذلك واستحسنه .

ومن مقاماته بين يدي الملوك وبعض حاله نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى أبى الحسن بن أبى الحسن قال المروى منسوب الى قرية بقرب مالقة وهو الذى قال فيه الشيخ أبو الحجاج بن الشيخ رضى الله عنه

اذا سمعت بمن أسرى   ومن الى المسجد أسري

فقل ولا تتوقف   أبا على بن كسرى

قال وهو قريب الاستاذ أبى على الاستجنى ومعامه وأحد طلبة الاستاذ أبي القاسم السهيلى وممن نبغ صغيراً وارتحل الي غرناطة ومرسية وهو الذى أنشد في طفوليته السيد أبا اسحق باشبيلية .

قسما بحمص وانه لعظيم   هذا المقام وأنت ابراهيم

وكان بالحضرة أبو القاسم السهيلى فقام عند اتمامه القصيدة وقال لمثل هذا احسبك الحسا . وأواصل فى تعليمك الصباح والمسا . وكان يوماً مشهوداً وأنشد الامير أبا يعقوب حين حلها .

أمعشر أهل الارض فى الطول والعرض   بهذا استنادى في القيامة والعرض

لقد قال فيك الله ما أنت أهله　　فيقضى بحكم الله فيك بلا نقض
واياك يعنى ذو الجلال بقوله　　كذلك مكنا ليوسف فى الارض

وذكره ابن الزبير وابن عبد الملك وابن عسكر وغيرهم ·

ومن شعره فى معنى الانقطاع والتسليم الى الله تعالى وهى لزومية واختم بها ختم الله لنا بالحسنى ·

الهيَ أنت الله ركني وملجئى　　ومالى الى خلق سواك ركون
رأيت بني الايام عقبى سكونهم　　حراك وعقبى ذا الحراك سكون
اسلّم ما قدرت تسليم عالم　　بان الذي لابد منه يكون

﴿ وفاته ﴾

توفي بمدينة مالقة في حدود ثلاث وستمائة

﴿ الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي يكنى أبا على ﴾

﴿ مرسي الاصل سبتى الاستيطان منتم الى صاحب ﴾

(الثورة على المعتمد) .

﴿ حاله ﴾

كان نسيج وحده · وفريد دهره · اتقاناً ومعرفة ومشاركة فى كثيراً من الفنون اللسانية والتعالمية · متبحراً في التاريخ ريان من الادب شاعراً مفلقاً عجيباً قادراً على الاختراع والاوضاع جهم المحيا موحش الشكل يضم

برداه طويا لا كفاء له تحرف بالعدالة وبرز بمدينة سبتة وكتب عن أميرها وجرى بينه وبين الاديب أبي الحكم مالك بن المرحل من الملاحات والمهاترات أشد ما يجرى بين متناقضين آل به الى الحكاية الشهيرة وذلك انه نظم قصيدة نصها .

لكلاب سبتة في النباح مدارك ... وأشدها دركا لذلك مالك
شيخ تفاني في البطالة عمره ... واجال فكيه الكلام الآفك
كلب له في كل عرض عضة ... وبكل محصنة لسان آفك
متهم بذوي الخنا متخشع ... متهازل بذوي التقي متضاحك
أحلى شمائله السباب المفترى ... وأعف سيرته الهجاء الماعك
وألذ شئ عنده في محفل ... لمز لاستار المحافل هاتك
يغشي مخاطرة الاثيم تفكها ... ويعاف رؤيته الحليم الناسك
لو ان شخصاً يستحيل كلامه ... خرأ الالك الخرء منه لا ئك
فكأنه التمساح يقذف جوفه ... من فيه مافيه ولا يتماسك
أنفاسه وفساؤه من عنصر ... وسعاله وضراطه متشارك
ويخال ان لسانه من استه ... لو اسلمته نواجذ وضواحك
في شعره من جاهلية طبعه ... أثقال ارض لم ينلها فاتك
صدر وقافية تعارضتا معا ... في بيته عنس وعرس فارك
ان سام مكرمة جثا متثاقلا ... يرغو كما يرغو البعير البارك
ويدب في جنح الظلام الى الخنا ... عدواً كما يعدو الظليم الراتك
نبذ الوقار لصبية يهجونه ... فسباله فرش لهم وأرائك
يبدى لهم سوآته ليسوءهم ... بمسالك لا يرتضيها سالك

والدهر باك لانقلاب صروفه ظهراً لبطن وهو لاه ضاحك
وللسن تنصحه بافصح منطق لو كان يصحو بالنصيحة هالك
تب يا ابن تسعين فقد جزت المدى ....
او ما ترى من حافديك تشابها ابن يضاجع جده ويناك
هيهات باءى عشرة لهجت به هنوات مملوك وضيع مالك
يا ابن المرحل لو شهدت مرحلا وقد انحنى بالرحل منه الحارك
وطريدلوم لا يحل بمشعر الا أمال قفاه صفحا دالك
مركوب لهو لجاجة وركاكة واراك من ذاك اللجاج البارك
لرأيت للعين اللئيمة سحة وعلا بصفع عرك اذنك عارك
وشغلت عن ذم الانام بشاغل وثناك خصم من ابيك مماحك
قسما بمن سمك السماء مكانها ولديه وشك رداء نفسك شائك
لأقول للمغرور منك بشيبة بيضاء في الصحف منها حالك
لاتأمنن للذئب دفع مضرة فالذئب ان اغنيته بك فاتك
عار على الملك المعظم ان يرى في ذلك الصقع المقدس مالك
فكلامه للدين سم قاتل ودنوه للعرض داء ناهك
فعليه ثم على الذي يصغى له ويل يعاجله وحتف واشك
وأتاه من مثواه آت مجهز لدم الخناجر بالخناجر سافك

وهي طويلة تشتمل من التعريض والتحريض على كل غريب واتخذ لها كنانة خشبية كأوعية الكتب وكتب عليها . رقاص معجل . الى مالك ابن المرحل . وعمد الى كلب وجعلها في عنقه وأوجعه خبطاً حتى لا يأوي الى أحد ولا يستقر وطرده بالزقاق مكتتما ذلك وذهب الكلب وخلفه من

الناس أمة وقرئ مكتوب الكنانة واحتمل الى أبي الحكم ونزعت من عنق الكلب ودفعت اليه فوقف منها على كل فاقرة كفت من طماحه وغضت عن عنوان مجاراته وتحدث الناس بها مدة ولم يغب عنه انها من حيل ابن رشيق ففوق سهام المراجعة ثم رجع مكبوحا وفي بعض اجوبته عن ذلك يقول .

كلاب المزابل آذينني   بابوا لهن على باب دارى

وقد كنت أوجعها بالعصا   ولكن عوت من وراء الجدار

واستدعاه بآخرة أمير المغرب السلطان ابو يعقوب فاستكتبه واستكتب ابا الحكم ضده فيقال انه جر عليه خجلة كانت سبب وفاة ابى على ودخل الاندلس وخط بها بالمرية وقد أصيب بأسر عياله فتوسل الى واليها من قرابة السلطان بشعر مدحه من قصيدة أولها

ماقى النوي ملق لبعض نوالكا   فاشف المحب ولو بطرف خيالكا

لاتحسبنّى من فلان او فل   انا من عيال الله ثم عيالكا

ومنها

نصب العدو حبائلا لحبائبي   وعلقت فى استخلاصها بحبالكا

وفى خاتمتها

وكفاك شر العين عيب واحد   لاعيب فيه سوي فلول نصالكا

ولحق بغرناطة ومدح السلطان بها ونجحت لديه مشاركة الرئيس بالمرية بجبر الله حاله .

ومما جمع فيه بين نثره ونظمه ما كتبه لما كتب اليه الاديب الطبيب صالح بن شريف بهاتين القصيدتين اللتين تنازع فيهما الاقوام . واتفقوا على ان تحكم بينهما الاحلام . وعبر عن ذلك الاقلام . فلينظرهما من تشوق اليهما بغير هذا الموضع .

﴿ تآليفه ﴾

وأوضاعه غريبة . واختراعاته عجيبة . تعرفت أنه اخترع في سفرة الشطرنج شكلا مستديراً وله الكتاب الكبير في التاريخ والتلخيص المسمى بميزان العمل وهو من أظرف الموضوعات وأحسنها شهرة .

﴿ وفاته ﴾

كان حياً سنة اربع وسبعين وستمائة .

﴿ حيوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد ﴾
﴿ الصنهاجي يكنى أبا مسعود ملك البيرة ﴾
(وغرناطة وما والاها)

﴿ حاله واوليته ﴾

أما أوليته فتقدم من ذلك مافيه كفاية عند ذكر بلكين . ولما رحل زاوى بن زيري عن الاندلس غب ايقاعه بالمرتضي الذى نصبه الجماعة واستيلائه على محاته بظاهر غرناطة وخاف تمالؤ الاندلس عليه نظر للعاقبة فاسند الامر الى ابن أخيه حيوس بن ماكسن وكان بحصن اشد فلما ركب البحر من المنكب وودعه به زعيم البلد وكبير فقهائها ابو عبد الله بن أبي زمنين ذهب الى ابن أخيه المذكور واستقدمه وجرت بينه وبين ابن عمه المستخلف على غرناطة من قبل والده محاورة اجلت عن جلائه تبعاً لابيه وانفرد حيوس فاستبد بالملك ورأب الصدع سنة احد عشر واربعمائة .

قال ابن عذارى فى تاريخه فانحازت صنهاجة مع شيخهم ورئيسهم حيوس بن ماكسن وقدكان اخوه حباسة هلك فى الفتنة وبقى منهم معه بعد انصراف زاوى الى افريقية جماعة عظيمة فانحازوا الى مدينة غرناطة وأقام حيوس بها ملكا عظيما وحامى رعيته ممن جاوره من سائر البربر المنتشرين حوله فدامت رئاسته ماشاء الله .

﴿ وفاته ﴾

توفى بغرناطة سنة ثمان وعشرين واربعمائة

﴿ الحكم بن عبد الرحمن بن الحكم بن عبد الله ﴾

﴿ ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ﴾

(ابن عبد الرحمن بن معاوية)

﴿ صفته وحاله ﴾

كان أصهب العين اسمر أقنى مسبل اللحية جهير الصوت طويل الصلب قصير الساقين عظيم الساعد وكان ملكا جليلا عظيم الصيت رفيع القدر علىّ الهمة فقيها بالمذهب عالما بالانساب حافظاً للتاريخ جماعا للكتب محبا فى العلم والعلماء مثيرا للرجال من كل بلد جمع العلماء من كل قطر ولم يكن فى بنى امية اعظم همة ولا اجل منزلة فى العلوم وغوامض الفنون منه واشتهر بهمته بالجهاد وتحدث بصدقاته فى المحول وأملته الجبابرة والملوك .

﴿ دخوله البيرة ﴾

قال ابن الفياض كتب اليه من الثغر الجندى ان عظيم الفرنجة من النصارى حشد اليه وسأله المدرة بطول المحاصرة فاحتسب شخوصه بنفسه الى البيرة فى رجب سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة فى محفل لجب من صفوة الاولياء وأهل المراتب ولما احتل البيرة ورد عليه بها كتاب احمد بن يعلى من طرطوشة بنصر الله العزيز وصنعه الكريم على الروم ووافى المرية وأشرف على أمورها ونظر الى اسطوله وجدده وعدته يومئذ ثلاثمائة قطعة وانصرف الى قرطبة

﴿ مولده ﴾

لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثمائه .

﴿ وفاته ﴾

لاربع خلون من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة وعمره نحو من ثلاث وستين سنة وهو خاتمة العظماء من بنى أميه .

﴿ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ﴾

﴿ ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن امية ﴾

(كنيته ابو العاصى)

﴿ صفته ﴾

آدم شديد الادمة طويل أشم نحيف لم يخضب وبنوه تسعة عشر من

الذكور منهم عبد الرحمن ولى عهده . بناته احدى وعشرون أمه أم ولد اسمها زخرف .

﴿ وزراؤه وقواده ﴾

خمسة منهم اسحق بن المنذر والعباس بن عبد الله وعبد الكريم بن عبد الواحد وفطيس بن سليمان وسعيد بن حسان .

﴿ قضاته ﴾

مصعب بن عمران وعمر بن بشر والفرج بن قتادة وبشر بن قطن وعبد الله بن موسى ومحمد بن تليد وحامد بن محمد بن يحيي .

﴿ كتابه ﴾

فطيس بن سليمان وعطاف بن زيد وحجاج بن العقيلى .

﴿ حاجبه ﴾

عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث

﴿ حاله ﴾

كان الحكم شديد الحزم . ماضى العزم . ذا صولة تتقى وكان حسن التدبير فى سلطانه وتوليته أهل الفضل والعدل في رعيته مبسوط اليد بالعطاء الكثير وكان فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً أديباً نحوياً .

قال ابن عذارى كانت فيه بطالة الا انه كان شجاعا مبسوط اليد عظيم العفو وكان يسلط قضاته وحكامه على نفسه فضلا عن ولده وخاصته وهو الذى جرت على يده الفتكة العظيمة باهل ربض قرطبة الذين هاجوا به وهتفوا بخلعانه فاظهره الله عليهم فى خبر شهير وهو الذى اوقع باهل طليطلة فابادهم بحيلة الدعاء الى الطعام بما هو معلوم .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

قالوا وبالبيرة واحوازها تلاقى مع عمه أبي أيوب سليمان بن عبد الرحمن فهزمه وقتله حسبما ثبت في اسم أبي أيوب

﴿ شعره ﴾

قالوا وكان له خمس جوار قد استخلصهن لنفسه وملكهن أمره فذهب يوما الى الدخول عليهن فابين عليه وأعرضن عنه وكان لا يصبر عنهن فقال .

قضب من البان ماست فوق كثبان ... ولين عني وقد ازمعن هجراني

ناشدتهن بحقي فاعتزمن على الـ ... ـعصيان حتى خلا منهن هميانى

ملكنني ملك من ذلت عزيمته ... للحب ذل أسير موثق عانى

من لي بمغتصبات الروح من بدني ... يغصبني في الهوى عزي وسلطاني

ثم عطفن عليه بالوصال فقال

نلت وصلا كان بعد البعاد ... فكاني ملكت كل العباد

وتناهى السرور اذ نلت مالم ... يغن عنه تكاثف الاجناد

﴿ مناقبه ﴾

انهى اليه عباس بن صالح وقد عاد من الثغر أن امرأة من ناحية وادى الحجارة تقول ياغوثاه ياحكم ضيعتنا واسلمتنا واشتغلت عنا حتى أسرنا العدو ورفع اليه شعرا في هذا المعنى والغرض فخرج من قرطبة كاتما وجهته واوغل في بلاد الشرك ففتح الحصون وهدم المنازل وقتل وسبي وقفل بالغنائم الى الناحية التى فيها تلك المرأة فامر لاهل تلك الناحية بمال من الغنائم يفدون به اسراهم ويصلحون به احوالهم وخص المرأة وآثرها واعطاها عددا من الاسرى وقال لها هل اغاثك الحكم قالت إي والله غاثنا وما غفل عنا اغاثه

الله واعز نصره

﴿ وفاته ﴾

توفى لاربع بقين لذى الحجة سنة ست ومائتين وكان عمره اثنين وخمسين سنة وجرى ذكره فى الرجز من نظمى بما نصه من تاريخ دول الاسلام .

حتى اذا الدهر عليه حكما　　قام به ابنه المسمى حكما

واستشعر الثورة فيها وانقبض　　مستوحشا كالليث اقعى وربض

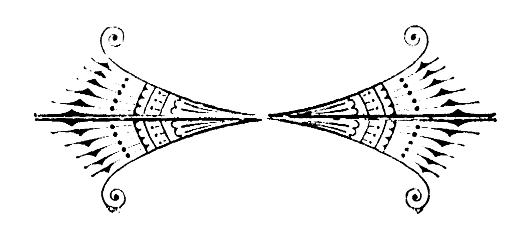
حتى اذا فرصته لاحت نفض　　فافحش الوقعة فى أهل الربض

﴿ حكم بن احمد الانصارى بن رجاء الغرناطى ﴾

﴿ يكنى أبا العاصى ﴾

﴿ حاله ﴾

كان من غررها ونبهائها وكان من اهل الفضل والطلب واليه ينسب مسجد أبى العاصى وحمام ابي العاصى ودوره بغرناطة وكفى بذلك دليلا على الاصالة والتأثل ذكره ابو القاسم ولم يذكر من أمره مزيدا على ذلك



حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الملك (بن سعيد بن عمار بن ياسر)

اوليته

قد مر بعض ذلك وسيأتي بحول الله .

حاله

قال ابو الحسن بن سعيد فى كتابه الموضوع فى مآثر القلعة كان صاحب سيف وقلم وعلم ودخل فى الفتنة المردنيشية مر ذكر ذلك عند ذكر اخيه أبى جعفر فصار من جلساء الامير أبى عبد الله بن سعيد بن مردنيش بمرسية وارباب آرائه. وذوى الخاصة من وزرائه . وكان مشهورا بالفروسية والشجاعة والرأى

حكاياته ونوادره

قال كان التندير والهزل قد غلبا عليه وعرف بذلك فصار يحمل منه مالا يحمل من غيره قالوا حضر يوما مع الامير محمد بن سعد يوم الحلاب من حروبه وقد صبر الامير صبرا جميلا ووالى الكر المرة بعد المرة . وذلك برأي من حاتم فرد رأسه اليه وقال له ياقائد ابا الكرم كيف رأيت فقال له حاتم لو رآك السلطان اليوم لزادك فى مرتبتك فضحك ابن مردنيش وعلم انه اراد بذلك لاتليق بك المخاطرة وانما هو للثبات والتدبير . وقال له يوما وقد جرى ذكر الجنات جن اليوم ياابا الكرم على بستانك بالزنقات واردت

ان اكون من ضيافتك فقال عبد الرحمن بن عبد الملك وهو اذ ذلك وزير الامير وبيده المجابى والاعمال لعل الامير اغتر بسماع اسمه حاتم مافيه من الكرم الا الاسم فقال حاتم ولعل الامير اغتر بسماع عبد الرحمن فقدمه على وزرائه وما عنده من الامانة الا الاسم فقال ابن مردنيش وقد ضحك الاولى فهمتها ولم أفهم الثانية [1] فقال له كاتبه ابو محمد السلمى انما اشار الى قول رسول الله صلي الله عليه وسلم فى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أمير هذه الامة وأمير في أهل السماء وأمير في أهل الارض فطرب ابن مردنيش وجعل يقول احسنتما احسنتما

﴿ شعره ﴾

قال ابو الحسن لم أحفظ من شعر حاتم ما اورده فى هذا المكان الا قوله يخاطب حفصة الركونية الشاعرة التى يأتى ذكرها حين مر الى مرسية وتركها بغرناطة

أحن الى ديارك ياحياتى　　لأبصر من حوى غرر الصفات
وأهوى أن أعود اليك لكن　　خفوق البندعاق عن القناة
وكيف الى جنابك من سبيل　　وليس يحله الاعداتى

﴿ مولده ﴾

فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة وقال ابو القاسم الغافقي فيه عند ذكره كان طالبا جميلا سريا تام المروءة جميل العشرة

---

(١) قوله فقال له كاتبه الخ هذه العبارة متضاربة فان المشار به هو قوله وما فيه من الامانة الا الاسم والمشار اليه هو الحديث والواقع فيه التعبير بالامارة لا الامانة على ان المعبر عنه بامين هذه الامة هو ابو عبيدة لا ابن عوف رضي الله عنهما اه

﴿ وفاته ﴾

قال توفى بغرناطة سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة

﴿ حباسة ﴾

كان شهما هيبا بهمة من البهم كريما فى قومه أبيا فى نفسه صدرا من صدور صنهاجة كان اشجع من اخيه حبوس.

﴿ وفاته ﴾

قال ابو مروان عند ذكر وقعة رمادي بطرف قرطبة فى حروب البربر لاهلها فى شوال عام اثنين واربعمائة قال واستلحم حباسة بن ماكسن الصنهاجي ابن اخي زاوى بن زيرى وهو فارس صنهاجة طرا وفتاها وكان قد تقدم الى هذه الناحية زعموا لما بلغه اشتداد الامر فيها فرمى بنفسه على طلابها واتفق ان ركب بسرج طرى العمل مفتتح اللبد وخانه معقده عند المجاولة لتقلبه على الصهوة . وقيل انه كان منتبذا على ذلك فتطارح على من بازائه ومضى قادما بسكر شجاعته ونشوته يصافح البيوت بصفحته ويستقبل القنا بلباته لا يعرض له شئ الا حطه الى أن مال به سرجه فاتيح حمامه لاشتغاله بذلك بطعنة من يد المسمى النبيه النصرانى أحد فرسان الموالى العامريين فسقط لحينه وانتظمته رماح الموالى فابرته وحامى اخوه حبوس وبنو عمه وغيرهم من أنجاد البرابرة على جثته فلم يقدروا على استنقاذها بعد جلاد طويل وغلب عليه الموالى فاحتزوا رأسه وعجلوا به الى قصر السلطان وسلموا جسده للعامة فركبوه بكل عظيمة واجتمعوا عليه اجتماع البغاث على كبير الصقور فجروه فى الطرق وطافوا به الاسواق وقطعوا بعض أعضائه وابدوا شواره وكبده بكل مكروه من انواع الاذى وباعظم ما ركب ميت واوقدوا له نارا فحرقوه بها جريا على ذميم

عادتهم وانجلت الحرب فى هذا اليوم بمصابه عن أمر عظيم وبلغ من جميع البرابرة الحزن عليه مناله ورأوا أن دماء أهل قرطبة جميعاً لاتمد له . من الكتاب المتين

حبيب بن محمد بن حبيب من أهل النجش

من وادى المنصورة اخو مالك النجش ذباب الحلقات ومداد اذناب المغربيين .

حاله

كان على سجية غريبة من الانقباض المشوب بالاسترسال والامانة مع الحاجة بادى الزى واللسان يحفظ الغريب من اللغة ويحرك شعراً لاغاية وراءه فى الركانة وله قيام على الفقه وحفظ القرآن ونغمة حسنة عند التلاوة قدم الحضرة غير ما مرة وكان الاستاذ امام الجماعة وسيبويه الصناعة ابو عبد الله ابن الفخار المعروف بالبيرى ابا مثواه ومحط طيته يطلب منه مشاركته بباب السلطان فى جراية يرغب فى تسميتها وحالة يروم اصلاحها فقصدنى مصطحبا منه رقعة تتضمن الشفاعة وعرض على قصيدة من شعره يروم إيصالها الى السلطان فراجعت الاستاذ برقعة أثبتها على جهة الاحماض وهي .

ياسيدى الذى به أتشرف . وبالانتماء الى معارفه أتميز وأتعرف . وصل الى عميد حصن النجش . وناهض افراخ ذلك العش . تلوح عليه مخايل أخيه المسمي بمالك . ويترجح به الحكم فى القائه فى أمثال تلك المسالك .

اشبه من الغراب بالغراب . وانهما لمن عجائب الماء والتراب . فالقى من ثنائكم الذى اوجبته السيادة والابوة . ما تقصر عن طيبه الالوة . وتخجل عند مشاهدته الغرر المجلوّة . وليست بأولى بر أسديتم . ومكرمة أعدتم وأبديتم والحسنات وان كانت فهى اليكم منسوبة . وفى أياديكم محسوبة . وبلوت من الرجل طلعة صلفه . لم يغادر من صفات النبل صفة . حاضر بمسائل من الغريب . وقصد مقصد الزكى الاريب . وعرض على حاجته وغرضه . وطلب منى المشاركة وهى منى لامثاله مفترضة . ووعدنى بايقافى على قصيدة حبرها . وأنسى بالخبر خبرها . وباكرنى اليوم بها مباكرة الساقى بدهاقه . وعرضها على عرض التاجر نفائس أعلاقه . وطلب منى أن اهذب له ما أمكن من معانيها وألفاظها . وان أجلو القذى عن ألحاظها . فنظرت منها الى روض كثرت أثغابه . وجيش من الكلام زاحم خواصه أو شابه . ورمت الاصلاح ما استطعت . فعجزت عن ذلك وانقطعت . ورأيت انى لا أجد طريقاً الى ذلك الغرض . مالم تبدل أرضه غير الارض . وهذا الفن أبقى الله سيدى مالم يمتّ الى الاجادة بسبب وثيق . وينتمى فى الاحسان الى مجد عريق . كان رفضه أحسن وأحمد . واطراحه بالفائدة أعود . واذا اعتبره من عدل أو قسط . وجده طريقين لايقبل الوسط . فمنها مايقتنى ويذخر . وسافل يهزأ به ويسخر . والوسط ثقيل . لا يلتمس له بديل . قيل لبعضهم الا تقول الشعر فقال أريد منه ما لا يتأتى لي ويتأتى لي منه ما لا أريده . وقال بعضهم فلان كمغن وسط لايجيد فيطرب ولا يسيء فيسلى . فأقتضى نظركم الذى لا يفارق السداد والتوفيق . وارشادكم الذى رافق الهدى ونعم الرفيق . ان تشيروا عليه بالاستغناء عن رفعها . والامساك عن دفعها . فهو أقوى لامته .

وأبقى على سكينته وسمته • وأستر لما لديه • قبل أن يمد أبو حنيفة رجليه • وان صمت عن هذا القول مسامعه • وهفت به الى النجاج مطامعه • فليعتمد على الاختصار • فذو الاكثار جم العثار • وليعدل الى الجادة عن ثنيات الطرق • ويجتزى عن القلادة بما أحاط بالعنق • فاذا رتبها وهذبها • وأوردها من موارد العبارة أعذبها • توليت زفافها واهداءها • وأمطت بين يدى الكفؤ الكريم رداءها • والسلام

﴿ حمدة بنت زياد المكتب من ساكني وادى الحمة ﴾

﴿ بقرية بادى من وادى آش ﴾

﴿ حالها ﴾

قال أبو القاسم نبيلة شاعرة كاتبة ومن شعرها وهو مشهور

أباح الدمع أسرارى بوادى ... له فى الحسن أسرار بوادى

فمن نهر يطوف بكل روض ... ومن روض يطوف بكل وادى

ومن بين الظباء مهاة إنس ... سبت لبي وقد ملكت فؤادى

لها لحظ ترقده لأمر ... وذاك الامر يمنعنى رقادى

اذا سدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر فى أفق السواد

كأن الصبح مات له شقيق ... فمن حزن تسربل بالحداد

ومن غرائبها

ولما أبى الواشون الا فراقنا ... وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة ... وقل حماتي عند ذاك وانصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى ... ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وقال أبو الحسن بن سعيد فى حمدة وأختها زينب شاعرتان أديبتان من أهل الجمال والمال والمعارف والصون الا أن حب الادب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها

حفصة بنت الحاج الركوني من أهل غرناطة

فريدة الزمان فى الحسن والظرف والادب واللوذعية . قال أبو القاسم كانت أديبة نبيلة جيدة البديهة سريعة الشعر

﴿ بعض أخبارها ﴾

قال الوزير أبو بكر بن يحيي بن محمد بن عمر الهمداني رغبت أختي أن تذهب الى حفصة تسألها أن تكتب شيئاً بخطها فكتبت

يا ربة الحسن بل يا ربة الكرم ... غضى جفونك عما خطه قلمى
تصفحيه بلحظ الود منعمة ... لا تحفلى برديئ الخط والكلم

قال أبو الحسن بن سعيد وقد ذكر أنهما باتا بحوز مؤمل فى جنة له هنالك على ما يبيت عليه أهل الظرف والادب قال

رعى الله ليلا لم يرع بمذمم ... عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد نفحت من نحو نجد أريجة ... اذا نفحت هبت بريا القرنفل

وغرد قمري على الدوح وانثنى　　قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسروراً بما قد بداله　　عناق وضم وارتشاف مقبل

فقالت

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا　　ولكنه أبدى لنا الغل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا　　ولا غرّد القمريّ الا لما وجد

فلا تحسن الظن الذى أنت أهله　　فما هو فى كل المواطن بالرشد

فما خلت هذا الافق أبدى نجومه　　لامر سوى كى ما تكون لنا رصد

قال أبو الحسن بن سعيد وبالله ما أبدع ما كتبت به اليه وقد بلغها انه علق بجارية سوداء سمت له من بعض القصور فاعتكف معها أياماً وليالي بظاهر غرناطة فى ظل ممدود . وطيب هوى مقصور ممدود .

يا أظرف الناس قبل حال　　أوقعه نحوه القدر

عشقت سوداء مثل ليل　　بدائع الحسن قد ستر

لا يظهر البشر فى دجاها　　كلا ولا يبصر الخفر

بالله قل لي وأنت أدرى　　بكل من هام فى الصور

من الذي هام فى جنان　　لا نور فيه ولا زهر

فكتب اليها بأظرف اعتذار . وألطف أنوار

لا حكم الا لامر ناه　　له من ذنبه معتذر

له محيا به حياتى　　أعيذ مداه بالسور

كصحبة العيد فى ابتهاج　　وطلعة الشمس والقمر

بسمده لم أمل اليه　　الا طرافا له خبر

عدمت صحبي فاسود عشقى　　وانعكس الفكر والنظر

ان لم تلح يا نعيم روحي فكيف لا تفسد الفكر

قال وبلغنا انه خلا مع حاتم وغيره من أقاربهم لهم طرب ولهو فمرت على الباب مستترة وأعطت البواب بطاقة مكتوباً فيها

زائر قد أتى بجيد غزال طامع من محبه بالوصال

أترا كم باذنكم مسعفيه أم لكم شاغل من الاشغال

فلما وصلت الرقعة اليه قال ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة الا الركينة حفصة ثم طلبت فلم توجد فكتب لها . راغبا فى الوصول . والانس الموصول

أى شغل عن المحب يعوق ياصباحا قد آن منه الشروق

صل وواصل فانت أشهى الينا من جميع المنى فكم ذا تشوق

بحياة الرضى يطيب صبوح عرفا ان جفوتنا أو غبوق

لا وذل الهوى وعز التلاقى واجتماع اليه عز الطريق

وذكرها الاستاذ فى صلته فقال وكانت استاذة وقتها وانتهت الى ان علمت النساء فى دار المنصور وسألها يوما ان تنشده ارتجالا فقالت

امنن على بصك يكون للمرء عده

تخط يمناك فيه ألحمد لله وحده

قال فمنّ عليها وحرر لها ما كان لها من ملك .

﴿ وفاتها ﴾

قالوا توفيت بحضرة مراكش فى آخر ستة وثمانين وخمسمائة .

الخضر بن احمد بن الخضر أبي العافية من أهل غرناطة يكنى أبا القاسم

حاله

من كتاب عائد الصلة كان رحمه الله صدرا من صدور القضاة من اهل النظر والتمهيد والعكوف على الطلب مضطلعاً بمسائل الاحكام مهتديا بالمظنات للنصوص نسخ بيده الكثير وقيد على الكثير من المسائل حتى عرف فضله واستشاره الناس فى المشكلات وكان بصيرا بعقد الشروط ظريف الخطاب بارع الادب شاعرا مكثرا مصيبا غرض الاجادة وتصرف فى الكتابة السلطانية ثم فى القضاء وانتقل فى الولايات الرفيعة النبيهة . وجرى ذكره فى التاج المحلى بما نصه

فارس فى ميدان البيان . وليس الخبر كالعيان . وحامل لواء الاحسان لاهل هذا الشأن . رفل فى حلل البدائع فسحب أذيالها . وتشمشع اكواس العجائب فادار جريا لها . واقتحم على الفحول اغيالها . وطمح الى الغاية البعيدة ونالها . وتذكرت المخترعات فقال أنالها . عكف واجتهد . وبرز الى مقارعة المشكلات ونهد . فعلم وحصل . وبلغ الى الغاية وتوصل . وتولى القضاء فاضطلع باحكام الشرع . وبرع فى معرفة الاصل والفرع . وتميز فى المسائل بطول الباع وسعة الذراع . فاصبح صدرا فى مصره . وغرة فى صفحة عصره . وسيمر من بديع كلامه . وهتنات أقلامه . وغرر يراعه . ودرر اختراعه . مايستذير به قلم الحليم . ويلقى له البلغاء يد التسليم .

﴿ شعره ﴾

قال فى غرض الحكم والامثال .

عن الهوى نقصان والراى الذى ... ينجيك منه أن نأيت حزيما
فاذا رأيت الراى يتبع الهوى ... خالف وفاقهما تعد حكيما
فكما تروم من الحليم مراحما ... خف من نصيحك ذي السفاهة شوما
واحذر معادات الرجال توقيا ... منهم ظلوما كنت أو مظلوما
فالناس اما جاهل لايتقى ... عارا ولا يخشى العقوبة لوما
او عاقل يرمي بسهم مكيدة ... كالقوس يرمي سهمه مسموما
فاحلم عن القسمين تسلم منهما ... وتسد فتدعى سيدا وحليما
ودع المعادات التى من شانها ... ان لاتديم على الصفاء قديما
أبت المغالبة الوداد فلا تكن ... ممن يغالب ماحييت نديما
واذا منيت بقربه فاخفض له ... بجناح ذلك ظاعنا ومقيما
ان الغريب لكالقضيب مجاير ... ان لم يمل للريح عاد رميما
وارع الكفاف ولاتجاوز حده ... مابعده يجنى عليك هموما
وابسط يديك اذا اغنيت ولاتكن ... فيما يكون به المديح ذميما
واذا بذات فلا تبذران ذا التبذير يومئذ اخوه رجيما
وعف الورود اذا تزاحم ورده ... واحسب ورود الماء منه جحيما
واصحب كريم الاصل ذا فضل فمن ... يصحب لئيم الاصل عد لئيما
فالفضل من لبس الكرام فمن عرا ... منه فليس كما يقول كريما
ان المقارن بالمقارن يقتدى ... مثل جرى بين الانام قديما
وجماع كل الخير فى التقوى فمن ... يعدم حلى التقوى يعد عديما

وقال يصف الشيب من قصيدة وهي طويلة اولها .

لاح الصباح صباح شيب المفرق | فاحمد سراك نجوت مما تتقي
هي شيبة الاسلام فاقدر قدرها | قد اعتقتك وحق قدر المعتق
خطت بفودك ابيضا في اسود | بالعكس من معهود خط مهرق
كالبرق راع بسيفه طرف الدجا | فاعاد دهمته شيات الابلق
كالفجر يرسل المدّ جنة خيطه | ويجر ثوب ضيائه بالمشرق
كالماء يستره بقعر طحلب | فتراه بين خلاله كالزئبق
كالحية الرقشاء الا أنه | لا يبرأ الملدوغ منه اذا رقى
كالزهر الا أنه لم يبتسم | الا بغصن ذابل لم يورق
كتبسم الزنجيّ الا انه | يبكي العيون بدمعه المترقرق
وكذا البياض قذى العيون ولا ترى | للعين ابكى من بياض المفرق
ماللغواني وهو لون خدودها | يجزعن من لألائه المتألق
ويخلنه لمع السيوف ومن يشم | لمع السيوف على المفارق يفرق
هو ليس ذلك ولا الذي انكرنه | كن خائفا ماخفن منه واتق
داء يعز على الطبيب دواؤه | ويضيع خسرا فيه مال المنفق
لكنه والحق أصدق مقول | شين المسيء الفعل زين المتقي

ومن مقطوعاته قوله ..

أفلي فما الفقر بالمرء عارا | ولا دار من يألف الهون دارا
وما يكسب العز الا الغنى | عن النفس فاتخذيه شعارا
وما اجتمع الشمل في غيره | فيحسن الاوساء انتشارا
فدهرا لغيرك لا تنظري | فيألم قلبك منه انكسارا

وهزى اليك بجذع الرضى تساقط عليك الامانى ثمارا

وقال أيضا

العلم حسن وزين والجهل قبح وشين
والمال عز وعيش والفقر ذل وحين
والناس أعضاء جسم فهم أست وعين
هذى مقالة حق مابالذى قلت مين

وقال أيضا

أن أراك الزمان وجها عبوسا فستلقاه من بعد ذلك طلقا
لا يهمنك حاله ان في طر فة عين ترتاح فيه وتشقى
أى عز رأيت أو أى ذل لذوى الحالتين في الدهر يبقى
سل نجوم الدجا اذا ما استنارت ما الذى فى وقت الظهيرة تلقى
وتفكر وقل بغير ارتياب كل شيء يفنى وربك يبقى

وقال أيضاً

لو أن أيام الشباب تعود لى عود النضارة للقضيب المورق
ما ان بكيت على شباب قد زوى وبقيت منتظراً لآخر مونق

وقال أيضاً

لك القلم الاعلى الذى طال فخره وان لم يكن الا قصيرا مجوفا
تعلم منه الناس ابدع حكمة فما هو امضى ما يكون محرفا

وقال فى التشبيه

كأنما السوسن الغض الذى انفتحت منه كمائمه المبيضة اللون
بنان كف فتاة قط ما خضبت تاقي بها من يراعا خيفة العين

وقال يعرض بقوم من بني أرقم

اذا مانزلت به بوادى الاشا فقال رب من لدغه سلم
وكيف السلامة فى موطن به عصبة من بنى أرقم

وقال موريا بالفقه وهو بديع

لى دين على الليالى قديم ثابت الرسم منذ خمسين حجه
اقاعد بالحـ كم عليها(١) ام لها فى تقدم الدهر حجه

ونختم مقطوعاته بقوله

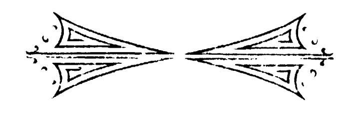
نجوت بفضل الله مما أخافه ولم لا وخير العالمين شفيع
وماضمت فى الدنيابغير شفاعة فكيف اذا كان الشفيع أضيع

وقال أيضاً

عليك بتقوى الله فيما ترومه من الامر تخلص بالمرام وبالاجر
ولا ترج غير الله فى نيل حاجة ولا دفع ضر فى سرار ولا جهر
فمن رام غير الله أشرك عاجلا وفارقه ايمانه وهو لا يدرى

❊ وفاته ❊

توفى قاضيا بباجة وسيق الى غرناطة فدفن بباب البيرة عصر يوم الاربعاء آخر يوم من ربيع الاول عام خمسة واربعين وسبعمائة



(١) كذا بالاصل

﴿ خالد بن عيسى بن ابراهيم بن أبي خالد البلوى ﴾

﴿ من أهل فتورية من حصون وادى المنصورة ﴾

﴿ حاله ﴾

هذا الرجل من أهل الفضل والسذاجة كثير التواضع منحط فى ذمة التخلق نابه الهيئة حسن الاخلاق جميل العشرة محب فى الادب قضي ببلده وبغيرها وحج وقيد رحلته فى سفر وصف فيه البلاد ومن لقيه بفصول جلب أكثرها من كلام العماد الاصبهاني وصفوان وغيرهما عن ملح وقفل الى الاندلس وارتسم فى تونس بالكتابة عن أميرها زماناً يسيراً وهو الآن قاض ببعض الجهات الشرقية . وجرى ذكره فى الرحلة التى صدرت عنى في صحبة الركاب السلطانى عند تفقد البلاد الشرقية فى فصل حفظه الناس وأجروه فى فكاهتهم وهو

حتى اذا الفجر تبلّج . والصبح من باب المشرق تولّج . سرنا وتوفيق الله لنا قائد . وكنفنا من عنايته صلة وعائد . تتلقى ركابنا الافواج . وتحيينا الهضاب والفجاج . الى فتورية فناهيك من مرحلة قصيرة كأيام الوصال . قريبة البكر والآصال . كان المبيت بازاء قلعتها السامية الارتفاع . الشهيرة بالامتناع . وقد برز أهلها في العديد والعدة . والاحتفال الذي قدم به العهد على طول المدة . صفوفاً بتلك البقعة . خيلا ورجالا كشطرنج الرقعة . لم يتخلف ولد عن والد . وركب قاضيها ابن أبى خالد . وقد شهرته النزعة الحجازية . ولبس من خشن الحجازية . وأرخي من البياض طيلساناً .

وتشبه بالمشارقة شكلا واسانا . وصبغ لحيته بالحناء والكتم . ولاث عمامته واختتم . والبداوة تسمه على الخرطوم . وطبع الماء والهواء يقوده قود الجمل المخطوم . فداعبته مداعبة الاديب للاديب . والاريب للاريب . وخيرته بين خطتين وقلت نظمت مقطوعتين . احداهما مدح . والاخرى قدح . فان هممت ديمتك . وكرمت شيمتك . فللذين أحسنوا الحسنى . والا فالمثال الادنى . فقال أنشدنى لأرى على أى أمرى أتيت . وأفرق بين ما جنيتنى وما جنيت . فقلت

قالوا وقد عظمت مبرة خالد   قارى الضيوف بطارف وبتالد
ماذا تمت به فجئت بحجة   قطعت بكل مجادل ومجالد
ان يفترق نسب يؤلف بيننا   أدب أتاه فى مقام الوالد

وأما الثانية

فيكفى من البرق شماعه . وحسبك من شر سماعه . ويسير التشبيه . كاف عن النبيه . فقال لست الى قراى بذى حاجة . واذا عزمت فأصالحك على دجاجة . فقلت ضريبة غريبة . ومؤنة قريبة . عجل ولا تؤجل . وان اضرم أمر النهار أسجل . فلم يكن الا كلا ولا واعوانه من القلعة تنحدر . والبشير منهم يقدمها يبتدر . يزفونها كالعروس . فوق الرؤس . فمن قائل يقول أمها يمانية . وآخر يقول أخوها الخصى الموجه الى الحضرة العلية . وادنوا مرابطها من المضرب . بعد صلاة المغرب . وألحوا فى السؤال . وتشططوا فى طلب النوال . فقلت يا بنى اللكيعة لو جئتم ببازى . بماذا كنت أجازى . فانصرفوا وما كادوا يفعلون . وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . حتى اذا سلمت الى ذبحها المدى . وبلغت من طول أعمارها

المدى . قلت يا قوم ظفرتم بقرة العين . وأبشروا بقرب اللقاء فقد ذبحت لكم غراب البين . ولقد بلغنى انه لهذا العهد بعد ان طالت المدة . يتظلم من ذلك وينطوى من أجله على الموجدة . فكتبت اليه . وصل الله عز الفقيه النبيه . العديم النظير والشبيه . وارث العدالة عن عمه وابن أبيه . فى عزة تظلله . وولاية تتوج جاهه وتكلله

داود بن بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط الله الانصارى الحارثى الابدى

(يكني أبا سليمان)

اوليته

قال الاستاذ أبو جعفر بن الزبير من بيت علم وعفاف أصله من أبذة حصن بشرق الاندلس وانتقل أبو سليمان هذا مع أخيه القاضى أبي محمد الى حيث يذكر

حاله

قال ابن عبد الملك كان حافظاً للقراءة عارفاً باقراء القرآن اتقن ذلك عن أبيه ثم أخيه كبيرهم محمد محدثا متسع الرواية شديد العناية بها كثير السماع ثقة مكثرا عادلا ضابطاً لما ينقله عارفاً بطرق الحديث أطال الرحلة فى بلاد الاندلس شرقها وغربها طالباً للعلم بها ورحل الى سبتة وغيرها من بلاد

الاندلس العدوية واعتنى بلقاء الشيوخ كباراً وصغاراً والاخذ عنهم أتم عناية وحصل له بذلك مالم يحصل لغيره وكان فيهما بصيراً بعقد الشروط حاذقا في استخراج نكتها تلبس بكتبها زمانا طويلا بمسجد الوحيد من مالقة وكان محباً في العلم وأهله حريصاً على افادته اياهم صبوراً على سماع الحديث حسن الخلق طيب النفس متواضعاً ورعا منقبضاً لين الجانب مخفوض الجناح حسن الهدى نزيه النفس كثير الحياء رقيق القلب تمدد الثناء عليه من الجلة ٠

قال ابن الزبير كان من أهل العدالة والفضل وحسن الخلق وطيب النفس والتواضع وكثرة الحياء ٠ وقال ابن عبد المجيد كان ممن فضله الله بحسن الخلق والحياء على كثير من العلماء ٠ وقال عبد الله بن سلمة كذلك

﴿ مشيخته ﴾

قال الاستاذ قرأ بمرسية وأخذ بها وبقرطبة ومالقة واشبيلية وغرناطة وسبتة وغيرها من بلاد الاندلس وغرب العدوة وأخذ عن الشيوخ هنالك حتى اجتمع له مالم يجتمع لغيره هو وأخوه ٠ فمن ذلك ابوهما وابو الحسن صالح بن يحيي بن صالح الانصارى وابو القاسم بن حسن وابو عبد الله بن حميد وابوزيد السهيلي وابو عبد الله محمد بن محمد بن عراق الغافقي وابوالعباس يحيي بن عبد الرحمن المجريطي وعن ابن بشكوال وأخذ عن أبى بكر بن الجد وأبى عبد الله بن زرقون وأبى محمد بن عبد الله وأبى عبد الله بن الفخار الحافظ وابى العباس بن مضاء وأبى محمد بن بون وابى محمد بن عبد الصمد بن يعيش الغسانى وأبى بكر بن أبي جعفر بن حكم الزاهد وابى خالد بن يزيد بن رفاعة وابي محمد عبد المنعم بن الفرس وابى الحسن ابن كوثر وابى عبد الله بن عروس وابى بكر بن أبى زمنين وابى محمد بن جمهور

وابى بكر بن البنا وابى الحسن بن محمد بن عبد العزيز الغافقى الشقورى وأبى القاسم الحوفى القاضي وأبى بكر بن بيش بن محمد بن بيش العبدرى وأبى الوليد جابر بن هشام الحضرمى وأبى بكر بن مالك الشريشى وأبى عبد البر الجزيرى وأبى بكر بن عبد الله السكسكي وأبى الحجاج بن الشيخ الفهرى وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

﴿ قضاؤه وسيره فيه ﴾

قال ابن أبي الربيع لازمت ابن أبى حوط الله فكان ابو محمد يفوق أخاه والناس فى العلم وكان أبو سليمان يفوق أخاه والناس فى الحلم واستقضى بسبتة والمرية والجزيرة الخضراء أقام قاضيا بها مدة ثم نقل منها الى قضاء بلنسية آخر ثمان وستمائة فشكرت أحواله كلها وعرف فى قضائه بالنزاهة .

قال ابو عبد الله بن سلمة كان اذا حضر خصوماً ظهر منه من التواضع ووطأة الاكناف وتبيين المراشد والصبر على المداراة والملاطفة وتحبيب الحق وتكريه الباطل ما يعجز عنه ولقد حضرته وقد أوجبت الاحكام عنده الحدود على رجل فهاله الامر وذرفت عيناه وأخذ يعتب عليه ويؤنبه على ارسال نفسه الى هذا وأمر باخراجه ليحد بشهود فى موضع آخر لرقة نفسه وشدة اشفاقه واستمرت نفسه مشفقة على الكل ودامت ولايته بمالقة الى أن توفى

﴿ مولده ﴾

ببلدة أبدة سنة ستين وخمسمائه .

﴿ وفاته ﴾

قال أبو عبد الرحمن بن غالب توفى إثر صلاة الصبح من يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وستمائة ودفن إثر صلاة العصر

يوم وفاته بسفح جبل فارة بالروضة المدفون فيها اخوه ابو محمد فاتبعه الناس ثناء جميلا ذكر أن النساء خرجن فى جنازته والصبيان داعين باكين .

رضوان النصرى الحاجب المعظم

حسنة الدولة النصرية وفخر مواليها .

أوليته

رومى الاصل أخبرنى انه من أهل القاصارة وان نسبه تجاذبه القشتالة من طرف العمومة والبرجلونية من طرف الخؤلة وكلاهما نبيه فى قومه وأن أباه الجأه الخوف بدم ارتكبه فى محل اصالته من داخل قشتالة الى السكنى بحيث ذكر ووقع عليه سباء فى سن طفوليته واستقر بسببه بالدار السلطانية ومحض احراز رقه السلطان دائل قومه أبو الوليد المار ذكره فاختص به ولازمه قبل تصيير الملك فتدرج فى معارج حظوته واختص بتربية ولده وركن الى فضل أمانته وخلطه فى قرب الجوار بنفسه واستجلى الامور المشكلة بصدقه وجعل الجوائز السنية لعظماء دولته على يده وكان يوجب حقه ويعرف فضله الى أن هلك فتعلق بكنف ولده وحفظ شمله ودبر ملكه وكان سترا للحرم وشجى للعدا وعدة فى الشدة وزينا فى الرخاء رحمة الله عليه .

حاله وصفته

كان هذا الرجل مليح الشيبة والهيئة معتدل القد والسحنة مرهوب البدن مقبول الصورة حسن الخلق واسع الصدر أصيل الرأى رزين العقل كثير التجمل

عظيم الصبر قليل الخوف فى الهامات ثابت القدم فى الازمات . ميمون النقيبة عزيز النفس عالى الهمة بادى الحشمة آية فى العفة مثلا في النزاهة ملتزماً للسنة دؤبا على الجماعة جليس القبلة شديد الادراك مع السكون ثاقب الذهن مع اظهار الغفلة مليح الرعاية مع الوقار والسكينة مستظهرا لعيون التاريخ ذاكرا الكثير من الفقه والحديث كثير الدالة على تصوير الاقاليم وأوضاع البلاد عارفا بالسياسة مكرما للعلماء تاركا الهواده قليل التصنع نافراً من أهل البدع متساوى الظاهر والباطن مقتصدا فى المطعم والملبس .

﴿ مكانته من الدين ﴾

اتفقوا على انه لم يعاقر مسكرا قط ولا زنّ بهناة ولا اطلخ بريبة ولا وسم بخلة تقدح في منصب ولا باشر عقابا غير جائز ولا أظهر شفاء من غيظ ولا اكتسب من غير التجر والفلاحة مالا

﴿ آثاره ﴾

أحدث المدرسة بغرناطة ولم تكن بها بعد وسبب اليها الفوائد ووقف عليها الرباع المغلة وانفرد بمنقبها لجاءت نسيجة وحدها بهجة ورصدا او ظرفاً ونخامة وجلب الماء الموقف فائد سقيه عليها وأدار السور الاعظم على الربض الكبير المنسوب للبيازين فانتظم منه النجد والغور فى زمان قريب وشارف التمام الى هذا العهد وبنى من الابراج المنيفة فى مثالم الثغور ورمّ فى مطالعها المنذرة ماينيف على اربعين برجا فهى ماثلة كالنجوم مابين البحر الشرقى من ثغر البيرة الى الاحواز الغربية واجرى الماء بجبل مورور مهتديا الى ما خفى على من تقدمه وأفذاذ مثل هذه الالقاب يشق تعداده .

﴿ جهاده ﴾

غزا في السادس والعشرين من محرم عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة بجيش مدينة باغة وهي ماهي من الشهرة وكرم البقعة فاخذ بمخنقها وشد حصارها وعاق الصريخ عنها فتملكها عنوة وعمرها بالحماة ورتبها بالمرابطة فكان الفتح فيها عظيما . وفي اوائل شهر المحرم من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة غزا بالجيش عدو المشرق وطوى المراحل مجتازا على بلاد قشتالة ولورقة ومرسية وأمعن فيها ونازل حصن المدور وهو حصن أمن غائلة العدو مكتنف بالبلاد مر باللسنى[1] موضوع على طية التجارة وناشبه القتال فاستولى عنوة عليه منتصف المحرم من العام المذكور وآب مملوء الحقائب سبياً وغنما

وغزواته كثيرة كمظاهرة الامير الشهير ابي مالك على منازلة جبل الفتح وما اشتهر عنه فيه من الجد والصبر وأوثر عنه من المنقبة الدالة على صحة اليقين وصدق الجهاد أصابه سهم في ذراعه وهو يصلي فلم يشغله عن صلاته ولا حمله توقع الاعادة على ابطال عمله .

﴿ ترتيب خدمته وما تخلل ذلك من محنته ﴾

لما استوثق أمر الامير المخصوص بتربيته محمد بن أمير المسلمين أبي الوليد ابن نصر وقام بالامر وكيل أبيه الفقيه ابو عبد الله محمد بن المحروق ووقع بينه وبين المترجم عهد على الوفاء والمناصحة لم يلبث ان نكبه وقبض عليه ليلة كذا من رجب عام ثمانية وعشرين وسبعمائة وبعثه ليلا الى مرسى المنكب واعتقله في الطبق من قصبتها بغيا عليه وارتكب فيه اشنوعة أساءت به العامة وانذرت باختلال الحال ثم أجازه البحر فاستقر بتلمسان ولم يلبث ان قتل

---

(١) كذا بالاصل

المذكور وبادر سلطانه الموتور بقريبه عن سرته استدعاءه فلحق بمحله من هضبة الملك متملياً ماشاء من عز وعناية فصرفت اليه المقاليد ونيطت به الامور وأسلم اليه الملك واطلقت يده فى الحال واستمرت الاحوال الى عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة وظهر من سلطانه التنكر عليه فماجله الحمام فخلصه الله منه وولى أخوه ابو الحجاج من بعده فوقع الاجماع على اختياره للوزارة أوائل المحرم من عام اربعة وثلاثين وسبعمائة فرضى الكل به وفرحت العامة والخاصة للخطة لارتفاع المنافسات بمكانه ورضى الاضداد بتوسطه وطابت النفوس بالامن من غائلته فتولى الوزارة وسحب أذيال الملك وانفرد بالامر واجتهد فى تنفيذ الاحكام وتقدم الولاة وجواب المخاطبات وقود الجيوش الى ليلة الاحد الثانى والعشرين من رجب عام اربعين وسبعمائة فنكبه الامير المذكور نكبة ثقيلة البرك هائلة النجأة من غير زلة مأثورة ولا سقطة معروفة الا مالا يعدم بباب الملوك من شرور المنافسات . ودبيب السعايات الكاذبة وقبض عليه بين يدي محراب الجامع من الحمراء إثر صلاة المغرب وقد شهر الرجال سيوفهم فوق رأسه يحنون به ويقودونه الى بعض دور الحمراء وكبس ثقات السلطان منزله فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمه وضم الى المستخلص عقاره ثم نقل بعد أيام الى قصبة المرية محمولا على الظهر فشد بها اعتقاله ورتب الحرس عليه الى أوائل شهر ربيع الثانى من عام أحد وأربعين وسبعمائة فبدا للسلطان فى أمره واضطر الي إعادته وفقد نصحه وأشفق لما عدم من أمانته والانتفاع برأيه وعرض عليه بالنوم الكف والاقصار عن ضره فعفا عنه واعاده الى محله من الكرامة وصرف عليه من ماله مافقد وعرض عليه الوزارة فأباها واختار برد العافية وأنس لذة التخلى

فقدم لذلك من سد الثغور فكان له اللفظ ولهذا الرجل المعنى فلم يزل مفزعا للرأى محلا لالمظة على الولاية كثير الآمل والغاشى الى ان توفى السلطان المذكور غرة شوال من عام خمسة وخمسين وسبعمائة فشعب الثأى وحفظ البلوى وأخذ البيعة لولده سلطاننا الاسعد ابي عبد الله وقام خير قيام بامره وجرى على معهود البربه وقد تحكمت التجربة وعلت السن وزادت أنة الخشية من لقاء الله الشفقة فلا تسأل عما حط من خلل وافاض من عدل وبذل من مداراة وحاول عقد السلم وسد أمور الجند على القل ودامت حاله متصلة على ماذكر وسنه تتوسط عشر التسعين الى ان لحق بربه وقد علم الله أنى لم يحملني على تقرير سيرته والاشادة بمنقبته داعية وانما هو قول بالحق وتسليم لحجة الفضل وعدل فى الوصف والله عز وجل (يقول واذا قلتم فاعدلوا)

﴿ وفاته ﴾

فى ليلة الاربعاء الثامن والعشرين من رمضان من عام ستين وسبعمائة طرق منزله بعد فراغه من احياء ثلث الليل متبذل اللبسة خالص الطوية ممتطياً للأمن مستشعراً للعافية قائما على المسلمين بالكل حاملا للعظيمة وقد بادر الغادرون بسلطانه فكسروا غلقه بعد طول معالجة ودخلوا عليه وقتلوه بين أهله وولده وذهبوا الى الدائل برأسه وفجعوا الاسلام بالسائس الخصيب المغاضى راكب متن الصبر ومطوق طوق النزاهة والعفاف وآخر رجال الكمال والستر الضافى على الاندلس ولوثم من الغد بين رأسه وجسده ودفن بازاء الجود مواليه من السبيكة ظهرا ولم يشهد جنازته الا القليل من الناس وتبرك بعد بقبره وقلت عند الصلاة أخاطبه دون الجهر من القول لمكان التقية

أرضوان لا توحشك فتكة ظالم   فلا مورد الا سيتلوه مصدر

ولله سرّ في العباد مغيب   يشهر خافيه القضاء المقدّر
سميك مرتاح اليك مسلم   عليك ورضوان من الله أكبر
فحث المطاليس النعيم بمنقض   ولا العيش فى دار الخلود مكدر

﴿ زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجي الحاجب ﴾

﴿ المنصور يكنى أبا مثنى ﴾

﴿ أوليته ﴾

قدمر ماحدث بين أبيه زيرى وبين قريبه من ملوك افريقية باديس ابن منصور من المشاحنة التى أوجبت مخاطبة المظفر بن أبى عامر في اللحاق بالاندلس واذنه فى ذلك فدخل الاندلس منهم على عهده جماعة وافرة من مساعير الحروب وأطاروا الحتوف مع شيخهم هذا وأميرهم ودخل منهم معه أبناء أخيه ماكسن وحباسة وحيوس وقاموا فى جملة المظفر وزاوى مخصوص باسم الحجابة فلما اختل بناء الخليفة محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدى أذلهم وتنكر لهم وأشاع بينهم وبين أمثالهم من البرابرة المغايرة فكان ذلك سبب الفتنة التى يسميها أهل الاندلس بالبربرية فانحاشوا ونقضوا عهده وبايعوا سليمان بن الحكم واستعانوا بالنصارى وجرّوا على أهل قرطبة خصوصاً وعلى أهل الاندلس عموماً ماشاء الله من استباحة واهلاك نفوس وغلبوا على ملك الاندلس وما وراء البيضة واقتسموا أمهات الاقطار وانحازوا الى بلاد

تضمهم فانحازت صنهاجة مع رئيسهم المذكور الى غرناطة فأووا اليها واتخذوها ملجأ وحماها زاوى المذكور وأقام بها ملكا وأثل بها سلطاناً لذويه فهو أول من مدّن غرناطة وبناها وزادها تشييداً ومنعة واتصل ملكه بها وارتسخت عروقه الى ان كان من ظهوره بها واحوازها على عساكر الموالى الراجعين بامامهم المرتضى الى قرطبة البادين بقتاله والآخذين بكظمه كما تقرر ويقرر فى اسم المرتضى من باب الموحدين بحول الله . وكان زاوى كبش الحروب . وكاشف الكروب . خدم قومه شهير الذكر أصيل المجد المثل المضروب فى الدهاء والرأى والشجاعة والانفة والحزم

قال بعضهم أحكم التدبير والدولة تسعده . والمقادير تنجده . وحكيت له فى الحروب حكايات عجيبة

﴿ بعض أخباره في الرأى ﴾

قال أبو مروان وقد ذكر الفتنة البربرية لما خاص ملأ القوم لتشاور أمرهم وهم فرض فى خروجهم من قرطبة عند ما انتهوا الى فحص هلال واجمعوا على التاسى ضرب لهم زعيمهم زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجى مثلا بارماح خمسة جمعها مشدودة ودفعها لأشد من حضر معه منهم وقال له اجهد نفسك فى كسرها كما هى فعالج ذلك فلم يقدر عليه فقال له حلها وعالجها رمحاً رمحا فلم يبعد عليه دقها فأقبل على الجماعة وقال هذا مثلكم بابرابرة ان اجتمعتم لم تطاقوا وان تفرقتم لم تبقوا والجماعة فى طلبكم فانظروا الأنفسكم وعجلوا فقالوا نأخذ بالوثيقة ولا نلقى بأيدينا الى التهلكة فقال لهم بايعوا لهذا القرشى سليمان يرفع عنكم الانفة فى الرياسات وتستميلوا اليه العامة بالجنسية ففعلوا فلما تمت البيعة قال ان مثل هذا الحال لا يقوى على الاستطالة فليقد

رئيس كل قبيلة منكم قبيلته ويتكفل للسلطان بتقويمهم وأنا الكفيل بصنهاجة قال وانحازت بطون القبائل الى أرحامها وقبائلها الى أفخاذها وفصائلها فاجمع كل فريق منهم على تقديم سيده واجتمعت صنهاجة على كبيرها زاوى ولازمت تلك القبائل المتألفة بالاندلس طاعة أميرها المنقادين له الى أن أورثوهم الامارة ٠

﴿ التوقيع ﴾

قالوا ولما نازله المرتضى الذى أجلب به موالى العامريين بظاهر غرناطة خاطبه يدعوه الى طاعته وأجمل موعده فيه فلما قرئ على زاوى قال لكاتبه اكتب على ظهر رقعته قل يا أيها الكافرون السورة فلما بلغت المرتضى أعاد عليه كتابا يعده فيه بوعيده فلما قرئ على زاوى قال ردّ عليه ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر الى آخرها فازداد المرتضى غيظا وناشبه القتال فكان الظهور لزاوي

قال المؤرخ وقاتلت صنهاجة مع أميرهم مستميتين فى بحر العساكر على انفرادهم وقلة عددهم الى ان انهزم أهل الاندلس وطاروا على وجوههم مسلموهم وافرنجهم لا يلوون على أحد فاوقع البربر بهم السيف ونهبوا تلك المحلات واحتووا على ما لا كفاء له اتساعا وكثرة ظل الفارس يجئ ومعه العشرة من اتباع المنهزمين ولا تسال عما درّ ذلك من فاخر النهب وخير الفساطيط ومضارب الامراء والرؤساء قال ابن حيان فخامت بهذه الوقعة على جماعة الاندلس مصيبة أنست ماقبلها ولم يجتمع لهم جمع بعدها وفروا بأدبار ٠ وباؤا بالصغار

﴿ منصرفه عن الاندلس ﴾

قال المؤرخ ولهول عاينه زاوى من اقتدار الاندلس فى أيام تلك الحروب

جماجمهم واشرافهم على التغلب عليه هان عليه سلطانه على الاندلس وخرج عنها نظراً الى عاقبة أمره ودعا جماعة من قومه بذلك فعصوه وركب البحر بجيشه وأهله فلحق بأفريقية وطنه قال فكان من أغرب الاخبار فى الدولة الحمودية انزعاج ذلك الشيخ زاوى عن سلطانه بعد ذلك الفتح العظيم الذى ناله على أهل الاندلس وعبوره البحر بعد ان استأذن ابن أخيه المعز بن باديس فأذن له وحرص بنو عمه بالقيروان على رجوعه لهم بحال سيئة وتقريبه يومئذ مثله من مشيختهم لهلاك جميع اخوته وحصوله هو فى مقر بنى مناد الغريب الشان ولم يحجب عنه نساءهم وكن زهاء الف امرأة فى ذلك الوقت هن ذوات محرم من بنات اخوته وبناتهن وبنى بيهن وكان رحيل زاوى من الاندلس سنة ست عشرة واربعمائة . قال ابن حيان واخبار هذه الداهية كثيرة وافعاله ونوادره مأثورة

زهير العامرى فتى المنصور بن أبى عامر

حاله

كان شهما داهية شديد المذهب مؤثرا للاناث ولى بعد خيران صاحب المرية وقام بأمره أحمد قيام سنة تسع عشرة واربعمائة يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الاولى وكان أميراً لمرسية فوجه اليه خيران حين أحسّ الموت فوصل اليه وكان عنده الى ان مات فخرج زهير مع ابن العباس الى الناس فقال لهم أما الخليفة خيران فقد مات وقد أقام أخاه زهيرا هذا فما تقولون

فرضى الناس به فدامت مدة ولايته عشرة أعوام ونصف عام الى أن قتل

﴿ مناقبه ﴾

قال أبو القاسم الغافقي كان حسن السيرة جميلها بنى المسجد فى المرية ودارفيه من جهاته الثلاث المشرق والمغرب والجوف وبنى مسجدا ببجاية وشاور الفقهاء وعمل بقولهم وملك قرطبة ودخل قصرها يوم الاحد لخمس بقين من شعبان سنة خمس وعشرين واربعمائة ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهرا ونصف شهر

قال ابن عذاري وأما زهير الفتى فامتدت اطناب مملكته الى قرطبة ونواحيها والى شاطبة وما يليها والى بياسة والى الفرج من اول طليطلة قالوا أقدم باديس الى زهير رسوله معاتباً مستدعياً تجديد المحالفة فسارع زهير واقبل نحوه واغتر بالعجب وضيع الحزم ووثق بالكثرة أشبه شيء بمجيء الامير الضخم الى عامل من عماله قد ترك رسم الالتقاء بالنظراء وغير ذلك من وجوه الحزم واعرض عن ذلك كله وأقبل ضارباً سوطه حتى تجاوز الحد الذى جرت العادة بالوقوف عنده من عمل باديس دون اذنه له وصير الاوعار والمضايق خلف ظهره ولم يفكر فيها واقتحم البلد حتى صار الى غرناطة ولما وصل خرج باديس في جمعه وقد انكر اقتحامه وعده حاصلا في قبضته فبدأ له بالحيل والتكريم وأوسع عليه وعلى رجاله فى العطاء والقرى والقضم بما امكن اغترارهم به وثبت طمأنينتهم ووقعت المناظرة بين زهير وباديس ومن حضرهما من رجال دولتهما فنشأ بينهما عارض خلاف لاول وهلة وحمل زهير أمره على التشطط فعزم باديس على اللقاء ووافقه عليه قوم من خدامه فأقام المراتب ونصب الكتائب وقطع قنطرة لامحيد عنها لزهير

والخائن لايشعر وغاداه عن تعبية محكمة فلم يرعه الا وجوه القوم راجعين فدهش زهير وأصحابه الا أنه أحسن تدبير الثبات لو استتمه وقام فنصب الحرب وثبت فى قلب العسكر وقدم خليفته هذيلا في وجوه أصحابه الى الموالى فلما رأتهم صنهاجة اختلطوا بهم واشتد القتال فحكم الله لأول الطائفتين من صنهاجة ليرى قدرته فانهزم زهير وأصحابه وتقطعوا وعمل السيف فيهم فمزقوا وقتل زهير وجهل مصرعه وغنم رجال باديس من المال والاسلحة والحلية والعدة والغلمان والخيام مالايحاط بوصفه وكانت وفاة زهير يوم الجمعة عقب شوال سنة تسع وعشرين واربعمائة بقرية الفنت خارج غرناطة

﴿ طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسي وأخواه أبو بكر وأبو الحسن بنو القبطرنة يكني أبا محمد ﴾

﴿ حالهم ﴾

كانوا عيوناً من عيون الادب بالاندلس وممن اشتهروا بالظرف والشرف والجلالة . وقال أبو الحسن بن بسام وقد ذكر أبا بكر منهم فقال أحد فرسان الكلام . وحملة السيوف والاقلام . من أسرة اصالة . وبيت جلالة . أخذوا العلم أولا عن آخر . وورثوه كابراً عن كابر . كلالة كهقعة الجوزاء . وان أربوا عن الشعرى في السناء . كتب أبو محمد بن عبد العزيز وأخواه عن ملك لمتونة ودخلوا معه غرناطة ذكر ذلك غير واحد واجتزأت بذكر أبي محمد وتبعه أخواه اختصاراً .

﴿ شعره ﴾

من شعر أبي محمد قوله فى الاستدعاء

هلم الى روضنا يازهير ولح فى سناء المنى ياقمرْ
وفوق لانسك سهم الاخا ء فقد عطلت قوسه والوترْ
اذا لم تكن عندنا حاضراً فما لغصون الاماني ثمرْ
وقمت من القلب وقع المنى وحزت من العين حسن الحورْ

قال ابو نصر بات مع أخويه فى أيام صباه . واستطاب جنوب الشمال وصَباه . بالمنية المسماة بالبديع وهو روض كان المتوكل يكلف بموافاته . ويبتهج بحسن صفاته . ويقطف ريحانه وزهره . ويقف عليه اغفاءه وسهره . ويستفزه الطرب متى ذكره . ويتهز فرص الانس فيه روحاته وبكره . ويدير حمياه على ضفة نهره . ويخلع سره فيه لطاعة جهره . ومعه أخواه فطاردوا اللذات حتى قضوها . ولبسوا برود السرور فما نضوها . حتى صرعتهم العقار . وطلحتهم تلك الاوقار . فلما هم رداء الفجر أن ينَدى . وجبين الصبح ان يتبدى . قام الوزير أبو محمد فقال .

ياشقيقيّ وافى الصباح بوجه ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرة يوم لست تدرى بما يجئ مساؤه

ثم استيقظ اخوه ابو بكر فقال

يا أخي قم تر النسيم عليلا باكر الروض والمدام شمولا
فى رياض تعانق الزهر فيها مثل ماعانق الخليلُ الخليلا
لاتنم واغتنم مسرة يوم ان تحت التراب نوما طويلا

ثم استيقظ اخوهما ابو الحسن . وقد ذهب عن عقله الوسن . فقال .

يا صاحبيّ ذرا لومي ومعتبتي قم نصطبح قهوة من خير ماذخروا
وبادرا غفلة الايام واغتنما فاليوم خمر ويبدو في غد خبر

وقال ابو بكر فى بقرة أخذها له الرتو صاحب قلمورية وقد اعار ارضه

وأفقد فيها الرتو أما حفية اذاهي حفت ألفت بين وفدين
تعنفني امي على ان رثيتها وأني قد ابيتها الدم من عيني
لها الفضل طوعا ارضعتني حقبة وبالرغم أمي ارضعتني حولين

محمد بن اسماعيل بن محمد بن فرج بن اسماعيل
ابن نصر الرئيس المتوثب على الملك وعلى كرسي
(الامارة وعاقد صفقة الخسران المبين)
«يكنى أبا عبد الله»

اوليته معروفة

حاله

من نفاضة الجراب وغيره كان شيطاناً ذميم الخلق حرفوشاً على عرف المشارقة مترامياً للخسائس مألفا للذعرة والاجلاف والثوار وأولى الريب خبيثاً كثير النكر منغمساً فى العهن كلفاً بالاحداث متغلباً عليهم فى الطرق خليع الرسن ساقط الحشمة كثير التبذل قواد عصبة كلاب معالجا لامراضها مباشرا للصيد بها راجلا فى ثياب منتوف الشعر من الجلود والسوابل والاعمال

عقد له السلطان على بنته لوقوع القحط فى رجال بيتهم وتوجه بالولاية واركبه واعطى له من موبقات تقصر به الى ان هلك وحاد الامر عن شقيق زوجه واستقر فى أخيه وثقل على الدولة لكراهة طلعته وسوء الاحدوثة به فامر بترك المباشرة والدخول للقلعة واذن له فى التصرف فى البلد والفحص والقيت عليه النعمة فداخل ام زوجه وضمن لها اتمام الامر لولدها وأمدته بالمال فنظر من المساعير شيعة من كسرة الاغلاق . وقتلة الرفاق . ومختلسى البضائع ومخيفى السابلة واستضاف من اسافلة الدولة من آسفته باقصاء قصده أو مطل وعد أوحط رتبة اوعزل عن ولاية فاستظهر منهم بمدد ولا كالشقى الدايل المورورى الغريب الطور وابراهيم بن ابي الفتح المنبوز بالاضليع قريع الجهل ومستور العظيمة وارتادوا عورة القلعة فاهتدوا منها الى ماشاؤه وتألفوا بخارج ثم تسللوا ببعض الوادى تحت الظلام الى ان لصقوا بجناح السور الصاعد الراكبة قوسه جرية النهر وصعدوا متساوقين جناحه الملتصق بسور القلعة وقد نقض كثير من ارتفاعه لحدثان اصلاح فيه فتسوروه عن سلم ودافع بعض محاربيهم بعضا فى استباق ادراجه فدخلوا البلد فى الثلث الاخير من ليلة الاربعاء الثامن والعشرين من رمضان ثم استغلظوا بالمشاعيل واسفوا الناس وقتلوا نائب الملك رضوان النصري سائس الامر وبقية المشيخة واستخرجوا السلطان فنصبوه للناس وتم الامر بما دل على احتقار الدنيا عند الله وانخرط هذا الخب فى طور غريب من التنزل للسلطان والاستخدام لأمه والتهالك فى نصحه وخلط نفسه فيه وتبذل فى خدمته يتولى له الامور ويمشي فى زى الاشراط بين يديه ويتأتى لشهواته ويتظاهر بحراسته . ولما علم ان الامر يشق تصيره اليه من غير واسطة بغير انقياد الناس اليه من غير تدويخ كاره ألطف الحيلة

فى مساعدته على اللذات بالعهر واغرائه بالخبائث وشغله وقتله بالشهوات المنحرفة وجعل يتبرأ من دنيته وينفق بين الناس من سلع اغتيابه ويرى الجماهير الانكار لصنيعه ويزين لهم الاستعاضة منه بعد ماغلظت شوكته وضم الرجال الي نفسه موريا بحفظه والاسظهار على صونه وفى الرابع من شعبان احد وستين وسبعمائة ثاربه في محل سكنه في جواره واستجاش أولياء غدره وكبس منزله مداخلا للوزير المشؤم عاقدا معه صفقة الغدر وامتنع السلطان بالبرج الاعظم فاستنزله وقتله كما مر فى اسم المذكور قبل واستولى على الملك فلم يختلف عليه اثنان وشغل طاغية الروم حرب كان بينه وبين القطالين فتجلى لمسالمته فاغتبط الصنيع وتهنى المنحة وتشطط على الروم فى شروط غير معتادة سامحوه بها مكيدة واستدراجا واجتاز امير المسلمين المصاب بغدره الى الاندلس طالبا لحقه ومبادرا الى رد أمره فسقط فى يده ووجه الجيش اليه بمثواه من بلدة رندة فانصرف عنها خائبا ورجع ادراجه يشك فى النجاة وتفرغ اليه الطاغية ففغر اليه فمه وقد اجدت عليه شوكته وقيمة نصر الله فيها الدين واملى لهذا الوغد فلم يقله العثرة ونازل حصونه المتضمة واستولى على كثير منها وحام فلم يصحر غلوة واكذب ما أمده من البسالة وظهر للناس بلبس الصوف وأظهر التوبة على سريرة دخلة وفسق مبين وقل مابيده وفقد بيت ماله فلم يجد شيأ يرجع عليه من بعد ماسبك الآنية والحلية وباع العقار لتبذيره وسحه المال سحا فى ابواب الاراجيف والاختلافات وازمع على الانسلال وعند ماتحرك السلطان الي غربى مالقة ونجم أهلها بطاعته ودخلوا في أمره وسقط عليه الخبر اشتمل على الذخائر جماء وهى التى لم تشتمل خزائن الملوك مطلقا على مثلها من الاحجار واللؤلؤ والقصب والتف عليه الجمع

والمستميت جمع الضلال ومرد الغيّ وخرج عن المدينة ليلة الاربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة وصوب وجهه الى سلطان قشتالة مكظوم تجنيه وموتور سوء جواره عن غير عهد الا ما احل من التبقى عنده والتذمم به وضمان اتلاف الاسلام واستباحة البلاد والعباد بنكرته

ولما استقر لديه نزله تقبض عليه وعلى شرذمته المنيفة على ثلاثمائة فارس من البغاة كشيخ جنده الغربي ادريس بن عثمان بن ادريس بن عبد الله بن عبد الحق ومن سواه تحصل بسببهم ليد الطاغية كلما تسمو اليه الآمال من جواد فاره ومنطقة ثقيلة وسلاح محلى وجوشن رفيع ودرع حصينة وبيضة مذهبة وبزة فاخرة وصامت عتيد وذخيرة شريفه فتنخل منهم متولى التسور لجملهم اسوة رأسهم فى القتل خر بعضهم يومئذ على بعض فى القتل وأخذتهم السيوف فخلوا بعد الشهرة والتمثيل فى ازقة المدينة وإشاعة النداء في الجزيرة ثانى رجب من العام المؤرخ وركب أسوق سائرهم الاداهم واستخلصهم الاسار وبادر بتوجيه رؤسهم فنصبت من فوق العورة التى كان منها تسورهم القلعة فمكثت بها الى ان استنزلت ووريت وانقضى أمره على هذه الوتيرة مشؤما دبيرا لم يمتعه الله بالنعيم . ولا هنأه بسكنى المحل الكريم ولا سوغه راحة ولا ملاه موهبة ولا أقام على فضله حجة ولا اعانه على زلفة انما كان رئيس السراب . وعريف الخراب . وإمام الشراب نذر يوما فى نفسه وقد رفعت اليه امرأة من البدو تدعى ان دارها سرقت فقال ان كان ليلا بعد ماسد باب الحمراء على وعلى ناسي فهى والله كاذبة اذ لم يبق سارق فى الدنيا أو فى البلاد الا وقد تحصل خلفه وقانا

الله المحن وثبتنا على مستقر الرشد ولا عاقنا عن جادة الاستقامة .

﴿ وزراء دولته ﴾

استوزر الوزير المشؤم ممده فى الغىّ الوغد الجهول المجهول المرتاش من السرقة الحقود على عباد الله من غير علة عن سوء العاقبة المخالف فى الادب سنن الشريعة . البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة . دودة القز وبغل طاحونة الغدر وزق القطران محمد بن ابراهيم بن ابى الفتح الفهرى فانطلقت يده على الابشار ولسانه على الاعراض وعينه على النظر الشزر وصدره على التأوه والرين يلقى الرجل كأنه قاتل أبيه محدقا الى كميه يحترش بهما خبيئة او يظن بهما رشوة فاجاب الله دعوة المضطرين . ورغبات السائلين . وعاجله بالاخذة الرابية . والبطشة القاضية . فقبض عليه ليلة السبت العاشر لرمضان من العام المذكور وعلى ابن عمه المضرفوط وعلى آخرين ممن نهض معهما وانفذ الامر بتغريقهم فمضى حكم الله بهذه المنية الفرعونية فيهم لاتبديل لكلمات قاهر الجبابرة وغالب الغلاب وجاعل العاقبة للمتقين

واستوزر بعده اولى الناس وانسبهم الى دولته واحقهم بمظاهرته المسوس الجبار الباس والفطرة المختل الفكرة الحوّل الشهير الضجر محمد بن على بن مسعود فما بلى الناس على طول الحمرة وانفساخ زمان التجربة اسوأ تدبيراً ولا أشر معاملة ولا ابذى لسانا ولا أكثر شكوى ومعاتبة ولا اشح يدا ولا اجدب خوانا من ذلك المشؤم ينعق اليوم بما لا يسمع ويسرد الاكاذيب ويسيء السمع فيسيء الاجابة ويقود الجيش فيعود بالخيبة الى ان كان الفرار فصحبه الى مصرعه وكان ممن استأثر به القيد الثقيل والاسر الشديد والعذاب الاليم غادته

بذلك عادة المالاخوليا التي كان يحجب سمها زمان ترفيهه فقضت عليه سيء المنية مطرح الجثة سترنا الله بستره ولا سلبنا في الحياة ولا في الممات ثوب عنايته

﴿ كاتب سره ﴾

صاحبنا الاهوج قصب الريح وشجرة الخور وصوت الصدى ابو محمد عبد الحق بن عطيه المستبد بتدبير الدبير خطا فوق الرقاع الجاهلية ومساره في الخلوات الفاسقة وصدعا فوق المنابر يذب عنه ذب الوالدة وينتهي في الاعتذار عن هناته الى الغايات القاصرة .

﴿ قضاته ﴾

شيخنا ابو البركات المخدوع بزخرف الدنيا على الكبرة والعناء لطف الله به والهمه رشده

﴿ شيخ الغزاة على عهده ﴾

ادريس بن عثمان بن ادريس بن عبد الحق بن محيو بيت الدبرة ووشيجة الشجرة الجتيثة ذهب في الجملة من أهل بيته عند القبض عليهم واستقر في القبض الاشهب من قبيله بالمغرب مطاق الاقطاع مرموقا بعين التجلة مكنوفا بشهرة الاب الى أن سعى به الى السلطان نسيج وحده فارس بن علي واستشعر البث فطار به الذعر لا يلوى عنانا حتى سقط بافريقية وعبر البحر الى ملك برجلونة ثم اتصل بالدولة النصرية بين ادالة الغدر وايالة الشر فقلده الدائل مشيخة الغزاة ونوه به فاستراب منزله يحيي بن عمر ففر الى أرض الروم حسبما يذكر في اسمه فقام له بهذا الوظيف ظاهر الشهرة والابهة مخصوصا منه بالتجلة الى ان كان ما كان من ازمانه وفراره فوفى له وصحب ركابه وقاسمه المنسجة شق الابلة واستقر أسيرا عانيا غاق الدهر لضنانة العدو بمثله الى

ان افلت من وثيق الاغلاق وشد الوثاق ولحق بالمسلمين فى خبر لم يشتمل كتاب الفرج بعد الشدة على مثله ولا اغرب منه يستقر فى اسمه الماع به ثم استقر بالمغرب مستقلا ثم مات رحمه الله ٠

﴿ من كان على عهده من الملوك ﴾

بمدينة فاس دار ملك المغرب السلطان الخير الكريم الابوة المودود قبل الولاية اللين العريكة الشهير الفضل فى الحياة آية الله فى اغراب الصنع واغراب الادب ابو سالم ابراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أمير المسلمين المترجم به فى حرف الالف ٠ ولما قتل يوم الحادى والعشرين لذى القعدة من عام اثنين وستين قام بالامر من بعده أخوه المتحيل ابو عامر تاشفين بن على الى اواخر صفر من عام ثلاثة وستين ولحق بالبلد الجديد الامير محمد زيان بن الامير ابى عبد الرحمن بن على بن عثمان المترجم به فى بابه ثم المتولى من عام ثمانية وستين وسبعمائة السلطان أبو فارس عمه المؤمل لم الشعث وضم النشر وتجديد الامر بحول الله ابن السلطان الكبير المقدس ابى الحسن بن سعيد ابن يعقوب بن عبد الحق وهو بعد متصل الحال الى اليوم ٠

وبتلمسان الامير ابو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمرسان بن زيان ٠ وبافريقية الامير الخليفة محلى عرفهم ابراهيم بن امير المؤمنين ابى يحيى ابن حفص

وبقشتالة بطرة بن الهنشة بن هراندة بن شانجة المصنوع له ولى النعمة منه ومستوجب الشكر من المسلمين لاجله باراحته منهم

وبأرغون بطرة بن شانجة

وبرندة مزاحمه بالمنكب الفخم أمير المسلمين حقيقة المرتب الحق المعقود

البيعة وصاحب الكرة وولى حسن العاقبة مجتث شجرة الخبث وصارخ ايالته الدينية ابو عبد الله محمد بن امير المسلمين ابى الحجاج بن أمير المسلمين ابى الوليد بن نصر

﴿ مولد ﴾

مولد هذه النسمة المشؤمة أول يوم من رجب عام اثنين وثلاثين وسبعمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفى قتيلا ممثلا به بطيلاطة بظاهر اشبيلية فى الثانى من رجب عام ثلاث وستين وسبعمائة وسيقت رؤس اشياعه الغادرين مع رأسه الى الحضرة فصلبت وفى ذلك قلت

في غير حفظ الله من هامة ... هام بها الشيطان فى كل وادى
لا خلفت ذكرا ولا رحمة ... فى فم انسان ولا فى فؤادى

﴿ محمد بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن محمد ﴾
﴿ بن احمد بن خميس بن نصر الخزرجى أمير المسلمين بالاندلس ﴾
« بعد أبيه رحمه الله »

﴿ أوليته ﴾

معروفة .

﴿ حاله ﴾

كان ممدوداً في نبلاء الملوك عزاً وشهامة وجمالا وخصالا عذب الشمائل حلو اللقاء لوذعياً هشا سخيا المثل المضروب في الشجاعة المقتحمة حد الهور حلس ظهور الخيل وأفرس من جال على ظهورها لاتقع العين وان غصت الميادين على اعرف بركض الجياد منه مغرماً بالصيد عارفاً بسمات السفار وشيات الخيل يحب الادب ويرتاح الى الشعر وينبه على العيون ويلم بالنادرة الحارة أخذت له البيعة في يوم مهلك أبيه وهو يوم الثلاثاء السابع والعشرين لرجب من عام خمسة وعشرين وسبعمائة وناله الحجب واشتملت عليه الكفالة الى أن شب وظهر وفتك بوزيره المتغلب على ملكه وهو غلام لم يبقل خده فهيب شأنه ورهبت سطوته وبرز لمباشرة الميادين وارتياد المطارد واجتلاء الوجوه فكان ملئ العيون والصدور

﴿ ذكاؤه ﴾

حدثني القائد ابو القاسم بن الوزير ابي عبد الله بن عيسى وزير جده قال ذكروا يوماً بحضرته تباين قول المتنبي

الا خدد الله ورد الخدود   وقد قدود الحسان القدود

وقول امرئ القيس ·

وان كنت قد ساءتك مني خليقة   فسلي ثيابي من ثيابك وانسلي

وقول ابراهيم بن سهل ·

انى له من دمى المسفوك معتذراً   أقول حملته في سفكه تعبا

فقال رحمه الله بديهة بينهما مابين نفس ملك عربي وشاعر ونفس يهودى تحت الذمة وانما تتنفس بقدر همها أو كلاماً هذا معناه ولما نازل مدينة

قبرة ودخل جفنها عنوة وقاتل قصبتها ورماها بالنفط وتغلب عليها وهي ماهي عند المسلمين وعند النصاري من الشهرة والجلالة بادرناه تهنئة بما نسق له فزوى وجهه عنا وقال لماذا تهنئوني به كانكم رأيتم تلك الخرقة بكذا يعني العلم الكبير في منار اشبيلية فعجبنا من بعد همته ومرمي عزمه .

﴿ شجاعته ﴾

اقسم ان يغير على باب مدينة بيانة في عدة قليلة عينها فوقع البهت وتوقعت الفاقرة لقرب الصريخ ومنعة الحوزة وكثرة الحامية واتصال تخوم البلاد ووفور الفرسان بذلك الصقع وتخل أهل الحفاظ وهجم على باب الكفار نهاراً وانتهى الى باب المدينة وقد برزت الحامية وتوقع فرسان الروم الكمناء فاقصروا عن الاحصار وحمي المسلمون فشدوا عليهم فاعطوهم الضعة ودخلوا المدينة امامهم ورمي السلطان أحد الرجال الناشبة بمزراق كان بيده محلى السنان رفيع القيمة وتحامل يريد الباب فمنع الاجهاز عليه وانتزاع الرمح الذى كان يجره خلفه وقال اتركوه يعالج به رمحه ان كان اخطأته المنية وافلت من أنشوطة خطر عظيمة .

﴿ جهاده ومناقبه ﴾

كان له وقائع في الكفار على قلة أيامه وتحرك ونال البلاد وفتح قبرة ومقدم جيش العدو الذى بيت بظاهرها واثخن فيه وفتح الله على يده مدينة باغوة وتغلب المسلمون على حصن قشتالة ونازل حصن قشرة بنفسه لدى قرطبة فكاد يتغلب عليه لولا مدد اتصل للنصارى به واعظم مناقبه تخليص جبل الفتح وقد أخذ الطاغية بكظمه ونازله على قرب العهد من تملك المسلمين اياه واناخ عليه بكلكله وهد بالمجانيق اسواره بدار الطاغية واستنزل عزمه وتحفه

ولحق في موضع اختلاله الى ان صرفه عنه وعقد له صلحا ففازت به قدح الاسلام وخلصه من بين ناب العدو وظفره فكان الفتح عظيما لا كفاء له

﴿ بعض الاحداث فى دولته ﴾

وفى شهر المحرم من عام سبعة وعشرين وسبعمائة نشأت بين المتغلب على دولته ووزيره وبين شيخ الغزاة وأمير القبائل العدوية عثمان بن أبى العلا الوحشة وألقحت ريحها السعايات فصبت على المسلمين شؤبوب فتنة عظم فيهم أثرها عطبا وشيم الانصراف عن الاندلس فلحق بساحل المرية واحرزته المذاهب وتحامت جواره الملوك فداخل اهل حصن اندرش فدخل فى طاعته ثم استضاف اليه مايجاوره فاعضل الدواء ٠ وتفاقمت اللأواء ٠ وغامت سماء الفتنة واستنفد خزائن الاموال المعدة لدفع العدو واستلحق الشيخ ابا سعيد عم السلطان وقد استقر بتلمسان فلحق به وقام بدعوته فى أخريات صفر عام سبعة وعشرين وسبعمائة واغتنم الطاغية فتنة المسلمين فنزل ثغر ويدة ركاب الجهاد وشجي العدو فتغلب عليه واستولى على جملة من الحصون التى تجاوره فاتسع نطاق الخوف وأعيى داء الشر وصرف الى ملك المغرب فى أخريات العام رندة ومربلة وما اليها وترددت الرسائل بين السلطان وبين شيخ الغزاة فاجلت الحال عن مهادنة ومعاودة للطاعة فصرف أمرهم ادراجهم الى العدوة وانتقلوا الى سكنى وادى آش على رسم الخدمة والحماية على شروط مقررة واوقع السلطان بوزيره واعاد الشيخ الى محله من حضرته أوائل عام ثمانية وعشرين بعده واستقدم القائد الحاجب أبا النعيم رضوان من أعاصم حبالية فتيلة فقام بأمره أحسن قيام عبر البحر بنفسه بعد استقرار ملكه في الرابع والعشرين من شهر ذى الحجة من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة فاجتمع مع

ملك المغرب السلطان الكبير ابو الحسن بن عثمان فاكرم نزله واصحبه الى الاندلس وحباه بما لم يحب به ملك تقدمه من مغربيات الخيل وخطير الذخيرة ومستجاد العدة ونزل الجيش على أثره جبل الفتح وتوجه الحاجب أبو النعيم باكبر اخوة السلطان مظاهرا على سبيل النيابة وهنأ الله فتحه ثم استعاده بلحاق السلطان ومحاولة أمره كما تقدم فتم له ذلك يوم الثلاثاء الثانى عشر لذى الحجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة

﴿ وزراء دولته ﴾

وزر له وزير أبيه وأخذ له البيعة وهو مثخن بالجراحات التى اصابته يوم الفتك بابيه الغنى بالله السلطان أبي الوليد ولم ينشب ان اجهز جرح تجاوز عظم الدفاع بعد مصابرة ألم العلاج الشديد حسبما يأتى فى اسمه وهو ابو الحسن على بن مسعود بن يحى بن مسعود المحاربى وترقى الى الوزارة والحجابة وكيل ابيه محمد بن أحمد المحروق من أهل غرناطة يوم الاثنين غرة شهر من عام خمسة وعشرين وسبعمائة ويأتى التعريف بهم ثم اغتيل بامره ثانى عصر محرم فاتح تسع وعشرين ثم وزر له القائد ابو بكر عتيق بن يحيي ابن المول من وجوه الدولة وصدر من لاميت بوصله الى السابع عشر من رجب من العام ثم صرف الى العدوة واقام رسم الوزارة والحجابة والنيابة أبو نعيم مولى ابيه بعد آخر مدته بعد ان التاث امره لديه وزاحمه بأحد المماليك المسمى بعصام حسبما يأتى ذكره فى موضعه ان شاء الله

﴿ رئيس كتابه ﴾

كتب له كاتب أبيه قبله وأخيه بعده شيخنا نسيج وحده ابو الحسن على ابن الجياب الآتى ذكره فى موضعه ان شاء الله .

﴿ قضاته ﴾

استمرت الاحكام لقاضي ابيه اخي وزيره الشيخ الفقيه ابي بكر بن مسعود رحمه الله الى عام سبعة وعشرين وسبعمائة ووجهه رسولا عنه الى ملك المغرب فادركته وفاته بمدينة سلا فدفن بمقبرة سلا رأيت قبره فيه رحمه الله وتخلف ابنه أبو يحيي مسعود عام أحد وثلاثين وسبعمائة وتولى الاحكام الشرعية القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيي بن أبي بكر الاشعرى خاتمة الفقهاء وصدر العلماء رحمه الله فاستمرت الاحكام الى تمام مدة أخيه بعده .

﴿ أمه ﴾

رومية اسمها علوة كانت أحظى لداتها عند أبيه وأم بكره الى ان نزع عنها فى أخريات أمره لامر جرته الدالة وتأخرت وفاتها عنه الى مدة أخيه

﴿ من كان على عهده من الملوك باقطار المسلمين والنصارى ﴾

بفاس السلطان الكبير الشهير الجواد خدن العافية وحلف السعادة بحر الجود وهضبة الحلم أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الذى بذل المعروف وقرب الصلحاء والعلماء وادنى مكانهم وعمل باشارتهم واوسع باعطيته المؤمنين المسترفدين وعظم قدره واشتهر فى الاقطار صيته وفشا معروفه وعرفت بالكف عن الدماء والحرمات عفته الى ان توفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة عام أحد وثلاثين وسبعمائة ثم صار الامر الى ولده السلطان مقتفي سننه في الفضل والمجد وضخامة السلطان مبرا عليه بالباس المرهوب والعزم الغالب والجد الذى لا يشوبه هزل والاجتهاد الذى لا يتخلله راحة الذى بعد مداه . واذعن لصولته عداه واتصلت ولايته مدته ومعظم مدة أخيه الوالى بعده .

وبتلمسان الامير عبد الرحمن بن موسى من بنى عبد الواد مشيد القصور ومروض العروش واتصل الى تمام مدته وصدرا من مدة أخيه بعده

وبتونس الامير أبو يحيي زكريا ابن الامير أبى اسحق لبنة تمام قومه وصقر الجوارح من عشه وسابق الجياد من حلبته الى تمام المدة وصدرا من دولة أخيه

ومن ملوك النصارى ملك الحفرتين القنيطية والتاركونية الطاغية المرهوب الشبا المسلط على دين الهدى الهنشة بن هراندة بن شانجة بن الفنش بن هراندة الذى احتوى على كثير من بلاد المسلمين حتى الحفرتين واتصلت أيامه الى أخريات أيام أخيه وأوقع بالمسلمين على عهده وتملك الجزيرة الخضراء وغيرها .

وبأرغون الفنش بن جايمش بن القبيل بن بطرة بن جايمش الذى استولى على بلنسية ودام الى آخر مدته وصدرا من مدة أخيه . وقد استقصينا من العيون أقصى ماسمح به الاستقصاء وما أغفلناه أكثر والله الاحاطة

﴿ مولده ﴾

فى الثامن من شهر المحرم من عام خمسة عشر وسبعمائة .

﴿ وفاته ﴾

والى هذا العهد مات وغرت عليه من رؤس الجند من قبائل العدوة الصدور وشحنت عليه القلوب غيظا وكان شرها لسانه غير جزوع ولا هيابة فربما يتكلم بملء فيه من الوعيد الذى لايختفى على المقتمد به وفي ثانى يوم من إقلاع الطاغية من الجبل وهو الاربعاء الثانى عشر من ذى الحجة وقد عزم على ركوب

البحر من ساحل منزله فهو مع وادى ياروا من ظاهر جبل الفتح تخفيفا للمؤنة واستعجالا للصدور وقد أخذت على حركته المراصد فلما توسط كمين القوم ثاروا اليه وهو راكب بغلا أتاه به ملك الروم فشرعوا فى عتبه بكلام غليظ وتانيب قبيح وبدؤا بوكيله فقتلوه وعجل بعضهم بطعنه وترامى عليه مملوك من مماليك ابيه وغد من اخابيث العلوج يسمى زياناً صونع على مباشرة الاجهاز عليه فقضي لحينه بسفح الربوة المائلة يسرة العابر للوادى ممن يقصد جبل الفتح وتركوه بالعراء بادى الشوار مسلوب البزة سيئ المصرع قد عدت عليه نعمه ووافقه سلاحه واسلمه انصاره وحماته .

ولما فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان أبي الحجاج صرفت الوجوه يومئذ الى دار الملك ونقل القتيل الى مالقة فدفن على حالته تلك برياض تجاور منية السيد فكانت وفاته ضحوة يوم الاربعاء الثالث عشر لذى الحجة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة واقيمت على قبره بعد حين قبة وهو اليوم مائل رهن غربة وحالب غرة . جعلنا الله للقائه على أخذ اهبة ..

وبلوح الرخام المائل عند رأسه مكتوب . هـذا قبر السلطان الاجل الملك الهمام الامضى الباسل الجواد ذى المجـد الأثيل . والملك الاصيل . المقدس المرحوم أبى عبد الله محمد بن السلطان الجليل الكبير الرفيع المجاهد الهمام . صاحب الفتوح المسطورة . والمغازى المشهورة . سلالة أنصار النبى صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين وناصر الدين . الشهير المقدس المرحوم ابى الوليد بن نصر قدس الله روحه . وبرد ضريحه . كان مولده فى الثانى لمحرم عام خمسة عشر وسبعمائة وبويع فى اليوم الذى استشهد فيه والده رضى الله عنه السادس والعشرين وسبعمائة وتوفى رحمه الله في الثالث عشر لذي

الحجة من عام ثلاثين وسبعمائة فسبحان من لا يموت

ياقبر سلطان الشجاعة والندى	فرع الملوك الصيد أعلام الهدى
وسلالة السلف الذى آثاره	مشهورة لمن اقتدى ومن اهتدى
سلف لانصار النبي نجاره	قد حل منه فى المكارم محتدا
متوسط البيت الذى قد أسسه	سادات ملك اوحد عن اوحدا
بيت بناه محمدون ثلاثة	من آل نصر أورثوه محمدا
اودعت وجها قد تهلل حسنه	بدرا بآفاق الجلالة مربدا
بدر يسح على العفاة مواهبا	مثنى الايادى السابغات وموحدا
يبكيك مذعور بك استمدى على	اعدائه فسقيتها كأس الردى
أما سماحك فهو أسنى دية	أما جلالك فهو أسمى مصمدا
جادت ثراك من الاله سحابة	برضاه عنك تجود هذا المعهدا

وشر ماتبع هذا السلطان تواطؤ قتلته من بنى أبى العلا واصهارهم وسواهم من شيوخ خدامه كالوكيل فى مدة أخيه بعد الشيخ الذهول مسافر بن حركات وسواه على اكتتاب عقد وفاته بامور من القول تقدح فى أصل الديانة واغراض تقتضى الوهن فى الدين وهنات تسوغ اراقة دمه الذى توفرت الدواعي على حياطته والذب عنه تولى كبرها شيخنا أبو الحسن بن الجياب مرتكباً منها وصمة محت من غرر فضله الى كثير من خدامه ومماليكه وبعثوا به الى المغرب لذلك فاقتطعت جانب التمهل والتأخير والبت عن الحكم والتمليل عن السماع . وقد كان رحمه الله من الجهاد واقامة رسم الدين بحيث تزل عن هذه الهنات صفاته وتنكر هذه المذمات صفاته وكان لمكان العز وارسال السجية ربما عذله الشيخ فى بعض

الامر فيسجم اضجاراً وتلميحاً باخراجه ولم يمر الا الزمان اليسير حتى اوقع الله بالمصبة المتمائلة عليه من اولاد عبد الله فسفتهم رياح النكبات . واستأصلت نعمهم ايدى النقمات . ولم تقم لهم من بعد ذلك قائمة والله غالب على أمره . وسعت هذا السلطان نفوس أهل الحرية ممن له طبع رقيق . وحس لطيف ووفاء كريم ممن كان بينه وبين سطوته دفاع وفى جو اعتقاده صفات صدرت عنهم مدائح مؤثرة واقاويل للشجون مهيجة نبث منها يسيراً على العادة فمن ذلك مانظمه الشيخ الكاتب القاضي ابو بكر بن شيرين وكان على نصاعة ظرفه وجمال روايته غراب قربه ونائحة ماتمه يرثيه ويعرض ببعض من حمل عليه من ناسه وخدامه .

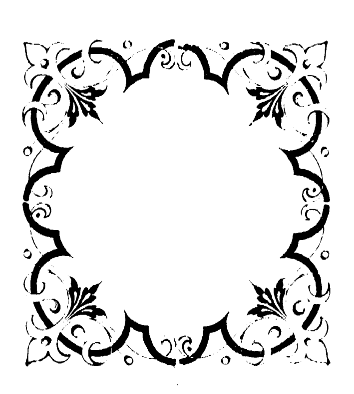
استقلا ودعانى طائفا بين المغانى

ومن قوله

عينى ابكي لميت غادروه فى ثراه ملقى وقد غدروه

دفنوه ولم يصل عليه أحد منهم ولا غسلوه

انما مات يوم مات شهيدا فاقاموا رسما ولم يقصدوه



محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد ابن نصر بن قيس الخزرجي ثالث الملوك من بنى نصر يكنى أبا عبد الله

اوليته معروفة

حاله

كان من أعاظم أهل بيته صيتاو همة اصيل المجد مليح الصورة عريق الامارة ميمون النقيبة سعيدا عظيم الادراك تهنأ العيش مدة أبيه وتملى السياسة حياته وباشر الامور بين يديه فجاء نسيج وحده ادراكا ونبلا ونخارا ثم تولى الامر بعد أبيه ناجراه على ديدنه وتقبل سيرته ونسج على منواله وقد كان الدهر ضايقه فى حصته ونغصه ملاذ الملك بزنة سدكت بعينه لمداخلة السهر ومباشرة ضخام الشمع اذ كانت تخذ له منها جذوع فى اجسادها مواقيت تخبر بانقضاء الليل وساعاته ومضى الرابع على التزامه الكنّه وغيبوبته فى كسر بيته ففقد خدمته السعود وأمت بابه الفتوح وسالمته الملوك وكانت أيامه أعيادا وكان يقرض الشعر ويصغى اليه ويثيب عليه ويعرف مقدار العلماء ويوكل الاشراف والرؤساء فى كل صلاح مالثامن كل تجربة وحنكة حار النادرة حسن التوقيع مليح الخط تغلب عليه الفظاظة والقسوة.

شعره

كان له شعر مستظرف من مثله لابل يفضل به الكثير ممن ينتحل

الشعر من الملوك ووقفت على مجموع له ألفه بعض خدامه فنقلت من مطولاته .

واعدني وعداً وقد أخلفا	اقل شئ في المليح الوفا
وحال عن عهدي ولم يرعه	ما ضره لو انه انصفا
مابالها لم تتعطف على	صاحب لها مازال مستعطفا
يستطلع الانباء من نحوها	ويرقب البرق اذا ما هفا
خفيت سقماً عن عيون الورى	وبان حبي بعد ماقد خفا
لله كم ليله بتها	أدير من ذاك اللمى قرقفا
متعتني بالوصل منها وما	اخلفت وعداً خلت ان يخلفا

ومنها

ملكتك واني امرؤ	على ملك الارض قد أوقفا
اوامري في الناس مسموعة	وليس مني في الورى اسرفا
يرهب سيفي في الوغى مصلتا	ويتقى عزما اذا ارهفا
وترتجى يمناي يوم الندى	تخالها السحب غدت وكفا
نحن ملوك الارض من مثلنا	حزنا تليد الفخر والمطرفا
نخاف اقداما ونرجى ندا	لله ما أرجي وما أخوفا
لي راية في الحرب كم غادرت	ربع العدا قاعا بها صفصفا
ياليت شعري والمنى جمة	والدهر يوما هل يرى منصفا
هل يرتجي العبد تدانيكم	ويصبح الدهر له مسعفا

﴿ مناقبه ﴾

أعظم مناقبه المسجد الجامع بالحمراء على ما هو عليه من الظرف والتنجيد والترقيش وفخامة العمل واحكام انوار الفضة وابداع ثراها ووقف عليه

الحمام بازائه وانفق فيه مال الجزية أغرمها لمن يليه من الكفار فظهر بها منقبة له يتيمة ومملوة فذة فاق بها من تقدمه ومن تأخره من قومه .

﴿ جهاده ﴾

أغزى الجيش لاول أمره مدينة المنظر فاستولى عليها عنوة وملك من احتوت عليه المدينة ومن جملتهم الزعيمة صاحبة المدينة من افراد عقائل الروم فقدمت للحضرة في جملة السبي نبيهة المركب ظاهرة الملبس رائقة الجمال خص بها ملك المغرب فاتخذها لنفسه وكان هذا الفتح عظيما والصيت بحرابه بعيدا

﴿ ما نقل عنه من الفظاظة والقسوة ﴾

هجم لاول أمره على طائفة من مماليك أبيه كان سيء الرأى فيهم فسجنهم فى مطبق الارى من حمرائه وامسك مفاتيح قفله عنده وتوعد من يرمقهم بقوت بالقتل فمكثوا أياما وصارت أصواتهم تعلو بشكوى الجوع حتى خفتت ضعفا بعد ان اقتات آخرهم موتا باحم من سبقه وحملت الشفقة حارسا كان برأس المطبق على ان طرح لهم خبزاً يسيراً تنقص اكله مع مباشرة بلواهم ونمى اليه ذلك فأمر بذبحه على حافة الجب فسال عليهم دمه وقانا الله مصارع السوء وما زالت المقالة عنها شنيعة والله أعلم بجريرتهم لديه

﴿ وزراؤه ﴾

بقى على خطة الوزارة وزير أبيه أبو سلطان عزيز بن على بن عبد المنعم الدانى الجارى ذكره بحول الله فى محله متبرما بحياته الى ان توفى فأنشد عند موته

مات أبو زيد فوا حسرة ... ان لم يكن مات منذ جمعة
مصيبة لاغفر الله لى ... ان كنت أجريت لها دمعه

• وتمادى بها أمره تقوم بها حاشيته وقد ارتاح اليها متوليها بعده المترفع بدولته القائد الشهير الهمة أبو بكر بن المول

حدث قارئ العشر من القرآن بين يدى السلطان ويعرف بابن بكرون وكان شيخا متصاونا ظريفا قال عزم السلطان على تقديم هذا الرجل وزيرا وكان السلطان يؤثر الفال وله فى هذا المعنى وسواس ملازم فوجه الىّ الفقيه الكاتب صاحب القلم الاعلى يومئذ ابو عبد الله بن الحكيم المستأثر بها دونه والمتلفف لكرتها قبله وخرج لى عن الامر وطلب منى أن أقرأ آيا يخرج فالها عن الغرض قال فلما عذوت اشأنى تلوت بعد التعوذ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم) الى قوله فلما قرعت الآية سمعه حاد عن رأيه الذى كان ازمعه وقدم للوزارة كاتبه ابا عبد الله بن الحكيم فى ذى القعدة من عام ثلاثة وسبعمائة وصرف اليه تدبير ملكه فلم يلبث ان تغلب على امره وقلب جميع شؤونه حسبما يأتى فى موضعه ان شاء الله .

﴿ كتابه ﴾

استقل برياسته وزيره المذكور وكان ببابه من كتابه جملة تباهى بهم دسوت الملوك أدبا وتفننا وفضلا وظرفا كشيخنا تلوه وولى الرتبة الكتابية من بعده وفاضل الخطابة على أثره وغيره ممن يشار اليه فى تضاعيف الاسماء كالشيخ الفقيه القاضى ابي بكر بن شيرين والوزير الكاتب ابى عبد الله بن عاصم والفقيه الاديب ابى اسحق بن جابر والوزير الشاعر المفلق أبي عبد الله اللوشى من كبار القادمين عليه والفقيه الرئيس أبى محمد الحضرمي والقاضى الكاتب ابى الحجاج الطرطوشى والشاعر المكثر ابى العباس العراق وغيرهم .

﴿ قضاته ﴾

استمرت ولاية قاضي الجماعة الشيخ الفقيه ابى عبد الله محمد بن هشام الالشى قاضى العدل . وخاتمة اولى الفضل . الى ان توفى عام اربع وسبعمائة وتولى له القضاء القاضى ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد بن محمد ابن احمد القرشى الملقب بابن فركون وتقدم التعريف به والتنبيه على فضله الى آخر ايامه .

﴿ من كان على عهده من الملوك بالاقطار واول ذلك ﴾

بفاس كان على عهده بها السلطان الرفيع القدر السامى الخطر المرهوب الشبا المستولى فى العز وبعد الصيت على المدى . ابو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحق وهو الذى وطد الدولة المرينية وجبا الاموال العريقة واستأصل من تتقى شوكته من القرابة وغيرهم وجاز الى الاندلس فى أيام أبيه وبعده غازيا ثم حاصر تلمسان وملك عليها فى اوائل ذى القعدة عام ستة وسبعمائة فكانت دولته احدى وعشرين سنة وأشهرا ثم صار الامر الى حفيده ابى ثابت عامر بن الامير ابى عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بعد اختلاف وقع ونزاع انجلى عن قتل جماعة من كبارهم سلم الامير ابو يحيي ابن السلطان ابي يوسف والامير ابو سالم بن السلطان أبى يعقوب واستمر الامر للسلطان ابى ثابت الى صفر من عام ثمانية وسبعمائة وصار الامر الى أخيه ابى الربيع سليمان تمام مدة ملكه وصدرا من دولة أخيه نصر حسبما يذكر فى موضعه ان شاء الله تعالى .

وبتلمسان الامير ابو سعيد عثمان بن يغمراسن ثم اخوه ابو عمران موسى ثم ولده ابو تاشفين عبد الرحمن الى مدة أخيه .

وبتونس السلطان الفاضل الميمون النقيبة المشهور الفضيلة ابو عبد الله محمد بن الواثق يحي بن المستنصر ابي عبد الله بن الامير ابى زكريا ابن ابى حفص من اولى العفة والنزاهة والتؤدة والحشمة والعقل عنى بالصالحين واختص بابى محمد المرجانى فاشار بتقويمه وظهرت عليه بركته وكان يرتبط اليه ويقف فى الامور عنده فلم تعدم الرعية بركة ولا صلاحا فى ايامه الى ان هلك فى ربيع الآخر عام تسعة وسبعمائة ووقعت بينه وبين هذا الامير المترجم به المراسلة والمهاداة

وبقشتالة هراندة بن شانجة بن أذفونش بن هراندة المستولى على اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان ولا حول ولا قوة الا بالله هلك ابوه وتركه صغيرا مكفولا على عادتهم فتنفس المخنق وانعقد السلم واتصل الامان مدة ايامه وهلك فى دولة اخيه .

وبارغون جايمش بن الفنش بن بطره

﴿ الاحداث ﴾

فى عام ثلاثة وسبعمائة نقم على قريبه الرئيس ابى الحجاج بن نصر الوالى بمدينة وادى آش أمرا اوجب عزله عنها وكان مقيما بحضرته فاتخذ جملا وكان أملك بامرها وذاع الخبر فاستركب الجيش وقد حدما ينزل فى استظلاله وجدد الصكوك بولايته خوفا من اشتعال الفتنة وقد أخذ على يديه وأغرى أهل المدينة بحربه فتداعوا لحين شعورهم باستعداده واحاطوا به فدهموه وعاجلوه فتغلبوا عليه وقيد الى بابه اسيرا مصفدا فامر أحد ابناء عمه فقتله صبرا وتملا فتحا كبيرا وأمن فتنة عظيمة وفى شهر شوال من عام خمسة وسبعمائة قرع الاسماع النبأ العظيم الغريب من تملك سبتة وحصونها وانتزاعها

من يد رئيسها ابى طالب عبد الله بن ابي القاسم الرئيس الفقيه ابن الامام المحدث ابي العباس العزفى حسبما يتقرر فى اسم الرئيس الفقيه أبى طالب ان بلغنا الله ذلك. واستأصل ما كان لاهلها من الذخائر والاموال ونقل رؤساءها وهم عدة الى حضرة غرناطة وذلك فى غرة محرم من العام المذكور فدخلوا عليه وقد احتفل بالملك واستركب في الابهة الجند فلثموا اطرافه واستعطفه شعراوهم بالمنظوم من القول وخطباؤهم بالمنثور منه فطمن روعهم وسكن جاشهم واسكنهم في جواره وأجرى عليهم الارزاق الهلالية وتفقدهم فى الفصول الى ان كان من أمرهم ماهو معلوم .

﴿ اختلاعه ﴾

فى يوم عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائه أحيط بهذا السلطان وتمت الحيلة عليه وهو مصاب بعينيه مقعد في كنه فداخلت طائفة من وجوه الدولة أخاه وفتكت بوزيره الفقيه ابى عبد الله بن الحكيم ونصبت للناس الامير ابا الجيوش نصرا أخاه وكبست منزل السلطان فاحيط به وجعل عليه الحرس وتسومع بالكائنة فكان الهت وسال من الغوغاء البحر فتملقوا بالحمراء يسألون عن الحادثة فشغلوا بانتهاب دار الوزير وبها من المال مايفوت الوصف فكان الفجع في اضاعته على المسلمين واطلاق الايدى فى الخبيثة عليه عظيما . وفى آخر اليوم عند الفراغ من الامر دخل على السلطان المخلوع الشهداء عليه بخلعه بعد نقله من دار ملكه الى دار اخرى فاملى رحمه الله زعموا وثيقة خلعه مع شغب الفكر وعظم الداهية وانتقل رحمه الله بعد الي القصر المنسوب الى السيد بخارج الحضرة اقام به يسرا ثم نقل الى مدينة المنكب وكان من أمره مايذكر ان شاء الله

﴿ مايؤثر من ظرفه ﴾

حدث من كان منوطا به من خاصته مدة أيام اقامته بقصر نجد قبل خلعه قال ارسل الله الاغربة على سقف القصر وكان شديد التطير والقلق لذلك حسبما تقدم من الاشارة الى ذلك بحديث العشر وكان من جملتها غراب شديد الالحاح حادّ النعيب والصياح فاغرى به الرماة من مماليكه بانواع القسى فابادوا من الغربان أمة وتخطأ الحتف ذلك الغراب الخبيث فلما انتقل الى سكني الحمراء ظهر ذلك الغراب على سقفه ثم لما أهبط مخلوعا الى قصر شنيل تبعه وقام في بعض السقف أمامه فقام رحمه الله يخاطبه يامشؤم يامحروم بين الغربان قد خلصت أمرنا ولم يبق لك علينا طالب ولا بيننا وبينك كلام ارجع الي هؤلاء المحاريم واشتغل بهم قال فاضحكنا على حال الكآبة بعذوبة منطقه وخفة روحه ٠

﴿ وفاته ﴾

قد تقدم ذكر استقراره بالمنكب وفي أخريات شهر جمادي الآخرة عام عشرة وسبعمائة أصابت نصر سكتة توقع منها موته بل شك في حياته فوقع التفاوض الذي تمحض الى التوجيه عن السلطان المخلوع الذي بالمنكب ليعود الى الامر فكان ذلك واسرع إيصاله الي غرناطة فى محفة فكان حلوله بها فى رجب من العام المذكور وكان من قدر الله ان أفاق أخوه من مرضه ولم يتم للمخلوع الامر فنقل من الدار التى كان بها الى دار أخيه الكبرى فكان آخر العهد به ثم شاعت وفاته أوائل شوال من العام المذكور فذكر انه اغتيل غريقا في البركة التى فى الدار المذكورة ودفن بمقبرة السبيكة مدفن قومه بجوار الغالب بالله جده ونوه بجدثه وعليه

مكتوب مانصه ٠

هذا قبر السلطان الفاضل ٠ الامام العادل ٠ علم الاتقياء ٠ وأحد الملوك السعداء ٠ المخبت الاواه ٠ المجاهد في سبيل الله ٠ الرضى الاروع ٠ الأخشى لله الأخشع ٠ المراقب في السر والاعلان ٠ المعمور الجنان بذكره واللسان السالك في سياسة الخلق ٠ واقامة الحق ٠ منهاج التقوى والرضوان ٠ كافل الأمة بالرأفة والحنان ٠ الفاتح لها بفضل سيرته ٠ وصدق سريرته . ونور بصيرته أبواب اليمن والامان ٠ المنيب الاواب ٠ العامل مايجده نوراً مبينا يوم الحساب ٠ ذى الآثار السنية ٠ والاعمال الطاهرة القائم فى جهاد الكفار بماضي العزم وخالص النية ٠ المقيم قسطاس العدل المنير منهاج الحلم والفضل حامى الذمار ٠ وناصر دين المصطفى المختار . المقتدي باجداده الانصار المتوسل بفضل ماسلفوه من أعمال البر والجهاد ٠ ورعاية البلاد والعباد ٠ الى الملك القهار ٠ أمير المسلمين ٠ وقامع المعتدين ٠ المنصور بفضل الله أبى عبد بن أمير المسلمين الغالب بالله السلطان الاعلى امام الهدى ٠ وغمام الندا ٠ محيي السنة حسن الامة المجاهد في سبيل الله الناصر لدين الله أبى عبدالله بن أمير المسلمين الغالب بالله أبى عبدالله بن يوسف بن نصر كرم الله وجهه ومثواه ٠ ونعمه برضاه

ولد رضى الله عنه يوم الاربعاء الثالث لشعبان المكرم عام أحد وسبعمائة رحمه الله الى منازل الابرار ٠ وألحقه بالأئمة الذين لهم عقبى الدار ٠ وصلى الله على سيدنا محمد المختار ٠ وعلى آله وسلم تسليما ٠ ومن الجانب الآخره

رضا الملك الأعلى يروح ويغتدى ... على قبر مولانا الأمام المؤيد

مقر العلى والملك والبأس والندى ... فكم سن من معنى كريم ومشهد

ومثوى الهدى والفضل والعقل والتقي ... فبورك من مثوى زكي وملحد
فيا عجبا طود الوقار جلالة ... طوى تحت أطباق الصفيح المنضد
وواسطة العقد الكريم الذى له ... مآثر فخر بين مثني وموحد
محمد المرتضى سليل محمد ... إمام الندى نجل الامام محمد
فيا نخبة الاملاك غير منازع ... ويا علم الاعلام غير مفند
بكلك بلاد كنت تحمى ذمارها ... بعزم أصيلى ورأي مسدد
وكم معلم للدين أوضحت رسمه ... يكن لك فى الفردوس أرفع مصعد
كانك ماسست البلاد وأهلها ... بسيرة ميمون النقيبة مهتد
كأنك ماقدت الجيوش الى العدى ... فصيرتهم تحت الفنى المتقصد
وفتحت من أقطاوهم كل مبهم ... فتحت به باب النعيم المخلد
كأنك ماانفقت عمرك فى الرضي ... بتجديد غزوات وتشييد مسجد
وانصاف مظلوم وتأمين خائف ... واصراخ مذعور واسعاف مجتدى
كأنك ما أحييت للخلق سنة ... تجادل عنها باللسان وباليد
كأنك ماامضيت فى الله عزمة ... تدافع فيها بالحسام المهند
فان تجهل الدنيا عليك وأهلها ... بذاك ثواب الله يلقاك في غد
تعوضت ذخرا من مقام خلافة ... مقيم منيب خاشع متعبد
وكل الورى من كان أو هو كائن ... صريع الردى ان لم يكن فكأن قد
فلا زلت جارا للرسول محمد ... بدار نعيم فى رضى الله سرمد
وهذى القوافى قد وفيت بنظمها ... فياليت شعرى هل تصيخ لمنشد

﴿ محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن محمد ﴾
﴿ بن خميس بن نصر الانصارى ثانى الملوك الغالبين من بني نصر ﴾
(وأساس أمرهم وفخل جماعتهم)

﴿ أوليته ﴾

تقرر بحول الله فى أمر أبيه الآتي بعد حسب الترتيب المشترط .

﴿ حاله ﴾

من كتاب طرف العصر من تأليفنا . كان هـذا السلطان من اوحد الملوك جلالة وصرامة وحزما مهد الدولة ووضع ألقاب خدمتها وقدر مراتبها واستجاد ابطالها واقام رسوم الملك فيها واستدرّ جباياتها مستظهرا على ذلك بسعة الدرع واصالة السياسة ورصانة العقل وشدة الامور ووفور الدهاء وطول الحنكة وتلو التجربة مليح الصورة تام الخلقة بعيد الهمة قام بالامر بعد أبيه وباشر مباشرة الوزارة أيام حياته يجرى على سنن ابيه من اصطناع اجناسه ومداراة عدوه وأجرى صدقاته وأربى عليه بخلال . منها براعة الخط وحسن التوقيع وايثار العلماء والاطباء والصيدلانيين والكتاب والشعراء وقرض الابيات الحسنة وكثرة الملح وحرارة النادرة وطما بحر من الفتنة لاول استقرار امره وكثر عليه المنتزون والثوار . وارتجت الاندلس وسطا كلب الكفار . فصبر لزلزالها رابط الجاش ثابت المركز وبذل من الاحتيال والدهاء المكنوفين بجميل الصبر وما اظهره بخلو الجو وطال عمره . واشتهر فى البلاد ذكره .

وعظمت غزواته وسيمر من ذلك مايدل على أجل من ذلك ان شاء الله .

﴿ شعره وتوقيعه ﴾

وقفت على كثير من شعره وهو نمط منحط بالنسبة الى اعلام الشعراء ومستظرف من الملوك والامراء ..من ذلك قوله يخاطب وزيره .

تذكر عزيز ليال مضت　　واعطاءنا المال بالراحتين
وقد قصدتنا ملوك الجها　　ت ومالوا الينامن العدوتين
واذ سأل السلم منا معين　　فلم يحظ الا بخفيّ حنين

وتوقيعه يشذ عن الاحصاء وبايدى الناس الى هـذا العهد كثير من ذلك فما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرف فى بعض الشهادات ويلح عليها

يموت على الشهادة وهو حى　　الهى لاتمته على الشهادة

واطال الخط عند الهى اشـعارا بالضراعة عند الدعاء والجد . ويذكر انه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكي ضرر أحد الجنـد النازلين فى الدور ونبزه بالتعرض لزوجته (يخرج هذا النازل . ولا يعوض بشئ من المنازل)

﴿ بنوه ﴾

ثلاثة ولى عهده ابو عبد الله المتقدم الذكر وفرج المغتال ايام أخيه ونصر الامير بعد أخيه

﴿ بناته ﴾

اربع عقد لهن جمع ابرزهن الى ازواجهن من قرابتهن تحت احوال ملوكية ودنيا عريضة وهن فاطمة وميمونة وشمس وعائشة. وفاطمة منهن أم اسماعيل حفيده الذى ابتز ملك بنيه عام ثلاثة عشر وسبعمائة .

﴿ وزراؤه ﴾

كان وزيره الوزير الجليل الفاضل ابا سلطان لتقارب الشبه زعموا فى السن والصورة وفضل الذات ومتانة الدين وصحة الطبع أغنى وحسنت واسطته ورفعت اليه الوسائل وتطرزت باسمه الاوضاع واتصلت ايامه الى أيام مستوزره ثم صدر امن أيام ولي عهده .

﴿ كتابه ﴾

ولى له خطة الكتابة والرياسة العليا فى الانشاء جملة منهم كاتب أبيه ابو بكر بن ابي عمرو اللوشي ثم الاخوان ابو على الحسن والحسين ابنا محمد ابن يوسف بن سعيد اللوشى سبق الحسن وتلاه الحسين وكانا راميين ووفاتهما متقاربة ثم كتب له الفقيه ابو القاسم محمد بن محمد القائد الانصارى آخر الشيوخ وبقية الصدور الادباء أقام كاتبا الى أن أبرمه انحطاطه فى هوى نفسه وايثاره المعاقرة حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه فأخره عن الرتبة واقامه فى أعداد كتابه الى ان توفى تحت رفده وتولى الكتابة الوزير ابو عبد الله ابن الحكيم فاضطلع بها الى آخر دولته .

﴿ قضاته ﴾

تولى خطة القضاء قاضى أبيه الفقيه العدل ابو بكر بن محمد بن فتح الاشبيلى الملقب بالاشبرون . تولى قبل ذلك خطة السوق فلقى سكران أفرط فى فحشه واشتد فى عربدته وحمل على الناس فافرجوا عنه واعترضه واشتد عليه حتى تمكن منه بنفسه واستنصر في حده وبالغ في نكاله واشتهر ذلك عنه فجمع له أمر الشرطة وخطة السوق ثم ولى القضاء فذهب أقصى مذاهب الصرامة الى أن هلك فولى خطة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد الله محمد

ابن هشام فاتصلت أيام قضائه الى أيام مستقضيه رحمه الله ٠

﴿ جهاده ﴾

وباشر هذا السلطان الوقائع فانجلت ظلماتها عن صبح نصره ٠ وطرزت مواقعها بطراز جلاده وصبره ٠ فمنها وقيعة المطران وغيرها مما يضيق التأليف عن استقصائه فى شهر المحرم من عام خمسة وتسعين وستمائة على أثر نعى طاغية الروم شانجه بن أدفونش عاجل الكفار لحين دهشهم فحشد أهل الاندلس واستنفر المسلمين الداعية وتحرك فى جيش يجر الشوك والشجر ونازل مدينة قيجانة وأخذ بكظها ففتحها الله على يديه وتملك بسببها جملة من الحصون التي ترجع اليها وكان الفتح في ذلك عظيما وأسكنها جيشاً من المسلمين وطائفة من الحامية فأشرقت العدو بريقه ٠ وفى صائفة عام تسعة وتسعين وستمائة نازل مدينة القبذان فدخل جفنها واعتصم من تأخر أجله بقصبتها العظيمة الشأن ٠ الشهيرة فى البلدان ٠ فاحيط بهم فخذلوا وزلزل الله أقدامهم فألقوا باليد وكانوا أمنع من عقاب الجو وتملكها على حكمه وهي فى جلالة الوضع وشهرة المنعة وخصب الساحة وطيب الماء والوصول الى بلاد الكفر والاطلاع على عوراته بحيث تشهر فكان تيسر فتحها من غرائب الوجود وشواهد اللطف وذلك فى صلاة الظهر من يوم الاحد الثامن لشهر شوال عام تسعة وسبعين وستمائة وأسكن بها رابطة المسلمين وباشر العمل بخندقها بيده رحمه الله فتساقط الناس من ظهور دوابهم الى العمل فتم ما أريد منه سريعا

وأنشد شيخنا أبو الحسن الجياب يهنئه بهذا الفتح

عدوك مقهور وحزبك غالب   وأمرك منصور وسهمك صائب

وشخصك مهما لاح للخلق أذعنت ... لهيبته عجم الورى والاعارب

وهى طويلة

﴿ من كان على عهده من الملوك ﴾

كان على عهده بالمغرب السلطان الجليل أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق الملقب بالمنصور وكان ملكا صالحاً ظاهر السذاجة سليم الصدر مخفوض الجناح شارعاً أبواب الدالة الملية منهم أشبه الشيوخ بالملوك فى احتمال اللفظ والاغضاء عن الجفوة والعدا والكتيبة وهو الذى استولى على ملك الموحدين واجتث شجرهم من فوق الارض وورث سلطانهم واجتاز الى الاندلس كما تقدم مرات ثلاثاً أو أزيد منها وغزا العدو وجرت بينه وبين السلطان المترجم به أمور من سلم ومناقضة وعتاب حسبما تدل على ذلك القصائد الشهيرة المتداوله وأولها ما كتب به على عهد الفقيه الكاتب الصدر أبى عمرو بن المرابط فى غرض استنفار للجهاد

هل من معيني فى الهوى أو منجدى ... من متهم فى الارض او من منجد

وتوفى السلطان المذكور فى الجزيرة الخضراء فى عنفوان سنه فى زمن هذا السلطان فى محرم خمسة وثمانين وستمائة وولى بعده ولده المعظم الهمة والقدر والعزمة أبو يعقوب يوسف وأجاز الى الاندلس على عهده واجتمع به على ظاهر مرية وتجدد العهد وتأكد الود ثم عادت الوحشة المفضية الى تغلب العدو على مدينة طريف فرضة المجاز الادنى واستمر السلطان أبو يعقوب الى آخر مدة السلطان المترجم به ومدة ولده بعده

وبتلمسان أبو يحيى يغمراسن وهو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن وهب بن الطائع لله بن على وهو أوحد أهل زمانه جرأة وشهامة ودهاء

وجزالة وحزما

﴿ مواقفه في الحروب الشهيرة ﴾

وكانت بينه وبين مرين وقائع كان له فيها الظهور وربما ندرت المهانمة ثم ولى بعده ولده عثمان الى تمام مدة السلطان المترجم به

وبوطن افريقية الامير الخليفة أبو عبد الله بن أبى زكريا بن أبى حفص الملقب بالمستنصر المثل المضروب فى الباس والانفة وعظم الجبروت وبعد الصيت الى أن هلك سنة أربع وسبعين وستمائة . ثم ولده الواثق بعده ثم الامير اسحاق وقد تقدم ذكره ثم كانت دولة الدعىّ ابن أبى عمارة المتوثب على ملكهم ثم دولة أبى حفص مستنقذها من يده وهو عمر بن أبى زكريا ابن عبد الواحد ثم السلطان الخليفة الفاضل الميمون النقيبة أبو عبد الله محمد ابن الواثق يحيي بن المستنصر أبى عبد الله بن الامير أبي زكريا

وبوطن النصارى بقشتالة الفنش بن هراندة الى أن ثار عليه ولده شانجة واقتضت الحال اجازة سلطان المغرب واستجارته به من لقائه باحواز الصخرة من كورتا كرنّا مما هو معلوم ثم ملك بعده ولده شانجة واتصلت ولايته مدة السلطان وجرت بينهما خطوب الى أن هلك عام أربعة وسبعين وستمائة وولى بعده ولده هراندة سبعة عشر عاماً وصار الملك اليه وهو صبي صغير فتنفس مخنق الاندلس ومكث سلطانا بها الى آخر مدته .

وبأرغون الفنش بن جايمش بن بطرة بن جايمش المستولى على بلنسية ثم هلك وولى بعده جايمش ولده وهو الذى نازل مدينة المرية على عهد نصر ولده واستمرت أيام حياته الى آخر مدته وكان لانظير له فى الدهاء والحزم والقوة

ومن الاحداث في أيامه وعلى عهده تفاقم الشر واعياء داء الفتنة ولحقت حرب الرؤساء الاطهار من بني اشقيلولة فمن دونهم وطنب سرادق الخلاف فكان بوادى آش الرئيسان أبو محمد وأبو الحسن وبما لقـة وقمارش الرئيس أبو محمد عبـد الله وبقمارش رئيس آخر وهو أبو اسحق . فاما الرئيس أبو محمد فهلك وقام بامره بمالقـة ولده ابن أخت السلطان المترجم به ثم خرج عنها فى سبيل الانحراف والمنادبة الى ملك المغرب ثم تصير أمرها الى السلطان فعقد عليها ليحيي بن عمر بن محلى . وأما الرئيسان فصابرا المضايقة وعزما على النطاق والمقاطعة بوادى آش زمانا طويلا وكان من أمرهما الخروج على وادى آش الى ملك المغرب معرضين بقطر كتامة حسبما يذكر فى أسمائهم ان بلغنا الله اليه .

وفى أيامهم كان جواز السلطان المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق الى الاندلس غازيا ومجاهداً فى سبيل الله فى أوائل عام اثنين وسبعين وستمائة وقد فسد مابين سلطان النصارى وبين ابنه واغتنم المسلمون العدة واستدعي سلطان النصارى الى الجواز ولحق به السلطان المترجم به وجمع مجلسـه بين المشتدين عليه وبينه وانجلت الحال عن وحشته وقضيت الغزاة وآب السلطان الى مستقره .

وفى العام بعده كان ايقاع السلطان بملك المغرب الزعيم دونه واستئصال شأفته وحصد شوكته ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه الى العدوة واحتل بمدينة طريف فى أوائل ربيع الاول عام سبعة وسبعين وستمائة ونازل اشبيلية وكان اجتماع السلطان بظاهر قرطبة فاتصلت اليد وصلحت الضمائر ثم لم يلبث الحال الى أن استحال الى الفساد فاستولى ملك المغرب على مالقـة وخرج المنتزى

اليه بها يوم الاربعاء التاسع والعشرين لرمضان عام سبعة وسبعين وستمائة ثم رجعت الى الاندلس بمداخلة من كان بيده وقائع النظرة حسبما يأتى بعد ان شاء الله

وعلى عهده نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء وأخذ بمخنقها وأشرف على فتحها فدافع الله عنها ونفس على حصارها وأنجز نجدتها على يد الفئة القليلة من المسلمين فعظم المنح وأسفر الليل وانجلت الشدة فى وسط شهر ربيع الاول عام ثمانية وسبعين وستمائة

﴿ مولده ﴾

بغرناطة عام ثلاثة . من كتاب طرفة العصر من تاليفنا قال واستمرت الحال الى أحد وسبعمائة فكانت فى ليلة الاحد الثامن من شهر شعبان فى صلاة العصر وفاة السلطان رحمه الله فى مصلاه متوجها الى القبلة لاداء فريضته على أتم ما يكون عليه المؤمن من الخشية والتأهب زعموا ان شرقا كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه وقد رجمت الظنون فى غير ذلك لتناوله عشية يومه كعكا اتخذ له بدار ولى عهده والله أعلم بحقيقة ذلك ودفن منفرداً عن مدفن سلفه بشرق المسجد الاعظم فى الجنان المتصل بداره ثم ثنى بحافده السلطان أبى الوليد وعزز بثالث كريم من سلالته وهو السلطان أبو الحجاج بن أبى الوليد تغمد الله جميعهم بعفوه وشملهم بواسع مغفرته وفضله .

(تم الجزؤ الاول ويليه الجزؤ الثاني وأوله محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج)

فهرست

﴿ الجزء الاول من كتاب الاحاطة . فى أخبار غرناطة ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

